

افيف الأقدوان

نقولا فياض



رفيف الأءءوان

رفيف الأڤحوان

تأليف
نقولا فياض



الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: محمد الطوبجي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٤١٨ ٤

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي آي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2018

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١١	تقدمة الكتاب
١٣	إلى القارئ
١٥	البحيرة
١٧	يأس
١٩	اذكريني
٢١	القلب البشري
٢٣	العصفور
٢٥	الشباب
٢٧	كوبيدون
٢٩	بكاء الأطفال
٣١	زيارة من غير موعد
٣٣	من قصيدة في أكس لبين
٣٥	الدستور العثماني
٣٧	حريق الأستانة
٣٩	السيف
٤١	المرأة والشاعر
٤٣	أحمد شوقي
٤٥	إلى صديق مفارق
٤٧	الربيع
٤٩	الزهرة والفراشة

٥١	العيون
٥٣	أيها الطائر الشريد
٥٥	البنفسجة
٥٩	إلى عازفة على البيانو
٦١	على صفحة من كتاب
٦٣	الحرب الكبرى
٦٧	لبنان بعد الحرب
٦٩	لبنان
٧١	النادي السوري في الإسكندرية
٧٣	خليل باشا خياط
٧٥	اعتراف
٧٧	أسطورة نورية
٨١	أنا وأنتم
٨٣	معهد العلم
٨٥	هدية
٨٧	أخي
٩١	تمثال الأمير
٩٣	زهرة الإحسان
٩٥	المدرسة الأهلية
٩٧	مهرجان المتنبي
١٠١	مبضع وقلم وسيف
١٠٣	الليل
١٠٥	وداع الإسكندرية
١٠٧	الأرض تخاطب الإنسان
١١١	الشاعر والمومياء
١١٣	الأعمى الجائع
١١٥	الصامتون
١١٧	تحية القدس

المحتويات

١١٩	يا ليل
١٢٣	أثينا
١٢٥	مهرجان الكتاب
١٢٩	يوم العمال
١٣٣	روزفلت
١٣٧	يوم تشرين
١٤١	يوم الشهداء «٦ أيار»
١٤٣	المؤتمر الوطني
١٤٧	حفلة النجادة في عيد الجلاء
١٥١	فيصل الثاني
١٥٣	محمد
١٥٧	أول أيلول
١٥٩	خليل مطران
١٦١	وداع الرئيس دودج
١٦٥	استقبال الملك فيصل الثاني في شتوره
١٦٧	بيت الدين
١٦٩	عمر الداوق
١٧٣	إلى كاتبة
١٧٥	قالت
١٧٧	عيد الرئاسة
١٧٩	ليلة أنس
١٨١	في مهرجان الكتاب سنة ١٩٥٠
١٨٥	أشعار الخداع والحب
١٩٧	من شعر الصبا

بِعَيْشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ فُرُوعُ لَيْلِي
قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا
رَفِيفَ الْأُقْحُونَةِ فِي مَدَاهَا

مجنون ليلى

تقدمة الكتاب

إلى روح معلمي المرحوم نعمة يافث الذي قاد خطواتي الأولى في حياة الفكر والعمل وكان له أول إنشادي.

نقولاً فياض

يَا صَفَّنَا فِيهَا أَنْيْسُكَ وَحَشَّةٌ ذَهَبَتْ بِكُلِّ مَنْ أُهَيْلِكَ مَذْهَبًا
هِيَ «نِعْمَةٌ» كَانَتْ لَنَا فِيمَا مَضَى فَقَضَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ أَنْ تَتَّعَرَّبَا

من شعر الصبا

إلى القارئ

مَا سَكَبْتُ الْجَدِيدَ صِرْفًا بِكَأْسِي
إِنَّمَا وَحْشَةُ الْحَيَاةِ تَمَادَتْ
شَاعِرٌ لَمْ يَرَ الشَّبَابَ سِوَى
لَا وَلَا ذُبْتُ فِي الْقَدِيمِ احْتِرَاقًا
بِي فَصَاحَبْتُ هَذِهِ الْأُورَاقَا
حُلْمٌ فَلَمَّا مَضَى الشَّبَابُ أَفَاقَا

البحيرة

مترجمة عن لامارتين

نَطْوِي الحَيَاةَ وَلَيْلَ المَوْتِ يَطْوِينَا
بَحْرَ الوُجُودِ وَلَا نُلقِي مَرَاسِينَا؟
كَانَتْ مِيَاهُكَ بِالنَّجْوَى تُحْيِينَا
وَاليَوْمَ لِلدَّهْرِ لَا يُرْجَى تَلَقِينَا
عَنِّي الحَبِيبَةُ أَيَّ الحُبِّ تَلْقِينَا
وَطَالَ مَا حُمِلَتْ فِيهِ أَغَانِينَا
تُلَاطِمُ الصَّخَرَ حِينًا وَالهُوَ حِينَا
مِنْ رَغْوَةِ المَاءِ كَفَّ الرِّيحَ تَأْمِينَا
يَجْرِي وَنَحْنُ سُكُوتٌ فِي تَصَابِينَا؟
مَعْنَا فَلَا شَيْءَ يُلْهِيهَا وَيُلْهِينَا
يَخَالُ إِيقَاعَهَا العُشَاقُ تَلْحِينَا
فَخَلَّتْ أَنَّ المَلَا الأَعْلَى يُنَاجِينَا
بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ المَوْجِ مَفْتُونَا:
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَمَلَّى مِنْ أَمَانِينَا
نَلْتَدُّ بِالحُبِّ فِي أَحْلَى لَيَالِينَا
وِطْرَ بِهِمْ فَهْمٌ فِي العَيْشِ يَشْقُونَا

أَهْكَذَا أَبَدًا تَمْضِي أَمَانِينَا
تَجْرِي بِنَا سُفُنُ الأَعْمَارِ مَآخِرَةً
بُحَيْرَةَ الحُبِّ حَيَاكِ الحَيَا فَلَكُمْ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو خِتَامَ العَامِ يَجْمَعُنَا
فَجِئْتُ أَجْلِسُ وَحْدِي حَيْثُمَا أَخَذْتُ
هَذَا أُنِينِكَ مَا بَدَلْتُ نِعْمَتَهُ
وَفَوْقَ شَاطِئِكِ الأمْوَاجِ مَا بَرِحْتُ
وَتَحْتَ أَقْدَامِهَا يَا طَالَ مَا طَرِحْتُ
هَلْ تَذُكِّرِينَ مَسَاءً فَوْقَ مَايِكَ إِذْ
وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْأَفْلَاقُ مُصْغِيَةٌ
إِلَّا المَجَازِيفُ بِالأمْوَاجِ ضَارِبَةٌ
إِذَا بَرْنَةَ أَنْعَامِ سَحِرْتُ بِهَا
وَالْمَوْجُ أَصْغَى لِمَنْ أَهْوَى وَقَدْ تَرَكْتُ
يَا دَهْرُ قِفْ فَحَرَامٌ أَنْ تَطِيرَ بِنَا
وَيَا زَمَانَ الصَّبَا دَعْنَا عَلَى مَهَلٍ
أَجِبْ دُعَاءَ بَنِي البُوسَى بِأَرْضِكَ نِي

وَحَلَّنا فَهِناءُ الحُبِّ يَكْفِينا
 فالوَقْتُ يُفْلِتُ والسَّاعَاتُ تُفْنِينا
 مُمَرِّقا مِنْهُ سِتْرًا باتَ يُخْفِينا
 يَجْرِي ولا وَقْفَةً فِيهِ تُعْزِينا
 إِلى الزَّوالِ فَيَبْلَى وَهُوَ يُبْلِينا
 فِي لَيْلِهِ الأَبَدِيِّ الدَّهْرُ يَرْمِينا
 فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِالْأَيامِ تُجْرِينا
 أَتُرْجِعِينَ لَنَا أَحلامَ ماضِينا؟
 تَبْقِينَ بالدَّهْرِ وَالْأَيامِ تُزْرِينا
 ففِيكَ عَهْدُ التَّصابِي باتَ مَدْفُونًا
 فَلْيَبْقِ ذَا الذِّكْرِ تُحْيِيهِ فَيُحْيِينا
 عَلَيْكَ، وَالشُّوحُ مُسودُّ الأَفانِينا
 مِنْها إِليها كَتْرَجِيعِ الشَّجِينا
 أَنْوارُهُ سَطْحَكِ الزَّاهِي بِها حِينا
 أَوْ حَرَكْتَ قَصَباتِ عِطْفِها لِينا
 صَوْتًا يَرُدُّ عَنَّا ما جَرى فِينا
 مِنَ الرَّدَى، رَحِمَ اللّهُ المُحِبِّينَا

حَذِ الشَّقِيَّ وَحَذِ مَعَهُ تَعاسَتَهُ
 هَيْهاتَ هَيْهاتَ أَنَّ الدَّهْرَ يَسْمَعُ لِي
 أَقولُ لِلَّيْلِ قَفْ وَالْفَجْرُ يَطْرُدُهُ
 فَلنَنْغَمِ الحُبَّ ما دَامَ الزَّمانُ بِنَا
 ما دَامَ فِي البُؤْسِ وَالنُّعْمَى تُصَرِّفُهُ
 تالِلهِ يا ظَلَمَةَ المَاضِي وِيا عَدَمًا
 ما زالَ لَجْجُ لِلايَامِ مُبْتَلِعًا
 ناشِدَتِكَ اللّهُ قولي وَارْحَمِي وَلِهي
 فِيا بَحِيرَةَ أَيامِ الصَّبَا أَبَدًا
 تَذْكارُ عَهْدِ التَّصابِي فَاحْفَظِيهِ لَنَا
 عَلَي مِياهِكَ فِي صَفْوٍ وَفِي كَدْرِ
 وَفِي صُخُورِكَ جَرْداءَ مُعَلَّقَةً
 وَفِي ضِفافِكَ وَالأَصْواتِ راجِعَةً
 وَلِيَبْقِ فِي القَمَرِ السَّارِي مُبَيِّضَةً
 وَكُلِّما صافَحَتِكَ الرِّيحُ فِي سَحَرِ
 أَوْ فاحَ فِي الرُّوضِ عَطْرُ فَلْيَكُنْ لَكَ ذَا
 أَحَبِّها وَأَحَبَّتُهُ وَمَا سَلِمَا

يأس

لَمْ أَبْلُغِ الْعِشْرِينَ بَعْدَ وَهْمَتِي وَسَوَادُ شَعْرِي مَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
وَبَيَاضُ أَمَالِي اسْتَحَالَ سَوَادًا سَأْمُرُ يَا رَوْضَ الشَّيْبَةِ تَارِكًا
بَعْدِي غُصُونَكَ فِي الْهَوَا تَنْهَادِي إِنْ كَانَ عُودِي فِي ظِلَالِكَ أَخْضَرَا
فَلَكُمْ بَكَيْتَ نَظِيرَهُ أَعْوَادًا وَلَكُمْ سَمِعْتُ نَظِيرَ صَوْتِي مُنْشِدًا
فَعَدَا يُعِيدُ لَكَ الصَّدَى الْإِنْشَادَا كَمْ قَامَةٍ كَانَ الرَّبِيعُ لَهَا حُلَى
فَمَضَى وَصَارَ لَهَا الْخَرِيفُ جَدَا لَمْ تَجْنِ مِنْكَ يَدَايَ يَوْمًا وَرَدَّةً
إِلَّا اسْتَحَالَتْ بِالشَّقَاءِ قَتَادَا نَارٌ يُجَدِّدُهَا الرَّجَاءُ بِأَضْلَعِي
فَيُعِيدُهَا الْيَأْسُ الْجَدِيدُ رَمَادَا

* * *

كُلُّ امْرِيٍّ بِضَلَالِهِ يَتَمَانَى؟ مَا قَصْدُ رَبِّكَ بِالْوُجُودِ وَقَدْ غَدَا
وَأَبُو الْعَلَا قَبْلِي كَذَلِكَ نَادَى نَادَيْتُهُ وَسَطَ السُّكُونِ مُؤَمَّلًا

اذكريني

عن ألفرد دي موسه «بتصرف»

اذكريني كُلَّمَا الْفَجْرُ بَدَا
واذكريني كُلَّمَا اللَّيْلُ مَضَى
وَإِذَا مَا صَدْرُكَ ارْتَجَّ عَلَى
أَوْ دَعَاكَ الظُّلُّ يَا مَيِّ إِلَى
فَأَسْمَعِي مَنْ دَاخِلِ الْغَابِ صَدَى
فَاتِحًا لِلشَّمْسِ قَصْرَ الْعَجَبِ
هَائِمًا مُلْتَحِفًا بِالشُّهُبِ
نَعْمَ اللَّذَاتِ وَقَتِ الطَّرِبِ
لَذَّةَ الْأَحْلَامِ عِنْدَ الْمَغْرِبِ
هَاتِفِ فِيهَا يُنَادِيكَ اذْكَرِي

* * *

اذكريني إِنْ عَدَا صَرْفُ الْقَدَرِ
يَوْمَ لَا تُبْقِي اللَّيَالِي وَالْعَبْرَ
واذكرني حُبًّا بِهِ قَلْبِي انْفَطَرَ
وَإِذَا الْحُبُّ عَلَى الْقَلْبِ انْتَصَرَ
أَبَدًا مَا زَالَ قَلْبِي الْمُحْتَضِرُ
فَاصِلًا مَا بَيْنَنَا لِلْأَبَدِ
مِنْ رَجَاءِ لِفُؤَادِي الْكَمِدِ
وَوَدَاعًا ذَابَ مِنْهُ كَبِيدِي
عَلَبَ الْبُعْدَ وَطُولَ الْأَمَدِ
نَابِضًا فَهُوَ يُنَادِيكَ اذْكَرِي

* * *

اذكريني عِنْدَمَا أَلْقَى الْمُنُونُ
عِنْدَمَا تَفْتَحُ لِلْفَجْرِ الْجُفُونُ
وَيَضُمُّ التُّرْبُ ذَا الْقَلْبِ الْكَسِيرِ
زَهْرَةَ الْقَفْرِ عَلَى قَبْرِ الْحَقِيرِ

رفيف الأحقوان

لَنْ تَرَى مِنْ بَعْدِهَا ذَاكَ الْحَزِينَ
أَبَدًا نَحْوَكَ كَالأُخْتِ الْحَنُونِ
وَأَسْمَعِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ أَنِينُ
لَنْ تَرَى، لَكِنَّ رُوحِي سَتَطِيرُ
تَحْفَظُ الْعَهْدَ عَلَيَّ مَرَّ الدُّهُورِ
فِي دُجَى اللَّيْلِ يُنَادِيكَ اذْكَرِي

القلب البشري

عنوان خطاب ألقاه الناظم في جمعية شمس البر سنة ١٩٠١. والقصيدة الآتية، والتي تليها «العصفور» قيلتا الأولى في مطلع الخطاب، والثانية في الختام.

أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَاءَ الصُّحْبِ سَادَةَ الْفَضْلِ الْكَرَامِ النُّجُبِ
وَحَمَى اللَّهُ حِمَى جَمْعِيَّةِ جَمَعْتَكُمْ يَا خِيَارَ الْعَرَبِ
هِيَ شَمْسُ الْبِرِّ إِلَّا أَنَّهَا تَجْمَعُ الْيَوْمَ شُمُوسَ الْأَدَبِ
مَا عَسَى يَنْظِمُ فِيكُمْ شَاعِرٌ شَاعِرٌ بِالْعَجْزِ لَا بِالتَّعَبِ
وَقَفَ الْيَوْمَ حَاطِبًا بَيْنَكُمْ بَعْدَمَا وَدَّعَ فَنَ الْخُطْبِ
قَلْبُهُ أَصْلٌ بَلَاهُ فَاغْدُرُوا إِنْ شَكَ مِنْ قَلْبِهِ الْمُضْطَرِبِ
رَأْمٌ أَنْ تُجَلَى لَكُمْ أَسْرَارُهُ فَغَدَا يَرْقُصُ لَا مِنْ طَرِبِ
وَعَدَا خَلْفَ حِجَابِ الصِّدْرِ لَا يَتَمَنَّى غَيْرَ شَقِّ الْحُجْبِ

* * *

سَيِّدَاتِي لَسْتُ أَرْضَى فِتْنَةً أَنْكَرْتُ مَا بَيْنَنَا مِنْ نَسَبِ
إِنَّمَا الْقَلْبُ كِتَابٌ غَامُضٌ فِيهِ لِلْمَرْأَةِ أَسْمَى مَطْلَبِ
وَالَّذِي تَكْتَبُهُ فِيهِ لَنَا مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ فِي الْكُتُبِ
وَلِذَا لَمْ تَلْقَ قَلْبًا خَافِقًا لَا يُنَادِي هِيَ أَصْلُ السَّبَبِ
وَحُفُوقُ الْقَلْبِ دَاءٌ مُزْعِجٌ حَيَّرَ النَّاسَ فَقَالُوا: عَصَبِي
زَعَمُوا الطَّبَّ عَلَيْهِ قَادِرًا وَأَنَا أَدْرَى فَقَدْ جَرَّبْتُ بِي
وَسَمَاءُ الْحُبِّ مَنْ مَنَّا تُرَى لَمْ يُضِيْ فِيهَا لَهُ مِنْ كَوْكَبِ؟

رفيف الأحقوان

كَانَ فِي الْخَاطِرِ أَنْ أَنْظُمُهُ لَكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْنَى عَذِبِ
إِنَّمَا عَهْدُ التَّصَابِي قَدْ مَضَى فَقَضَى الشُّعْرُ بِهِ وَهُوَ صَبِي

العصفور

حَيْرَانَ مُكْتَتِبًا وَمَاذَا تَطْلُبُ
غَيْرَ التَّنْقِيلِ وَالْغِنَا لَكَ مَذْهَبُ
أَمْ أَنْتَ فِي ظَمًا وَمَاؤُكَ يَنْضُبُ
فَعَدَوْتُ مِثْلِي لِلْمَصَائِبِ تَحْسَبُ؟
صَيْدٌ أَخَافُ وَلَا عَدُوٌّ أَرْهَبُ
فَأَنَا عَلَى عُشْيِ أَنْوَحٍ وَأَنْدُبُ
وَهُنَّ وَنَبْتُ الرَّيْشِ مِنِّي مُجِدِبُ
قُوْتًا فَيَتْرُكُهَا لَدَيَّ وَيَذْهَبُ^١
أَسْرِي، عَدْتُ عَنْ نَاطِرِي تَتَحَجَّبُ
كَانَتْ تَلْدُ بِهَا الْحَيَاةُ وَتَعْدُبُ
أَبَدًا نُغْنِي لِلزَّمَانِ وَنَخْطُبُ
بِقُدُومِنَا الْوَادِي الْخَصِيبُ يُرْحَبُ
شَجَرًا وَمِنْ كَاسِ الْأَزَاهِرِ نَشْرَبُ
شَيْخًا يُودِعُ أَوْ صَبِيًّا يَلْعَبُ
مَوْتِي وَأَرْوَاحَ الْأَجْبَةِ نُطْرِبُ

يَا أَيُّهَا الْعُصْفُورُ مَا لَكَ صَامِتًا
قَدْ كُنْتَ لَا تَدْرِي السُّكُوتَ وَلَمْ يَكُنْ
مَاذَا نَهَاكَ فَهَلْ أَصَابَكَ عِلَّةٌ
أَمْ رَاعَكَ الصَّيَادُ عِنْدَ مُرُورِهِ
هَيْهَاتَ لَا مَرَضٌ وَلَا ظَمًا وَلَا
لَكِنْ لِي عُشًّا فَقَدْتُ جَمَالَهُ
أَمْ رُبَيْتُ بِظِلِّهَا وَعَزَيْمَتِي
كَانَتْ تُلَازِمُنِي وَتَسْأَلُ زَوْجَهَا
حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَ الْجَنَاحُ وَطِرْتُ مِنْ
لَكِنْ اتَّخَذْتُ أَلِيفَةً لِي بَعْدَهَا
يَا طَالَ مَا عِشْنَا مَعًا فِي أَلْفَةِ
طَوْرًا تُحْيِيئِنَا الْجِبَالَ وَتَارَةً
وَلَكُمْ مَرْرَنَا فِي الْحَدَائِقِ نَرْتَقِي
وَلَكُمْ هُنَاكَ اسْتَوْقَفْتَ نِعْمَاتِنَا
وَلَكُمْ نَهَبْنَا لِلْقُبُورِ نُسَامِرُ الْ

^١ راجع كتاب العصفور لمشله.

حَتَّى إِذَا وَقَعَ الْقَضَا أُصْبِحْتُ لَا
لَكِنَّ قَلْبِي لَمْ يَزَلْ يَجِدُ الْهَوَى
أُمَّ وَلَا إِلْفٌ يَجِنُّ وَلَا أَبٌ
عَذْبًا وَإِنَّ يَكُ بَعْدَهُمْ يَتَعَذَّبُ

* * *

قَدْ قَالَ لِي الْعُصْفُورُ ذَاكَ وَلَمْ يَزِدْ
وَسَمِعْتُهُ فِي الْجَوِّ يُنْشِدُ حِكْمَةً
وَمَضَى يُشْرِقُ فِي السَّمَاءِ وَيُعْرَبُ
لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِالْمَدَامِمْ تَكْتَبُ
لَا حُبَّ إِلَّا بِالْأَمَانَةِ فَاعْتَبِرْ
فَالْقَلْبُ حُبٌّ وَالْحَيَاةُ تَقَلُّبُ

الشباب

من قصيدة تُلِيَت في حفلة شمس البر بعد خطابٍ للمرحوم نجيب طراد عن الشباب.

يَا خَطِيبَ الشَّبَابِ أَيُّ فَوَادٍ
أَنْتَ سَمَّيْتَهُ رَبِيعًا، وَلَكِنْ
مَا نَدَمْنَا عَلَى الْحَيَاةِ وَحَسْبِي
وَإِذَا رَافَقَ الشَّبَابَ اجْتِهَادٌ
يَا صَبَاحَ الْحَيَاةِ أَلْفَ سَلَامٍ
كُلَّمَا أَدْرَكَتْ بِكَ النَّفْسُ شَيْئًا
أَنْتَ تَبْنِي لَهَا وَتَهْدِمُ مِنْهَا
وَقَرِيبًا فَجْرُ الْمَشِيبِ سَيَجْلُو
وَبِهَيِّ نُورُ الْمَشِيبِ وَلَكِنْ
يَفْضَحُ الْمَرْءَ لَوْنُهُ حِينَ يَبْدُو
وَخِضَابُ الْمَشِيبِ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي
وَسُعُورُ الْحَسَانِ أَصْدَقُ مِنِّي
قُلْ لِمَنْ يَطْلُبُ الصَّبَا وَهُوَ شَيْخٌ

كَانَ مِنْ خِفَّةِ الشَّبَابِ خَلِيًّا
كَمْ شَتَاءٍ بِهِ طَوَيْنَاهَا طَيًّا
أَنَّ بَعْضَ الْحَيَاةِ كَانَ شَهِيًّا
فَحَلَالٌ لَهُوَ الشَّبَابُ لَدِيًّا
فِي صَبَاحِي وَأَلْفَ شَكْوَى عَشِيًّا
نَلْتُ مِنْهَا جَزَاءَ ذَلِكَ شَيًّْا
فَهِيَ تَلْهُو وَالْعُمُرُ يَهْتَفُ هَيًّا
ظَلَمَةٌ لِلشَّبَابِ كَانَتْ عَلِيًّا
لَا تَرَاهُ كُلُّ الْعُيُونِ بِهِيًّا
بَاكِرًا وَالخِضَابُ لَمْ يَتَهَيَّا
جَزِيَّةٌ يَدْفَعُونَهَا شَهْرِيًّا
إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْلِيلَهُ كِيمِيًّا
أَيُّهَا الشَّيْخُ لَنْ تَعُودَ صَبِيًّا

(البقية مفقودة.)

كوبيدون

قَدْ قِيلَ إِنَّ الْحُبَّ يَوْمًا عَرَّهُ
فَأَصَابَ مِنْهُ زَهْرَةٌ حَتَّى إِذَا
هَجَمَتْ عَلَيْهِ نَحْلَةٌ كَمِنتَ لَهُ
وَمَضَى إِلَى قَانُوسٍ يَشْكُو أَمْرَهُ
وَيَقُولُ قَدْ أَدَمْتُ جَبِينِي نَحْلَةٌ
أُمَاهُ ضَاقتُ جِلْدِي، جِلْدِي وَهَى
فَتَأَلَّمْتُ «قَانُوسُ» عِنْدَ سَمَاعِهَا
لَكِنَّهَا ابْتَسَمَتْ لَهُ وَتَلَطَّفَتْ
يَا أَيُّهَا الطُّفْلُ الْغَرِيبُ بِطَبْعِهِ
إِنْ كَانَ لَدَعَةٌ نَحْلَةٌ بِكَ أَتَّرْتُ
مَاذَا يَجِلُّ بِمَنْ سِهَامُكَ لَمْ تَزَلْ

عَطْرٌ يَفُوحُ مِنَ الْحَبِيبِ وَطِيبٌ
مَا شَمَّهَا وَالشَّمُّ فِيهِ غَرِيبٌ
فِيهَا فَعَادَ وَوَجَّهَهُ مَخْضُوبٌ
وَالدَّمَعُ فَوْقَ الْوَجْنَتَيْنِ صَبِيبٌ
مَا رَدَّ عَنِّي قَوْسِي الْمَرْهُوبُ
أُمَاهُ مَا لِي فِي الْحَيَاةِ نَصِيبٌ
شَكْوَى إِلَيْهِ الْحُبُّ وَهُوَ يَدُوبُ
بِالْقَوْلِ وَهُوَ لِصَدْرِهَا مَجْدُوبُ:
عَنْ صَرَعِكَ الْعِشَاقَ لَسْتَ تَتُوبُ
فَظَنَنْتُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْكَ قَرِيبُ
تَرْمِي قُلُوبَهُمْ بِهَا وَتُصِيبُ؟

بكاء الأطفال

للشاعرة الإنكليزية مسز برونن «بتصرف»

هَلْ سَمِعْتَ الْأَطْفَالَ يَا صَاحَ تَبْكِي
كُلُّ طِفْلٍ فِي حُضْنِ مَنْ وَلَدَتْهُ
العصافيرُ في الرِّياضِ تُغَنِّي
وَأَبْتِسَامُ الْأَزْهَارِ كُلِّ صَبَاحٍ
بَاتَ يَبْكِي وَيَسْتَلِدُ الْبُكَاءَ
بِشَدَاهَا يُعَطِّرُ الْأَرْجَاءَ
وَتُغَاءُ الْخِرَافِ يَحْكِي الْغِنَاءَ
قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الْأَسَى وَالشَّقَاءَ؟

* * *

هَلْ سَأَلْتَ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ لِمَآذَا
يَذْرَفُ الشَّيْخُ دَمْعَهُ لِشَبَابٍ
وَعَصُوبُونَ الْأَشْجَارِ تَحْزَنُ إِذْ تَخُّ
وَجِرَاحِ الْأَبْدَانِ تُؤْلِمُ إِنْ لَمْ
مَا اللَّذِي فِي الْبُكَاءِ لَهُ يَنْرَأَى
يَمْسَحُ الْبُرْءُ وَهَجَهَا وَالْدمَاءَ
لَعُ أَيْدِي الْخَرِيفِ عَنْهَا الرِّدَاءَ
ضَيَّعَ الصَّبْرَ بَعْدَهُ وَالرَّجَاءَ

* * *

إِنَّ فِي أَدْمَعِ الصِّغَارِ لَسِرًّا
أَرْضُكُمْ ظَلَمَةٌ وَنَحْنُ صِغَارٌ
مَا مَشِينَا عَلَيْكَ يَا أَرْضُ إِلَّا
لَقَنْتَهُ أَرْوَاحَهَا الشُّعْرَاءَ
وَلَنَا أَرْجُلٌ تُحَاكِي الْهَوَاءَ
خُطَوَاتٍ وَقَدْ سَقَطْنَا عَيَاءَ

رفيف الأحقوان

فَسَلُّوا الشَّيْخَ مَا دَعَا لِبُكَاهُ لَا صِغَارًا فِي أَرْضِهِمْ غُرَبَاءَ
رَاحَةَ الشَّيْخِ فِي التُّرَابِ وَلَكِنْ نَحْنُ جِنْنَا هُنَا نُقَاسِي الْبَقَاءَ

١٩٠١

زيارة من غير موعد

شعر طليق

مَرْحَبًا بِالشَّتَاءِ إِنْ كَانَ غَيْرِي لَا يَرَى فِي الشَّتَاءِ إِلَّا جِدَادًا
مَرْحَبًا بِالشَّتَاءِ وَالْقَلْبُ خَالٍ أَعْبُدُ النَّارَ فِي سُكُونِ اللَّيَالِي
مُسْتَرِيحًا مِنَ الْهَوَى وَهُمُومَهُ لَيْسَ مِنْ زَيْنَبٍ هُنَا أَوْ سَعَادِ
هَذِهِ عُرْزَلَتِي فَنَمَّ يَا فَوَادِي فِي زَوَايَا الْفِكْرِ الْعَمِيقِ مَعَانِ
وَالَى الطُّرْسِ يَا يِرَاعُ فَعِنْدِي أَنْ أَنْ يَطْلُعَ النَّهَارُ عَلَيْهَا
قُلْتُ هَذَا وَمَا حَسِبْتُ حِسَابًا لِلَّذِي خَبَّاتُ يَدُ الْأَقْدَارِ
قُرْعَ الْبَابِ مَنْ تُرَى يَقْرَعُ الْبَابَ بَ وَلَيْسَتْ بِسَاعَةِ الزُّوَارِ
وَدَبِيبُ النَّعَاسِ فِي الْأَجْفَانِ؟ وَدَبِيبُ النَّعَاسِ فِي الْأَجْفَانِ؟
قَالَ لِي افْتَحْ، أَنَا هُوَ الْحُبُّ قُلْتُ أذْ هَبْ، فَمَالِي بِالْحُبِّ يَا حُبُّ شَانُ
قَالَ بَرْدُ الشَّتَاءِ يَقْرُصُ عَظْمِي وَدُمُوعُ السَّمَاءِ تُمَطِّرُ جِسْمِي
وَجَنَاحِي مُهَدَّمٌ مَكْسُورٌ وَجَنَاحِي مُهَدَّمٌ مَكْسُورٌ
عَبْنًا تَطْلُبُ الدُّخُولَ فَنَفْسِي أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ سَلْتِكَ طَوِيلًا
نَسَيْتُ عَادَةَ الصَّبَابَةِ وَالشُّكْ سَوَى وَذِكْرَ الْعُهُودِ وَالتَّقْبِيلِ
نَسَيْتُ فِعْلَ قَوْسِكَ الْمَرْهُوبِ نَسَيْتُ فِعْلَ قَوْسِكَ الْمَرْهُوبِ
قَالَ مَا لِي فِي غَيْرِ نَارِكَ مَطْمَعٍ فَافْتَحِ الْبَابَ لَا يُفِيدُ الْجِدَالَ

افْتَحِ الْبَابَ إِنَّ قَلْبِي تَقَطَّعَ وَإِذَا مُتُّ عِنْدَ بَابِكَ قَالُوا
 عَنْ دَمِي أَنْتَ وَحَدِّكَ الْمَسْتُورُ
 هَكَذَا كَانَ يَسْتَغِيثُ وَيَبْكِي وَلِهَوَجِ الرِّيَّاحِ عَصْفٌ شَدِيدٌ
 رَقَّ قَلْبِي لَهُ فَقُلْتُ أَلَا ادْخُلْ أَيُّهَا الْحُبُّ وَلَيْكُنْ مَا تُرِيدُ
 وَرَجَائِي أَنْ لَا تُطِيلَ الْمُقَامَا
 دَخَلَ الْحُبُّ مُسْرِعًا نَحْوَ نَارِي ثُمَّ حَيًّا وَثَغْرَهُ يَبْتَسِمُ
 وَمَضَى بِالْحَدِيثِ غَيْرَ حَجُولٍ يَتَبَاهَى بِغُرَّةٍ وَحَجُولِ
 وَبِمَا نَالَ مِنْ دُمُوعٍ وَمِنْ دَمٍ
 عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ كَشْعِرِي أَشَقَّرَ اللَّوْنِ صَافِيًا كَالشُّعَاعِ
 أَوْ كَحَدِّي الْأَسِيلِ أَوْ كِلِحَاطِي حِينَ أُرْمِي بِهَا الْفُؤَادَ الْخَلِيًّا
 عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ تَفَرَّسْتُ فِيَّا
 قُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا، وَبِدَارِي أَصْبَحَ الْحُبُّ حَاكِمًا مَا شَاءَ
 أَقْفَلَ الْبَابَ، أَمِنَّا فِي جَوَارِي نَاسِيًا أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ
 وَأَنَا ... قَدْ نَسِيتُ فَتَحَ الْبَابَ

من قصيدة في أكس لبين

رَعَى اللَّهُ «أَكْسًا» مِنْ بِلَادِ جَمِيلَةٍ
سَقَتْهَا عُيُونُ الْمَاءِ عَذْبًا وَمَالِحًا
وَمَا شَاقَنِي إِلَّا بَحِيرَتُهَا الَّتِي
وَقَفْتُ لَدَيْهَا صَامِتًا وَلَمْوَجِهَا
فَلَمْ أَدْرِ هَلْ مِنْهَا اسْتَعَارَ بُكَاءُهُ
وَإِنْ كَانَ فِيهَا اللَّهُ يَبْنِي وَيَهْدِمُ
وَكَمْ صَحَّ فِي كِبْرِيَّتِهَا الْمُتَأَلَّمُ
رَأَى الْوَحْيَ فِيهَا شَاعِرٌ وَمُنِيَّمٌ
أَنْيُنُّ بِأَنْفَاسِ الْمُجِيبِينَ يُنْظَمُ
لَمَرْتَيْنِ أَمْ ذَا صَوْتُهُ يَتَكَلَّمُ

الدستور العثماني

يَا بَنِي عُثْمَانَ أَنْتُمْ أُمَّةٌ
سَيُعِيدُ الْعَدْلُ تَارِيخًا لَكُمْ
فِي حِمَى جَيْشٍ عَزِيزٍ بِأَسَلٍ
ضَرَبَ الظُّلْمَ بِسَيْفٍ قَاطِعٍ
أَصْبَحَتْ مَوْضِعَ إِعْجَابِ الْأُمَّمِ
طُبِعَ الْمَجْدُ بِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ
وَأَسِعَ الْهَمَّةَ كَشَافِ الْغَمِّ
شَقَّ مِنْهُ النُّورُ أَكْبَادَ الظُّلَمِ

* * *

صِيحَ بِالتُّرْكِ فَكَانَتْ صَيِّحَةً
وَسَرَى لِلْعَرْشِ مِنْهَا هَزَّةٌ
وَعَرَا الشَّرْقُ انْقِلَابٌ صَاعِقٌ
وَرَأَيْنَا دَوْلَةَ الْمَاضِي وَقَدْ
أَيَّقَظَتْ مِنْ ضَجْعَةِ الْمَوْتِ الْهَمِّمَ
فَشَفَّتْ يَلْدَرَ مِنْ ذَاكَ الصَّمِّمِ
لَوْ تَمَنَّيْنَاهُ فِي الْأَحْلَامِ لَمْ ...
كَتَبَ الْمَوْتُ عَلَيْهَا «لَا رَحْمَ»

* * *

يَا حُمَاةَ الدَّوْلَةِ الْأَحْرَارِ يَا
كَمْ هَوَتْ أَعْلَامُ مَجْدٍ مِنْكُمْ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَكُمْ أَسَدًا وَعَى
نَضَّتِ السَّيْفَ انْتِقَامًا فَغَدَتُ
نَاصِرِينَ السَّيْفِ فِينَا وَالْقَلَمِ
فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ السَّامِيِّ الْعَلَمِ
دَمُهَا يَجْرِي وَلَا تَسْفِكُ دَمَ
تَقَطَّرُ الرَّحْمَةَ أَسْيَافُ النَّقَمِ

* * *

طَالَ لَيْلُ الدُّلِّ حَتَّى خَلَّتْهُ
وَإِذَا الْقَبْرُ شُعَاعٌ نَيْرٌ
أَبْدِيًّا فَإِذَا الْفَجْرُ هَجَمَ
إِنَّ فِي الْقَبْرِ عِظَاتٍ وَحِجَمَ

مُتَ لَتَحْيَا، كُلُّ شَعْبٍ لَمْ يَجِدْ
لَوْ بَدَا الدُّسْتُورُ جِسْمًا قَائِمًا
بِدِمَاهِ فَهُوَ مَوْجُودٌ عَدَمٌ
لَرَأَيْتُمْ رِمَمًا فَوْقَ رِمَمٍ

* * *

يَا مُلُوكَ الْأَرْضِ هَذِهِ حِكْمَةٌ
إِنَّ لِلْأُمَّةِ قَلْبًا لَأَهْبًا
مِثْلَ قَلْبِ الْأَرْضِ مُشْتَدَّ الضَّرْمِ
وَيْلٌ مَنْ يَمْشِي عَلَيْهِ إِنَّهُ
يَسْتَفِيدُ الْعَدْلَ مِنْهَا مِنْ حَكْمٍ
يَتَمَشَّى فَوْقَ قَذَابِ الْحِمَمِ
مِثْلَمَا يَنْفَجِرُ الْبُرْكَانُ يَنْدُ
فَجَرُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ احْتَدَمَ

* * *

هَلْ تَظُنُّ الْجَيْشَ إِلَّا بَشَرًا
لَسْتَ تَدْرِي يَوْمَ تَأْتِي سَاعَةٌ
مِثْلَنَا فِيهِ شُعُورٌ وَالْمَ؟
يَسْتَفِزُّ الْمُدَّ ذَا الْبَحْرِ الْخِضَمِ
وَهِيَ أَصْوَاتٌ وَأَرْوَاحٌ وَدَمٌ
يَوْمَ تَمْشِي الرِّيحُ فِي أَمْوَاجِهِ
فَإِذَا لَمْ تَلْقَ مَنْ يَلْجُمُهُ
بِلِجَامِ الْعَدْلِ لَمْ تُعْنِ اللُّجَمِ

* * *

قُلْ لِأَهْلِ الْعَرَبِ عَنَّا حَسْبُكُمْ
حَرَّرُوا الشَّرْقَ وَذِي أَعْمَالِهِمْ
إِنَّ لِلْأَتْرَاكِ بَأْسًا وَكْرَمٌ
جَدَّدَتْ صَبَوَتَهُ بَعْدَ الْهَرَمِ
وَلِمَنْ يَطْمَعُ فِي تَفْرِيقِنَا
كَانَ لِلتَّفْرِيقِ عَهْدٌ وَأَنْصَرَمِ
غَيْرُ دِينَ الْحُبِّ لَا دِينَ لَنَا
نَحْنُ فِي الْبُؤْسِ سَوَاءٌ وَالنَّعَمِ

* * *

فَسَلَامًا أَيُّهَا الْعِلْمُ الَّذِي
وَسَلَامًا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي
أَطْلَقَ الْعَقْلَ وَبِالْعَدْلِ قَسَمٌ
نَصَرَ الْعِلْمَ وَمَا خَانَ الْقَسَمِ
وَسَلَامًا يَا هَلَالًا نُورُهُ
فِي سَمَا الْعِيدِ الْجَدِيدِ الْيَوْمِ تَمِ
أَنْتَ طُفْتَ الْأَرْضَ قَبْلًا غَازِيًا
سَتَطُوفُ الْأَرْضَ سِلْمًا يَا عِلْمِ

حريق الأستانة

أقامت جمعية التآخي العثماني التي أنشئت في الإسكندرية بعد إعلان الدستور برئاسة حمادة باشا؛ حفلة خيريةً لمنكوبي حريق الأستانة، وكانت المطربة الشهيرة ليلي لزمي قد انقطعت عن الغناء منذ زمن وأبَت الاشتراك في أية حفلة سمر، ولكنها قبلت الظهور في تلك الحفلة تبرعًا منها وخدمة للخير، فكان الإقبال عليها عظيمًا، وتكلم الناظم باسم الجمعية وهو عضو فيها:

مَا لِي أَرَى هَذِي الْجُمُوعَ سُكَارَى
يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الْجَمِيلِ تَرْفَقِي
إِنِّي أَرَى أُوْتَارَ عُوْدِكَ حَرَكْتُ
قَوْلِي بِرَبِّكَ لِي فَإِنِّي حَائِرٌ
أَنْشَأْتَ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكِ طِفْلَةً
غَنَيْتِ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ لِتُسْعِدِي
أَشْجَاكَ فَقَرُّهُمْ وَأَنْتِ غَنِيَّةٌ
وَبَدَلْتِ لِلْأَسْمَاعِ صَوْتِكَ بَعْدَمَا
أَطْلَقْتِ ذَاكَ الطَّيْرَ مِنْ أَقْفَاصِهِ
وَالْيَوْمَ يَخْفِقُ قَلْبُ سَامِعِهِ فَلَا

أَدْرِي لَحْظًا أَمْ أَدْرِي عُقَارًا
فَلَقَدْ فَتَنْتِ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَا
فِي كُلِّ قَلْبٍ لِلْهَوَى أُوْتَارًا
وَلَكُمْ فَتَى مِثْلِي بِمِثْلِكَ حَارَا
أَمْ كَانَ شُحْرُورُ الرَّبِّي لَكَ جَارَا؟
قَوْمًا غَدَتْ أَفْرَاحُهُمْ أَكْدَارًا
فَأَزَحْتِ عَنْ ذَاكَ الْخِبَاءِ سِتَارَا
شَاقَ الْقُلُوبَ وَتَيَّمَ الْأَفْكَارَا
فَالْيَوْمَ يُخْجَلُ شَدْوُهُ الْأَطْيَارَا
يَدْرِي أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُّ النَّارَا

* * *

أَحْرِيْقَ إِسْلَامَبُولَ هَجَّتْ لَوَاعِجَا
وَجَعَلَتْ أَعْيَادَ السُّرُورِ قِصَارَا

هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَرَيْتَنَا فِيهَا الْجَحِيمَ تُعَذِّبُ الْأَبْرَارَا
هَجَرُوا الْبُيُوتَ وَقَدْ تَدَاعَتْ فَوْقَهُمْ فَإِذَا نَظَرْتَ ظَنَنْتَهُمْ أَحْجَارَا
تَخَذُوا الظَّلَامَ دِثَارَهُمْ فِي عُرْيِهِمْ فَإِذَا مَضَى لَيْسُوا النَّهَارَ دِثَارَا
فَكَتَّ يَدُ الدُّسْتُورِ قَيْدٌ إِسَارِهِمْ فَإِذَا هُمْ بِيَدِ الشَّقَاءِ أَسَارَى

* * *

دَارَ السَّلَامِ سَلِمْتَ لِلْعَلْيَا وَلَا أَخْلَى الزَّمَانُ مِنَ الرِّضَى لِكَ دَارَا
كَمْ مَسَّ جَانِبِكَ اللَّهَيْبُ فَلَمْ تَرَي كَالْيَوْمِ إِخْوَانَا وَلَا أَنْصَارَا
لِكَ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ أَحْرَارٌ غَدَا يَتَعَشَّقُونَ رِجَالِكَ الْأَحْرَارَا
جَمَعَ التَّآخِي بَيْنَهُمْ فَعَدَا لَهُمْ دِينًا تَيَمَّنَ بِالْهَلَالِ شِعَارَا
فَتَعَدَّدَتْ أَنْسَابُهُمْ وَتَوَحَّدُوا فَهُمْ يَهُودٌ مُسْلِمُونَ نَصَارَى

* * *

الْيَوْمَ أَنْتِ أَعْنَيْتَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ وَقَضَيْتِ يَا لَيْلَى لَهُمْ أَوْطَارَا
يَفْنَى الزَّمَانُ وَفَضْلُ صَوْتِكَ خَالِدٌ فَنِيًّا يَطُوفُ بِهِ الصَّدَى الْأَقْطَارَا
وَيَشُوقُنَا كَالْغَابِ أَوْ كَالْمَوْجِ أَوْ كَاللَّيْلِ لَمْ نُدْرِكْ لَهُ أَسْرَارَا
فِيَالِيكِ يَا لَيْلَى التَّنَاءَ مُضَاعَفَا مِنِّْي الْقَصِيدَ وَمِنْهُمْ الْأَزْهَارَا
أَنْتِ انْتَرِي الْأَلْحَانَ دُرًّا بَاهِرَا وَأَنَا بِنْتُرِكَ أَنْظُمُ الْأَشْعَارَا

السيف

للشاعر الفرنسي سولي بريدم

لِدْفَعِ مَلِمَةً أَمْ لِلرُّوَاءِ
أَرَى حَدًّا أَدَقَّ مِنَ الْهَبَاءِ
وَأَعْطَافًا تَلِينُ مَعَ الْهَوَاءِ
وَلَمْ تُخْلَقْ لِأَعْمَالِ الْبِنَاءِ
وَلَا لِلزَّرْعِ تَضْرِبُ فِي الْعَرَاءِ
جَبِينُكَ فَوْقَهُ قَطْرَاتُ مَاءٍ
وَقَدْ خَضِبُوكَ مِنْ شَمْسِ الْمَسَاءِ
وَأَيُّ مَزِيَّةٍ لَكَ فِي الْمَضَاءِ؟

أَنَا السَّيْفُ الَّذِي لِلْفَتَكِ يُدْعَى
تَمُدُّ لِي الْمُلُوكُ يَدًا فَأَسْعَى
فَتَدْفَعُ بِي الْجُنُودُ الْمَوْتَ دَفْعًا
وَيَهْوَى التَّاجُ مِنْ حَدَائِي لَمْعًا
وَلَا أَنْفَكَ بِالْأَطْمَاعِ أَرْعَى
وَأَزْرَعُ فِي الدَّرُوبِ دَمًا وَدَمْعًا
إِلَى أَنْ تَلْبَسَ الْأَجْسَادُ دِرْعًا
يَحُوكُ نَسِجَهَا «حَقُّ الْبَقَاءِ»

المرأة والشاعر

ختام خطاب في المرأة والشعر، ألقى في الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٠٣.

المرأة:

عُدْ لِلْهَوَى فَرَبِيعُهُ قَدْ عَادَا
وَعَلَى الْأَرَائِكِ لِلْهَزَارِ مَوَاقِفُ
فَعَلَامَ شِعْرُكَ لَا يَكُونُ لَهَا صَدَى
وَالْعُشْبُ لِلْعُشَّاقِ مَدٌّ وَسَادَا
تَسْتَعْبِدُ الْأَرْوَاحَ وَالْأَجْسَادَا
أَعْدِمْتَ نَطْقًا أَمْ عَدِمْتَ فُؤَادَا

الشاعر:

لَا لَا فَقَلْبِي قَدْ عَرَفْتَ خُفُوقَهُ
لَمْ أَبْلُغِ الْعِشْرِينَ بَعْدُ وَهَمَّتِي
وَسَوَادُ شِعْرِي مَا تَبَدَّلَ لَوْنُهُ
فَدَعِي اعْتِرَاضِكَ وَأَخْلَعِي عَنِّي الْهَوَى
هَيَّهَاتَ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ جِمَادَا
مَلَّتْ بِمَيْدَانِ الْحَيَاةِ جِهَادَا
وَبَيَاضِ آمَالِي اسْتَحَالَ سَوَادَا
فَلَقَدْ كَفَانِي شَقْوَةٌ وَسَهَادَا

المرأة:

عَجَبًا أَتَنَسَى أَنْ قَيْدَكَ فِي يَدِي
مَلَّ الصَّبِيُّ مِنَ الْحَيَاةِ وَعَبْرُهُ
أَتَرَكَ لَمْ يَبْلُغْكَ أَنْ فَضَائِلِي
حَتَّى طَمِعْتَ بِأَنْ تَفُكَّ قِيَادَا
شَابَتْ نَوَاصِيهِ وَزَادَ فَسَادَا
تَرَكَتْ عِبَادَ اللَّهِ لِي عُبَادَا

مَنِّي دَلِيلًا أَيْنَ سِرْتِ وَرَادَا
فِي نَوْرِ وَجْهِي الْكَوْكَبَ الْوَقَادَا
ضَعْفِي لِضَعْفِكَ قُوَّةً وَعِمَادَا
أَجْدَى بِمُخْتَرَعَاتِهِ وَأَجَادَا
أَوْ عَمَّرْتَ لَوْلَايَ مِنْكَ بِلَادَا
دَنْفٌ بِطِبِّكَ مَا اشْتَهَى وَرَادَا
لَوْ كُنْتُ وَحْدَكَ هَلْ ذَكَكَ أَفَادَا
أَوْ فِي الْجَحِيمِ يُنَاشِدُ الْوَقَادَا
وَيَزُورُ فِي عُمَرَانِهَا بَعْدَادَا
أَوْ عَبْدٌ عَبَسَ رِقَّةً وَجِلَادَا
سَلِمَى وَدُعْدُ وَزَيْنَبَا وَسَعَادَا
فَوْقَ الْمَنَابِرِ بِالْمَحَبَّةِ نَادَى

هَلْ سِرْتِ فِي قَفْرِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَجِدْ
هَلْ فَاتَكَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ وَلَمْ تَجِدْ
هَلْ شَتَّتْ إِدْرَاكَ الْعَلَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
هَلْ كَانَ عَقْلُكَ لَوْ غَضَضْتَ نَوَاطِرِي
تِلْكَ الصَّنَائِعُ وَالْفُنُونُ هَلْ ارْتَقَتْ
هَلْ نَالَ فِي الْأَمْرَاضِ لَوْلَا عَلَّتِي
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَفُورُ بِنِعْمَتِي
مَنْ كَانَ فِي الْفِرْدَوْسِ يَنْشُدُ ضَائِعًا
مَنْ رَاحَ يَزُورِي مَجْدٌ أُنْدَلِيسَ لَنَا
مَنْ لَقِبَ الْمَلِكِ الْمُضَلَّلَ فِي الْهَوَى
أَنْسَيْتَ فِي وَادِي الْعَقِيقِ وَضَالَهُ
أَوْلَسْتَ أَوْلَ شَاعِرٍ فِي شِعْرِهِ

الشاعر:

وَأَتُوبُ لَا طَمَعًا وَلَا اسْتِنْجَادَا
أُمِّي فَلَوْلَا الْأُمُّ مَجْدُكَ بَادَا
تُحْيِي الْعِيَالَ وَتَحْضِنُ الْأَوْلَادَا
تُنْسِي السَّقِيمَ الطَّبَّ وَالْعَوَادَا
فِي الْبُعْدِ عَنْكَ وَمَنْ يَطِيقُ بَعَادَا
لَوْلَاكَ مَا عَرَفَ الْوَرَى إِنْشَادَا

عَفْوًا فَهَائِنْدَا أُقْرُ بِزَلَّتِي
أَجْتُو عَلَى أَقْدَامِ جِنْسِكَ ذَاكِرًا
وَأَجِلُّ فِيكَ رَفِيقَةَ الْعُمُرِ الَّتِي
وَأَكْرَمُ الْأُخْتِ الَّتِي بِحَنَانِهَا
ضَلَّ الَّذِي ظَنَّ الْحَيَاةَ جَمِيلَةً
الْكُونُ شِعْرٌ أَنْتِ بَيْتُ قَصِيدِهِ

أحمد شوقي

من قصيدة فيه نُظِمَت عند صدور ديوانه الأول.

حَطَبْتِكَ إِلَهَةَ الْغِنَاءِ فَأَنْتَ فِي
تَسْقِي بِمَاءِ الشُّعْرِ أَشْجَارَ الْهَوَى
وَتُشَارِكُ الْأَطْيَارَ فِي أَلْحَانِهَا
نِعَمَاتُ عُوْدِكَ فِي فُؤَادِي حَرَكْتُ
عُوْدًا إِذَا سَمِعُوا صَدَى إِيقَاعِهِ
أَوْتَارُهُ لَمَّا سَمِعْتُ رَيْنَهَا
فَتَرَكْتُ أَسْلِحَةَ الطَّبِيبِ مُحَرِّكًا
وَسُئِلْتُ مَنْ تَشْتَاقُ قُلْتُ لِأَحْمَدَ

رَوْضٍ يَضُمُّ الْوَرْدَ وَالنَّسْرِينَ
وَتَهْزُ أَوْزَاقًا لَهُ وَعُصُونًا
فَتَرَى بِأَنَّكَ فُقَّتْهَا تَلْجِينًا
شَوْقًا لِنَظْمِ الشُّعْرِ كَانَ دَفِينًا
ذَكَرُوا الْأَلْمَبَ وَأَهْلَهُ الْخَالِينَ
تَرَكْتُ لِأَوْتَارِ الْفُؤَادِ رَيْنِينَ
قَلَمِي وَلَمْ يَكْ مِثْلَهَا مَسْنُونًا
شَوْقِي إِذَا صَدَقَ الْفُؤَادُ ظُنُونًا

* * *

يَا أَحْمَدَ الشُّعْرَاءِ أَيْنَ مَكَانُهُمْ
وَقِفُوا عَلَى إِطْلَالِهِمْ يَبْكُونَهَا
وَعَمَسْتَ فِي الْمَاضِي يَرَاعَةَ صَادِقٍ

مَنْ شَاعِرٍ نَظَّمَ الْقَرِيضَ فُنُونًا
فَسَبَقْتَهُمْ وَتَرَكْتَهُمْ يَبْكُونًا
نَقَلْتُ سَطُورَ الْحَقِّ لِلْآتِينَ

* * *

يَا مِصْرُ فِيكَ الْيَوْمَ أَشْرَفَ نَهْضَةٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَمَلِ سِوَاكَ لِتَزْدَهِي
جَدَّدْتَ سُوقَ عُكَاطٍ بَعْدَ عَفَائِهَا

تُحْيِي بِهَا اللُّغَةَ الشَّرِيفَةَ فِينَا
وَتُزِيكُ عُوْدَ شَبَابِهَا وَتُرِينَا
لَكِنْ عُكَاطُ الْيَوْمِ لَا تَكْفِينَا

فَأَرَيْتِنَا دَارَ السَّلَامِ جَدِيدَةً وَأَرَيْتِنَا الْعَبَّاسَ فِيكَ هَرُونًا

* * *

يَا شَاعِرَ النَّيْلِ احْتَفِلْ بِتَجِيَّةِ حَمَلَتْ إِلَيْكَ مَحَبَّةً وَحَنِينًا
أَهْدِي لِحَافِظِ مِثْلِهَا وَلِكُلِّ مَنْ فِي مِصْرَ أَنْشَدَ حِكْمَةً وَشُجُونًا
حَتَّى يُمْتَعِنِي الزَّمَانُ بِزُورِهِ لَكُمْ تَقَرُّ بِهَا النَّوَاطِرُ حِينًا

إلى صديق مفارق

فَلَيْسَ يُطِيقُ فِرَاقَ الصَّدِيقِ
يَقُولُ لِمَصْدَرِي ابْتَعِدْ مِنْ طَرِيقِي
لَأَجْلِكَ كَأَنَّ شَدِيدَ الْخُفُوقِ
وَعَيْشَ بَقْرَبِكَ زَاهٍ أَنْبِقِ
مِثَالُ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ الصَّدُوقِ
وَمَتَّعْتُ نَفْسِي بِقَلْبٍ شَفُوقِ
مَعَانِي النَّسِيمِ وَمَعْنَى الرَّحِيقِ
أَقُولُ لِنَفْسِي أَلَا لَا تُفِيقِي
لِيَجْعَلَهَا فِي اضْطِرَابٍ وَضِيقِ
عَزَمْتُ فَكُنْتُ رَفِيقَ الطَّرِيقِ
وَأَلْتَمَّ عَهْدَ الْوَفَاءِ الْوَثِيقِ
هَوَى الشُّعْرَاءِ لِمَاءِ الْعَقِيقِ
حَرَصْتَ عَلَيْهَا بِلُجِّ عَمِيقِ
سَهَرْتُ وَبَدْرُكَ فِيهَا رُفِيقِي
زَمَانًا بِهِ كَمْ غَصِصَتْ بَرِيقِي
جَعَلْتُ صَبُوحِي بِهِ وَعَبُوقِي

رُؤْيُكَ رَفَقًا بِقَلْبِي الرَّقِيقِ
يَكَادُ إِذَا مَا ذَكَرْتُ النَّوَى
وَمَا هُوَ أَوْلُ يَوْمٍ بِهِ
فَسَقِيًّا لِأَيَّامِنَا الْمَاضِيَاتِ
زَمَانٌ أَرَانِي الزَّمَانَ بِهِ
فَمَتَّعْتُ عَيْنِي بِوَجْهِ صَبِيحِ
وَذُقْتُ حَلَاوَةَ خُلُقِ حَوَى
فَرَحْتُ بِوُدِّكَ ذَا نَشْوَةِ
وَمَا كَانَ إِلَّا بِعَادِكَ عَنْهَا
عَزَمْتُ الرَّحِيلَ وَيَا لَيْتَنِي
أَسَامِرُ فَيْكَ النَّدَى وَالْمَعَالِي
وَأَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا هَوَيْتُ
فَأَنْشُدُ يَا بَحْرُ أَيَّنَ لَالٍ
وَأَنْشُدُ يَا دَهْرُ أَيَّنَ لِيَالٍ
أَهَجَّتْ بِي الشُّعْرَ بَعْدَ السُّكُوتِ
وَلَوْ كَانَ فِي الشُّعْرِ دَفْعُ فِرَاقِ

الربيع

نَيْسَانُ يَا مَلِكَ الشُّهُورِ تَحْيَّةُ
لَكَ كُلَّ عَامٍ زُورَةٌ مَحْبُوبَةٌ
مَا هَذِهِ الْحُلُلُ الَّتِي تُكْسَى بِهَا
هَلْ شَاطَرَتَكَ الشَّمْسُ دُرٌّ شُعَاعِهَا
أَمْ تِلْكَ «حَوْلِيَّاتٌ» شِعْرِكَ تَوَجَّتْ
مَنْيَ أَرَدَدَهَا بِكُلِّ مَكَانٍ
هِيَ يَقْظَةُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
فَيَظِلُّ نُورُكَ بَاهِرَ اللَّمَعَانِ
فَعَدَوْتُ مِنْ هُجْرَانِهَا بِأَمَانٍ
زَمَنَ الْهَوَى يَا شَاعِرَ الْأَزْمَانِ

* * *

لَكَ يَا رَبِيعَ الدَّهْرِ عِنْدِي زِمَّةٌ
لَوْ أَنْصَفُوا تَرَكَوا الْقُصُورَ وَعَبَدُوا
مَا لِي وَلِلْإِجْهَادِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ
يَتَنَازَعُونَ عَلَى الْحَيَاةِ وَلَوْ دَرَوْا
هِيَ سَاعَةٌ لِلْحُبِّ مَا سَكَتَتْ عَلَى
تَرَعَاكَ فِي صَدْرِي وَفِي أَجْفَانِي
لَكَ فِي ظِلَالِ الرُّوضِ وَالْبُسْتَانِ
غَيْرَ الْهَجِيرِ وَغَلَّةِ الظَّمَانِ
وَجَدُوا الْحَيَاةَ بَصَدْرِكَ الْمَلَانِ
نَدَمٌ وَلَا دَقَّتْ عَلَى خُسْرَانِ

* * *

يَا أَرْضُ يَا وَطَنَ الْجَمِيعِ وَإِنْ تَكُنْ
إِنْ كُنْتِ مَأْوَى الْجِسْمِ بَعْدَ جُمُودِهِ
أَرْوَاحٌ مَنْ نَبَكِي بَعْنَتْ رُسُومَهَا
«فِي كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرْقِرُقُ بِالنَّدَى»
فَسَمَتِكَ أَلْسُنُهُمْ إِلَى أَوْطَانِ
فَالْجِسْمُ لَيْسَ مَعَ الْجُمُودِ بِفَانِ
فِي الزَّهْرِ ضَاحِكَةٌ وَفِي الْأَغْصَانِ
عَيْنٌ تُخَاطِبُنَا بِأَلْفِ لِسَانِ

* * *

لَوْ تَخَرَّقَ الْأَبْصَارُ صَدْرَكَ لَمْ تَجِدْ
تُرْوِي عَنَاصِرَهُ الْجُدُورَ وَدُونَهَا
حَتَّى إِذَا شَبِعَتْ تَصَاعَدَ مَاؤُهَا
وَيَمُرُّ فِي الْأَغْصَانِ يَمْلُؤُهَا دَمًا
عَمَلٌ يَضِيعُ الْعَقْلُ فِي ظُلُمَاتِهِ
تَطْوَى الْحَيَاةُ بِهَا فَتَنْشُرُ زَهْرَةً
إِلَّا فُؤَادًا دَائِمَ الْخَفَقَانِ
شَبِكُ مِنَ الْأَلْيَافِ وَالْقُضْبَانِ
يُهْدِي إِلَى الْأُورَاقِ خَيْرَ لَبَانِ
شَرِيَانُهُ وَوَرِيدُهُ سَيَّانِ
وَقُوَى تُصَرِّفُهَا يَدُ الْعُمَرَانِ
هِيَ — لَوْ عَلِمْتَ — شَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ

* * *

لَيْتَ الْحَبِيبَ يُفِرُّ يَوْمًا نَاطِرِي
فِي الصِّدْرِ أَخْلَاقُ الشَّبَابِ حَبَسَتْهَا
لَكِنْ إِذَا مَا مَسَّهَا بِيَمِينِهِ
وَرَأَى مِنَ الْأَسْرَارِ طَيِّ بُرُودِهَا الْ
وَعَدَا يُعِيدُ عَلَى فُؤَادِي وَحْيَهُ
فَأَقُولُ لِلزَّهْرِ الْمُنِيرَةِ غَيْبِي
وَأَقُولُ لِلنَّسْرِ الْمُحَلَّقِ فِي الْعَلَى
وَأَقُولُ لِلْغَابِ الْفَصِيحِ سُكُوتَهُ
وَأَقُولُ لِلسَّاقِي كُنُوسِكَ مُرَّةً
وَأَقُولُ لِلأَقْلَامِ بَعْدَ جُمُودِهَا
وَكَمَا رَأَيْتُكَ يَا رَبِيعُ يِرَانِي
وَمَنَعْتَهَا عَنْ مَعَشِرِي وَزَمَانِي
هَبَّتْ فَكَانَ لَهُ رَبِيعُ ثَانِ
حَضْرَاءَ مَا يُغْنِيهِ عَنْ نَيْسَانَ
لُغَةَ الرَّجَا وَالْحَبِّ وَالْإِيمَانَ
مَا شِئْتُ نُورِكَ فَهُوَ نُصْبُ عِيَانِي
مَهْمَا سَمَوْتَ فَلَسْتَ تَبْلُغُ شَانِي
بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ شَجِيٍّ مَعَانِي
إِلَّا إِذَا مُزَجْتَ بِخَمْرِ بِيَانِي
غَنِّي فَأَنْتِ الْيَوْمَ طَوْعُ بِنَانِي

* * *

هَذِي عَجَائِبُ مَنْ أَحِبُّ فَلَيْتَهُ
مَا زِلْتُ أَسْأَلُ عَنْهُ إِخْوَانَ الْهَوَى
إِنْ كَانَ يَفْهَمُنِي فَيَا لِسَعَادَتِي
يَأْتِي فَيُلْهَبُ خَاطِرِي وَجَنَانِي
حَتَّى عَلِمْتُ بِأَنَّنا أَخْوَانَ
أَوْ كُنْتُ أَجْهَلُهُ فَمَا أَشْقَانِي

الزهرة والفراسة^١

مَنْ فَرَّاشِ الْحَقْلِ يَوْمًا سَأَلْتُ
لَكَ كَالنَّجْمِ اخْتِفَاءً وَظُهُورًا
مَالِنًا نَفْسِي غِيَابًا وَحُضُورًا
أَبَدًا أُرْشَفُكَ الثُّغَرَ الطُّهُورًا
لَا تَرَى إِنْسًا وَلَا تَخْشَى سُورًا
وَتَفَاهَمُنَا حَفِيفًا وَشُعُورًا
فَكِلَانَا زَهْرَةً تَسْطَعُ نُورًا
سُوءَ حَظِّي جَعَلَ الْفَرْقَ كَبِيرًا
بِالْتَّرَى رَابِطَةً جِسْمِي الْأَسِيرًا
تَتَزَوَّدُ عَطْرَهَا إِلَّا يَسِيرًا
تَائِهًا فِي الْجَوْ زَهْوًا وَسُرُورًا
حَوْلَ جِسْمٍ عَاجِزٍ عَنِ أَنْ يَدُورًا
بِفُؤَادٍ لَمْ يَكُنْ عِنكَ صَبُورًا
كُلَّمَا عُدْتُ مَعَ الْفَجْرِ مُنِيرًا

زَهْرَةٌ فِي الْحَقْلِ يَوْمًا سَأَلْتُ
مَا الَّذِي يُلْهِيكَ عَنِّي جَاعِلًا
غَائِبًا جِينًا وَحِينَ حَاضِرًا
أَفَمَا أَنْتَ رَفِيقِي فِي الْهَوَى
عَائِشًا فِي عَزَلَةِ الْحُبِّ مَعِي
قَدْ تَمَائَلْنَا جَمَالًا وَسَنَى
وَلَبَسْنَا ثُوبَ نُورٍ وَاحِدٍ
لَا أَرَى مَا بَيْنَنَا فَرْقًا، بَلَى
أَنْتَ فِي الْجَوْ طَلِيقٌ وَأَنَا
كَمْ سَرَتْ نَحْوِكَ أَنْفَاسِي فَلَمْ
هَائِمًا بَيْنَ أَزَاهِيرِ الرَّبَى
وَأَنَا أَنْظُرُ ظِلِّي دَائِرًا
وَأَبِيتُ اللَّيْلَ أَشْكَو وَحَشْتِي
وَلِذَا تَلَقَى بِجَفَنِي أَدْمَعًا

^١ القسم الأول مأخوذ عن فكتور هيكو، والثاني أي جواب الفراشة لصاحب الديوان.

هَاجِرِي، إِنَّ صَحَّ عَهْدُ بَيْنِنَا فَدَعِ الْهَجَرَ طَوِيلًا وَقَصِيرًا
وَاتَّخِذْ مِثْلِي أَصْلًا فِي الثَّرَى أَوْ أَعِزِّ جِسْمِي جَنَاحًا فَاطِيرًا

* * *

زَهْرَتِي مَا زِلْتُ أَهْوَى فِي الْحَمَى تَغْرِكَ اللَّؤْلُؤَ وَالصَّدْرَ الْحَرِيرًا
وَبِعَايِي عَنْكَ سِرٌّ أَدْرَكْتُ أَخَوَاتُ لَكَ مَعْنَاهُ الْخَطِيرًا
أَنَا كَالرِّيْحِ رَسُولٌ لِلْهَوَى مِثْلَهَا حَمَلْنِي شَوْقًا كَثِيرًا^٢
تِلْكَ ذَرَاتُ غُبَارٍ أَخَذْتُ بِذِيُولِي حِينَ أَرَمَعْتُ الْمَسِيرًا^٣
عَجَبًا لَمْ أَشْكُ مِنْهَا، وَهِيَ إِذْ لَأَمَسَتْ صَدْرَكَ أَدَكْتَهُ سَعِيرًا
مَا عَرَفْتِ الْحُبَّ لَوْلَاهَا وَلَا ذَبَلْتِ أَجْفَانِكَ الْيَوْمَ فُتُورًا
زَهْرَتِي لَوْ كُنْتِ مِثْلِي حُرَّةً أَيْنَ أَلْقَى بَعْدَكَ الرَّوْضَ النَّضِيرًا
وَإِذَا عَفْتُ أَنَا أَجْنَحَتِي كَيْفَ أُعْطِي قُبُلْتِي تِلْكَ النَّعُورًا
نَحْنُ بِالْفَرْقِ الَّذِي تَشْكِينُهُ نَتَسَاوَى، فَاطْرَجِي عَنْكَ الْغُرُورًا
وَدَعِي اللَّوْمَ كِلَانَا حَامِلٌ عَلِمَ الْحُبُّ، فَرَأَشَا وَزُهُورًا

^٢ أي كما تحمل الريح رسائل الشوق، حملني أخواتك الأزهار هذا الشوق الكثير.

^٣ ذرات الغبار الأصغر أي اللقاح أو البولن Pollen الذي يعلق بالفراش من الزهر، وهذه الذرات هي

معنى الشوق.

العيون

فَلَدَيَّ مِنْ عَيْنَيْكَ وَحَيِّ نَاصِرُ
لِيُعِيدَهَا دُرًّا إِلَيْكَ الْخَاطِرُ
مَا لَمْ يُفَجِّرْهَا بِنَانُ سَاحِرُ
هِيَ لِلْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ مَصَادِرُ
لِلنُّورِ فِي عَيْنَيْكَ بَحْرٌ زَاخِرُ
طَمَعًا وَمَا أَنَا بِالسَّبَّاحَةِ مَاهِرُ
غَرَّقُ يَكُونُ بِهِ هَوَاكَ الْغَامِرُ

إِنْ يَعْصِنِي يَوْمًا يَزَاعِي الْقَاصِرُ
هَلْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ غَيْرَ أَشْعَةٍ
أَنَا صَخْرَةُ الْقَفْرِ الَّتِي لَا تُسْتَقَى
عِنْدِي مَصَادِرُ لِلدُّمُوعِ خَفِيَّةٌ
أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ عَنْكَ فَإِنَّهُ
خَاطَرْتُ مُغْتَرًّا بِصَفْوِ مِيَاهِهِ
فَغَرِقْتُ عِنْدَ ضِفَافِهِ، يَا حَبْدًا

* * *

مِنْ كَامِنِ الْأَسْرَارِ جَفْنٌ فَاتِرُ
لَمْ يَنْجُ مِنْهَا مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرُ
رِ وَاللُّزْهُورِ وَاللِّبْحُورِ مَنَاطِرُ
أَنْشَدْتَهُ يَا لَيْلُ مَا لَكَ آخِرُ
الْمَوْتُ سِرٌّ وَالْحَيَاةُ الظَّاهِرُ
إِنْسَانُهَا وَهوَ الْإِلَهُ الْقَادِرُ

يَا لِلْعُيُونِ وَمَا يُحَرِّكُهُ بِهَا
خُلِقَتْ سَبِيلًا لِلضَّلَالَةِ وَالْهُدَى
فِيهَا مَعَانٍ لِلْخُمُورِ وَاللِّطْيُو
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَمِيقِ سَوَادِهَا
الْمَوْتُ فِيهَا وَالْحَيَاةُ تَلَاقِيَا
فِي دِقَّةِ التَّرْكِيبِ أضعفُ كَائِنٍ

* * *

مَا نَالَ مِثْلُهُمَا الْغَزَالُ النَّافِرُ
فَأَنَا مُقِيمٌ فِي الْهَوَى وَمُسَافِرُ

لَا تُنْكِرِي، عَيْنَاكَ شَاهِدَتَانِ لِي
حَمَلْتَنِي الضَّدَيْنِ مِنْكَ وَمِنْهُمَا

لِلْفِكْرِ أَغْلَالٌ وَلَيْسَ مُقَيِّدًا
رُوحِي وَرُوحُكَ لُجَّتَانِ تَشَابَهَا
فَلْتَجْعَلِ النَّظْرَاتُ جِسْرًا بَيْنَنَا
أَيُّكُونُ لِي قَلَمٌ وَأَكْتُمُ أَمْرَهُ
أَمْ كَيْفَ أَحْبَسُ عَنْكَ فَيْضَ قَرِيحَتِي
أَنْتِ الْغَنِيَّةُ قَبْلَ مَالِكِ بِالذِّكَا
أَنَا أَسْتَقِلُّ الْمَالَ إِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ
وَأَرَى الْجَوَاهِرَ فِي النُّحُورِ حَقِيرَةً
وَلَقَدْ عَرَفْتُكَ فَاکْتَفَيْتُ بِمَا أَرَى
لِلْقَلْبِ أَجْنِحَةٌ وَمَا هُوَ طَائِرُ
عُمَقًا وَفَوْقَهُمَا الْحَيَاءُ الْخَافِرُ
تَجْتَازُهُ مِنِّي وَمِنْكَ سَرَائِرُ
وَاللَّحْظُ فِي الْأَقْلَامِ نَاهِ أَمْرُ
وَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ إِنِّي شَاعِرٌ؟
وَخَلَائِقُ هِيَ كَالرَّبِيعِ نَوَاضِرُ
مَعَهُ مِنَ الْأَدَابِ حَظٌّ وَأَفْرُ
إِنْ لَمْ يَزِنْ تِلْكَ الْعُقُولِ جَوَاهِرُ
نَفْسٌ مُهَذَّبَةٌ وَخُلُقٌ طَاهِرُ

أيار ١٩١١

أيها الطائر الشريد

من رواية فتح مصر للمؤلف. تُغنى هذه الأبيات عندما تُؤخذ فتاة النيل لتُقدّم ضحيةً مقدّسةً.

أَيُّهَا الطَّائِرُ الشَّرِيدُ	مَا الخَبَرُ
أَنْتَ تَبْكِي فَهَلْ بَعِيدُ	ذَا السَّفَرُ
وَدَّعِ النَّخِيلُ	وَالْحَنْدُقُوقُ
وَاتَّبِعِ النَّيْلُ	حَيْثُمَا يَسِيرُ
تُسْمِعُ الغَرِيقُ	صَوْتَكَ الرَّقِيقُ
هَلْ شَجَاكَ القَمَرُ	وَاحْمِرَارُ العُيُونُ
أَمْ جَفَاكَ الشَّجَرُ	وَاهْتِرَازُ الغُصُونُ
أَمْ مَلَأْتَ البَقَاءُ	بِديَارِ الشَّقَاءِ
أَيُّهَا الطَّائِرُ الشَّرِيدُ	مَا الخَبَرُ
أَنْتَ تَبْكِي فَهَلْ بَعِيدُ	ذَا السَّفَرُ؟
فَيَجِيبُهَا الصَّوْتُ الخَفِي	بَعِيدُ، بَعِيدُ

(ويُسَدَل الستار.)

البنفسجة

فِي الشَّكْلِ وَالتَّصْوِيرِ وَالْعَطْرِ
وَأَحْبُهُ فِي بَارِزِ الصَّدْرِ
مَا دَامَ فِيهِ حَيَاؤُهُ الْعُذْرِي
أَجْرَتْ دُمُوعَ عَرَائِسِ الشَّعْرِ
نَبَتَتْ وَعَاشَتْ عَيْشَةَ الطُّهْرِ
وَسَوَى عِنَاقِ الْمَاءِ لَمْ تَدْرِ
سُكْرًا وَقَدْ شَرِبْتَ نَدَى الْفَجْرِ
لَوْ عَشْتُ خَالِدَةً بِذَا الْقَفْرِ
حُسْنِي وَلَا مِنْ عَارِفٍ قَدْرِي
وَنَعِمْتُ بَعْدَ الْكُوخِ بِالْقَصْرِ
تَحْوِي مَعَانِي الْكُونِ مِنْ سِحْرِ
تَطْوِي مَنَاظِرَهَا عَلَى نَشْرِي^١
فِي الْقَفْرِ مِثْلَ ظَبَائِهِ الْعَفْرِ
وَتَمُوجُ بَيْنَ الشَّعْرِ وَالْحَصْرِ
وَقَفْتُ تَقْلُبُ نَظْرَةَ الْكِبْرِ^٢

أَهْوَى الْبَنْفَسَجَ آيَةَ الزَّهْرِ
وَأَحْبُهُ فِي الْأَرْضِ مُخْتَبِنًا
وَلِكُلِّ عَذْرَاءٍ أَقْدُمُهُ
لَكِنْ شَجَانِي مِنْهُ حَادِثُهُ
هِيَ زَهْرَةٌ بِجِوَارِ سَاقِيَةٍ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْعُشْبِ مَتَكًّا
فَاسْتَيْقَظْتُ يَوْمًا كَأَنَّ بِهَا
تَبْكِي جَوَى وَتَقُولُ: مَا أَمْلِي
حَسَنَاءُ لَكِنْ لَا عُيُونَ تَرَى
هَلَّا صَعِدْتُ إِلَى ذُرَى جَبَلٍ
فَأَرَى الْجَدِيدَ مِنَ الْوُجُودِ وَمَا
وَأُشَارِفُ الدُّنْيَا وَأَجْعَلُهَا
قَالَتْ وَقَامَ بِهَا الْهَوَى فَمَشَتْ
وَالرِّيْحُ تَحْمِلُهَا وَتُقْعِدُهَا
حَتَّى إِذَا اهْتَزَّ الْكَثِيبُ لَهَا

^١ النشر: الرائحة.

^٢ الكثيب: التل من الرمل.

فَرَأَتْ بَسَاطَ الْعُشْبِ مُنْتَشِرًا
جَارَاتُهَا فِي الْحَيِّ نَائِمَةً
فَاسْتَبْشَرَتْ بِالْفَوْزِ وَأَنْطَلَقَتْ
وَحَلَا لَهَا السَّفَرُ الْبَعِيدُ وَمَا
الْأَرْضُ مُحْرِقَةٌ وَوَاعِرَةٌ
وَرَفِيقُهَا هَوَجُ الرِّيَّاحِ وَقَدْ
تَرْمِي بِهَا كُلَّ الْجِهَاتِ فَلَا
حَتَّى أَصَابَتْ هَضْبَةً عَرَفَتْ
مِنْ تَحْتِهَا الْجَنَّاتِ مُشْرِقَةٌ
وَالنَّاسُ وَالْأَشْيَاءُ مَائِجَةٌ
قَالَتْ: بَدَأْتُ أَرَى فَوَا طَرِبِي
أَسْمُو إِلَى قِمَمٍ تُحَجِّبُهَا
فَأَرَى بَدِيعَ الْكُونِ تَحْتَ يَدِي

* * *

يَا لِلْبِنْفَسِجَةِ الْجَمِيلَةِ مِنْ
لَمْ يَبْقُ مِنْ طُرُقِ تَسِيرٍ بِهَا
وَأَصَابَ أَرْجُلَهَا الضَّعِيفَةَ مَا
فَانْتَابَهَا نَدْمٌ وَلَوْ قَدَرَتْ
لَكِنَّهَا حَارَتْ وَصَيَّرَهَا
فَتَشَبَّثَتْ بِالْأَرْضِ مُفْرَعَةً
حَتَّى تَسْنَمَتِ الذَّرَى وَغَدَتْ

أَهْوَالِ مَا لَاقَتْهُ، لَوْ تَدْرِي
فِي مَضْعِدِ الْأَشْوَاكِ وَالْوَعْرِ
يَرْمِي الْحَدِيدَ الصُّلْبَ بِالْكَسْرِ
عَادَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا تَجْرِي
خَوْفُ السُّقُوطِ كَرَاكِبِ الْبَحْرِ
جَهْدَ الْقُوَى وَبِقِيَّةِ الصَّبْرِ
فِي الْأَوْجِ تَتَلَوُ آيَةَ الشُّكْرِ

* * *

لَكِنَّهَا لَمْ تَلُقْ وَآسَفِي
لَا عُشْبٌ يَنْبُتُ فِي جَوَانِبِهِ
وَالْعَاصِفَاتُ كَأَنَّهَا أُسْدٌ
وَالغَيْمُ سَاوَى فِي تَلْبِيهِ
فَجَثَّتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبَكَتْ

فِي الْأَوْجِ غَيْرَ جَلَامِدِ الصَّخْرِ
أَبَدًا وَلَا أَتْرُ لِمُخْضَرٍّ
فِي الْجَوِّ تَرَارٌ أَيَّمَا زَارٍ
مَا بَيْنَ نِصْفِ اللَّيْلِ وَالظُّهْرِ
كَالطِّفْلِ مِنْ أَلَمٍ وَمِنْ دَعْرِ

البنفسجة

وَالْبَرْدُ أَفْسَدَ لَوْنَهَا كَمَدًّا
فَاصْفَرَ ذِيكَ الْجَبِينُ كَمَا
وَلِقْهَرَهَا أَنْتَ وَقَدْ سُمِعْتَ
«يَا لَيْتَنِي لَمْ أَصِبْ نَحْوَ عَلَا»
ثُمَّ ارْتَمَتْ وَهْنَا وَأَسْكَتَهَا
وَتَصَلَّبَتْ أَعْضَاؤُهَا وَمَضَتْ
مِنْ كُلِّ مُزْرَقٍ وَمُحَمَّرٍ
نَهَبَتْ نَضَارَةً ذَلِكَ التَّنْعُرِ
وَسَطَ الرِّوَابِعِ أَنَّ الْقَهْرِ
وَبَقِيَتْ بَيْنَ مَوَاكِبِ الزَّهْرِ
شَبِحَ بَدَا مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ
بِالْمَوْتِ هَاوِيَةً إِلَى الْقَعْرِ

* * *

مِسْكِينَةٌ قَدْ غَرَّهَا طَمَعُ
ظَنَنْتُ بِأَنَّ لَهَا الْعَلَاءَ غِنَى
مَا كَانَ أَغْنَاهَا وَأَسْعَدَهَا
هُوَ كَالسَّرَابِ لِكُلِّ مُغْتَرٍّ
فَإِذَا بِهِ فَقْرٌ عَلَى فَقْرٍ
لَوْ لَمْ تُفَارِقْ ضِفَّةَ النَّهْرِ

إلى عازفة على البيانو

يَدَاكِ أَطْوَعُ مِنْ قَلْبِي وَأَفْكَارِي
تَهْتَرُ أَوْتَارُهُ تَهْتَرُ أَوْتَارِي
أَمْ تَلْعَبِينَ بِأَسْمَاعٍ وَأَبْصَارِ
يَا بِنْتَ «فَرْدِي» وَ«بِتْهُوْفَن» وَ«مُوزَارِ»
حَوْلَ السَّرِيرِ سِوَى تَغْرِيدِ أَطْيَارِ
حَفِيفُهَا بَيْنَ مُوسِيقَى وَأَشْعَارِ
إِلَّا مَشُوقًا وَمَا شُوقِي إِلَى الدَّارِ
قَدْ خَابَ غَيْرُكَ فِي شِعْرِي وَفِي نَارِي
فَبِتُّ أَسْهَرَ لَيْلِي حَوْلَ تَذْكَارِ
مَنْ مُؤْنِسٍ غَيْرُ نُورِ الكَوْكَبِ السَّارِي

لَيْسَ «الْبِيَانُو» الَّذِي بَاتَتْ تُكْهَرِبُهُ
لَمَسْتِهِ فَتَمَشَى السُّحْرُ بِي فَكَمَا
أَصَابِعُ العَاجِ هَذِهِ تَلْعَبِينَ بِهَا
أَذْكَى السَّلَامِ عَلَى يَوْمٍ وُلِدَتْ بِهِ
لَا شَكَّ ذَلِكَ يَوْمٌ مَا سَمِعْتَ بِهِ
فَجَاءَ قَلْبُكَ خَفَاقًا بِأَجْنِحَةٍ
بِنْتَ الكِرَامِ الأَلَى مَا زُرْتُ دَارَهُمْ
جَدَّدْتَ لِلشُّعْرِ نَارًا فِي الفُؤَادِ وَكَمْ
أَثَرْتُ فِيَّ مِنَ الأَشْجَانِ كَامِنَهَا
كَزْهَرَةِ القَفْرِ فِي الظُّلْمَاءِ لَيْسَ لَهَا

على صفحة من كتاب

هَذِهِ أَسْطُرِي تُرَدِّدُ ذِكْرِي
لَيْسَ فِيهَا سِوَى احْتِرَامِ صَدِيقِ
قَدْ طَوَى صَفْحَةَ الشَّبَابِ وَلَكِنَّ
وَكِتَابُ الْحَيَاةِ طَيِّبٌ وَنَشْرُ
نَقْرًا الصَّفْحَةَ السَّعِيدَةَ فِيهِ
فَاغْنِمِي السَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
وَاجْعَلِي الْحُبَّ لِلْحَيَاةِ لِبَاسًا
كُلَّمَا قَلَبْتَ يَدَاكِ الْكِتَابَا
بِكَ حَيَّا الذُّكَاةَ وَالْآدَابَا
لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ يُجِبُّ الشَّبَابَا
أَخْطَأَ الْمَرْءُ دَرْسَهُ أَمْ أَصَابَا
مَرَّةً وَالْعَذَابُ يَتَلَوُ الْعَذَابَا
وَاسْتَفِيدِي عِلْمًا بِهَا وَاجْتِسَابَا
قَبْلَ أَنْ تَلْبَسَ الْحَيَاةَ التُّرَابَا

الحرب الكبرى

هَيْهَاتِ، مَا لَاهَايُ إِلَّا بَلْقَعُ
وَكَذَا الرِّمَالُ قُصُورَهَا لَا تَنْفَعُ
قَالَتْ لَهُمْ أَطْمَاعُهُمْ: لَنْ تُجْمَعُوا
وَقُفُّوا عَلَى تَحْقِيقِهِ مَا أَبَدَعُوا
السَّيْفُ يَحْضُدُ فِيهِمْ وَالْمَدْفَعُ
فَكَأَنَّهُمْ فَتَحُوا الْعُيُونَ لِيَهْجَعُوا

* * *

يَمْشِي إِلَيْهِ مِنَ الْعَدُوِّ سُمَيْدَعُ
مَنْ طَبَعَهُمْ سَفْكَ الدِّمَاءِ فَطَبَّعُوا
نَسَمٌ يَهْبُ وَلَا شُعَاعٌ يَسْطَعُ
تَجْرِي بِأَمْرَتِهَا الرِّيَّاحُ الْأَرْبَعُ
كَمْ صَيَّعَتْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَتَضَعَّعُوا
لَا يَطْمَئِنُّ بِهِمْ عَلَيْهَا مَضْجَعُ
نَ وَلَا شِفَاءَ، السَّابِقُونَ التَّبَّعُ

* * *

فَمَشَوْا إِلَيْهِ وَالْأَسِنَّةُ شُرْعُ
وَفَيَالِقٍ إِثْرَ الْفَيَالِقِ تُدْفَعُ

لَاهَايُ! هَلْ صَوْتُ بَجُوكِ يُسْمَعُ
لَمْ يَنْفَعِ الْقَصْرُ الَّذِي شَيَّدْتِهِ
جَمَعْتَهُمُ الْأَطْمَاعُ فِيكَ فَمُذْ نَأَوْا
مَا أَبَدَعَ الْحُلْمُ الَّذِي حَلَمُوهُ لَوْ
زَرَعُوا الْكَلَامَ فَمَا حَصَدَتْ وَأَصْبَحُوا
هِيَ يَقْظَةٌ طَاحَتْ بِهَا أَعْمَارُهُمْ

فِي زِمَّةِ الرَّحْمَنِ كُلُّ سُمَيْدَعُ
جَهَلُوا الْقِتَالَ فَعَلَّمُوهُ وَلَمْ يَكُنْ
النَّازِلُونَ مِنَ الْخَنَادِقِ حَيْثُ لَا
الْمَآخِرُونَ الْجَوَّ فَوْقَ سَوَابِحِ
الرَّائِكِبُونَ عَلَى الْبِحَارِ صَوَاعِقَا
النَّافِضُونَ جِبَالَهَا وَتُلُوجَهَا
الذَّاهِبُونَ وَلَا رَجَاءَ، الْعَائِدُو

يَا لِلْهُجُومِ وَقَدْ دَعَا دَاعِيَ الرَّدَى
بِحَافِلٍ تَرْجَى وَرَاءَ جَحَافِلِ

مَادَتْ بِهِمْ أَنْجَادُهَا فَكَأَنَّهُمْ
رَصَدَتْهُمْ قَلْلُ السَّعِيرِ تَصُبُّهَا
بَغْتَتُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ
مُتَسَابِقِينَ؛ وَلَيْسَ مِنْهُمْ سَابِقٌ
فِي مَازِقٍ لِلْمَوْتِ أَسْكَرَهُمْ بِهِ
حَتَّى إِذَا انْقَشَعَ الْعَجَاجُ، وَلَمْ يَعُدْ
طَلَعَ الْهَلَالُ عَلَيْهِمْ فَإِذَا هُمْ
الْأَرْضُ نَافِضَةُ الْبُطُونِ تَزَاحِمُ الْ
فَكَأَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ

* * *

يَا أَرْضُ أَيُّ رِوَايَةٍ مَثَلْتِهَا
هَذِي كُنُوزِكَ أَصْبَحْتَ حُمَمًا بِهَا
أَمَلْتِ حَمَلِ السَّاكِنِيكِ فَقُلْتِ أَفْ
أَمْ شَاقِكِ الثُّوبُ الْقَدِيمُ جَرَزْتِهِ
نَارًا تَسِيلُ بِي السَّمَاءِ وَلَيْسَ لِي

عَلَّمْتِ فِيهَا النَّاسَ أَنْ يَنْوَجَّعُوا
بُرْكَانُ صَدْرِكَ ثَائِرٌ يَتَّصِدُّعُ
نِيهِمْ؟ كَفَى مَا بِالْوُجُودِ تَمَتَّعُوا
لَهَا فَقُلْتِ إِلَيَّ قَدِيمِي أَرْجِعْ
مُهْجٌ تَسِيلُ وَلَا عُيُونٌ تَدْمَعُ؟

* * *

هَلْ تَبْعَثِينَ مَعَ الرَّبِيعِ مُعْزِيًا
فَيَعُودُ وَجْهَكَ ضَاحِكًا مُتَهَلِّلًا
وَيَعُودُ لِلْأَعْصَانِ طَيْرِكَ أَمِنًا
أَمْ تَبْعَثِينَ قَدَائِفًا وَقَنَابِلًا
فَيَطَّلُ صَدْرِكَ بِالنَّجِيعِ مُخَضَّبًا
إِنَّا سَقَيْنَاكَ الدَّمَاءَ زَكِيَّةً

لِلنَّاسِ يُنْسِي مَا بِهِ قَدْ رُوِّعُوا
وَيَعُودُ زَهْرُكَ فِي الرَّبِيِّ يَتَّصَوِّعُ
يَتَّلُو مَرَاحِمَهُ عَلَيْكَ وَيَسْجَعُ
لَا تَقْنَعِينَ بِهَا وَلَا هِيَ تَقْنَعُ
وَيَظَلُّ وَجْهَكَ بِالْحِدَادِ يُقْنَعُ؟
فَإِذَا الرَّبِيعُ أَتَى سَقْتِكَ الْأَدْمَعُ

* * *

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَاذَا تَصْنَعُ
هَدَمْتَ يَدَاكَ أَعَزَّ مَا شَيْدَتْهُ
عَالَجَتْ بِالْعِلْمِ الْحَيَاةَ وَإِنَّهُ

قَدَكَ اتَّبِدْ أَرَبَيْتَ فِيمَا تَطْمَعُ
مَاذَا الَّذِي مِنْ هَدْمِهِ تَتَوَقَّعُ
سَيْفٌ عَلَى الْحَدِيدِ مَاضٍ يَقْطَعُ

أَعْطَاكَ مَا أَعْطَى سِوَاكَ فَصَارِعُ
 أَنَا لَا أُصَدِّقُ أَنَّ مَجْدَكَ زَائِلٌ
 إِنْ كُنْتَ ذَا جَهْلٍ فَعِلْمُكَ وَاسِعٌ
 الْحُبُّ نُورٌ فِي الْحَيَاةِ فَإِنْ نَأَى
 كَمْ ضَيَّعْتَكَ الْحَادِثَاتُ بَلِيْلَهَا
 أَرْفَعُ حِجَابَ الْبُغْضِ عَنْكَ وَبَعْدَهُ
 إِنْ تَمْنَعُ الْآيَامَ عَنْكَ دَوَامَهُ
 الْحُبُّ حَقٌّ فِي الْوُجُودِ وَوَاجِبٌ
 يَوْمًا وَيَوْمًا مِثْلَ غَيْرِكَ تُصْرَعُ
 أَنَا لَا أُصَدِّقُ أَنَّ مُلْكَكَ يُخْلَعُ
 أَوْ كُنْتَ ذَا بُغْضٍ فَحُبُّكَ أَوْسَعُ
 عَنْ مَطْلَعِ أَدْنَاكَ مِنْهُ مُطْلِعُ
 ثُمَّ اهْتَدَيْتَ بِهِ فَلَسْتَ تُضَيِّعُ
 عِلْمَ السَّلَامِ عَلَى رُبُوعِكَ يُرْفَعُ
 فَشَرَائِعُ الْعُمَرَانَ لَيْسَتْ تُمْنَعُ
 تَتَزَعَزَعُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَزَعَزَعُ

لبنان بعد الحرب

كَانَ لِي عَهْدٌ عَلَى تِلْكَ الصُّخُورِ مِنْ مُطْلِ السَّفْحِ لِلْوَادِي الْخَصِيبِ
أَرْشَفُ الْكُوْتَرِ مِنْ نَغْرِ طَهُورِ وَأُنَاجِي اللَّهَ فِي لَحْظِ الْحَبِيبِ
وَالخُودُ

فِي وَرُودِ
خَدِّهِ السَّفْتَانِ

شَجَرُ الْبَلُوطِ سِتَارٌ لَنَا يَا حَنِينِي نَحْوَ ذِيكَ الشَّجَرِ
كَمْ هَزَزْنَا فِيهِ أَغْصَانَ الْمُنَى وَرَشَقْنَا بِالْحَصَى مِنْهُ التَّمْرُ
فَتَتُّورُ

فِي الطُّيُورِ
تَوْرَةَ الْأَلْحَانِ

خُلُوةٌ أَغْنَى بِهَا شِعْرِي الْخَيَالَ عَنْ مَعَانِي الزُّهْدِ مِنْ شِعْرِ الضَّرِيرِ^١
وَحَبِيبِي نَاشِرٌ بُرْدَ الْجَمَالِ حَاجِزًا مَا بَيْنَ قَلْبِي وَالضَّمِيرِ
فَتَرَانِي

فِي أَفْتَانِي
صَاحِبِيَا سَكْرَانِ

^١ أبو العلاء المعري.

زُرْتُ نَيْكَ الْحَمَى بَعْدَ الْغِيَابِ وَأَنَا أَرْجُو شِفَاءَ الْعِلَلِ
 لَمْ أَجِدْ فِيهِ لِتَذْكَارِ الشَّبَابِ أَثْرًا يُحْيِي دَفِينِ الْأَمَلِ
 وَالْحِدَادِ، فِي الْبِلَادِ، يَبْعَثُ الْأَشْجَانَ
 لَمْ أَجِدْ غَيْرَ امْرئٍ فِيهِ يَجُولُ يَحْمِلُ الْمِعْوَلَ وَالْفَأْسَ مَعًا
 صَحْتُ وَالْفِكْرُ تَوَلَّاهُ الذُّهُولُ يَا زَمَانَ الْوَصْلِ هَلَّا رَجَعَا
 وَالصَّصَّادَى

رَدَّدَا

يَا زَمَانَ، زَمَانَ
 أَيُّهَا الْحَطَّابُ قَطِّعْ فِي الشَّجَرِ وَأَدْخِرْ مِنْ بَيْنِهَا الصُّلْبَ الشَّدِيدَ
 وَأَضْرِبِ الْمِعْوَلَ، وَلْيَقْدَحْ شَرَّرَ كُلَّمَا أَعْمَلْتَ فِي الصَّخْرِ الْحَدِيدَ
 ظَافِرًا
 حَافِرًا
 مُهْجَةً الصَّوَّانَ

وَأَسْتَعِنُ بِالنَّاسِ، وَادْعُ الْعَامِلِينَ مِنْ بَنِي الْوَادِي وَفَتَيَانَ الْجَبَلِ
 أَنْعِشُونِي يَا رِفَاقَ الْعَاشِقِينَ طَالَ مَا أَنْعَشْتُ بِالشُّعْرِ الْأَمْلَ
 وَأَعْدُوذُونِي
 فِي شُجُونِي
 كُنَّا إِخْوَانَ

شَيْدُوا لِي فِي ذُرَى الصَّخْرِ ضَرِيحٌ لَمْ يُشَيِّدْ مِثْلَهُ مُنْذُ الْقَدَمِ
 وَأَجْعَلُوا الْأَخْشَابَ نَعْشًا يَسْتَرِيحُ شَبَّحَ الصَّبُوءَ فِيهِ وَالْأَلَمَ
 اجْعَلُوا النَّعْشَ كَبِيرًا
 امْلَأُوا الْقَبْرَ زُهُورًا
 افْرِشُوا الْأَرْضَ حَرِيرًا
 فَهُوَ حُبِّي
 وَهُوَ قَلْبِي
 لُفَّ بِالْأَكْفَانِ

لبنان

أَقَمْتُ بِلُبْنَانَ زَمَانًا حَسِبْتُهُ
عَلَى قَمَمٍ تَسْبِيكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
أَسِيرٌ وَجِيدًا شَارِدًا فِي ظِلَالِهَا
وَلِلرَّيْحِ فِي الْأُورَاقِ فَوْقِي نَعْمَةٌ
وَمِنْ تَحْتِ أَقْدَامِي وَهَادٌ كَأَنَّهَا
وَصِنِينٌ يَبْدُو شَامِخًا تَحْتَ ثَلْجِهِ
مَشَاهِدٌ لَوْ خَيْرْتُ مَا اخْتَرْتُ غَيْرَهَا
هَذَا كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ مِنْ شَقَائِهِ
وَلَا حَسَدٌ فِيهَا وَلَا حَرْبٌ حَوْلَهَا

نَعِيمًا، كَذَا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ نَنَعُمُ
مَنَاظِرُهَا وَالسَّحَرُ فِيهِ مُحَوَّمُ
وَمِنْ حَوْلِي الْأَشْجَارُ ظِلُّ مُخَيَّمُ
وَلِلشَّمْسِ فِي الْحَصْبَاءِ دُونِي تَبَسُّمُ
طِرَازٌ مِنَ الْغَابَاتِ أَخْضَرُ مُعْلَمُ
كَأَنَّ مَرَاقِيهِ إِلَى النَّجْمِ سُلَّمُ
بَعِيدًا عَنِ الْإِنْسَانِ وَالْبَعْدُ أَسْلَمُ
لَهُ الْحُبُّ سُورٌ وَالسَّلَامَةُ مِعْصَمُ
وَلَيْسَ بِهَا لَوْلَا أَحْمِرَارُ الْمَسَا دَمُ

النادي السوري في الإسكندرية

في حفلة افتتاحه بحضور رجال الحكومة المصرية.

أَيُّكُونُ لِلسُّورِيِّ يَوْمًا نَادٍ
هَمَمًا طَوَاهَا الْيَأْسُ فِي الْأَعْمَادِ
وَإِذَا دَعَا لَبَّاهُ أَلْفُ جَوَادٍ
مَا صَحَّ مِنْهُ بَعْدَ طُولِ جِهَادٍ
وَلَدَ الزَّمَانُ لَنَا عَلَى مِيعَادٍ
لَمْ نَلْقَ مِنْهُ مَبْرَةَ الْأَوْلَادِ
لَوْلَا التَّآخِي لَمْ نَفُزْ بِمَزَادٍ
طَرَبِي وَمَدْرَسَةٌ لَهَا إِنْشَادِي
نَادٍ، فَكُونُوا نُحَرَ هَذَا النَّادِي
عَهْدَ اتِّحَادٍ بَيْنَكُمْ وَوَدَادٍ
أَوْ تَرْجِعُوا فَشَمَاتَةَ الْحُسَادِ

قُلْ لِلَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ يُنَادِي
أَيُّهَبُّ مِنْ سَنَةِ الْحُمُولِ فَيَنْتَضِي
أَتَهْزُهُ يَوْمًا لِأَمْرٍ نَخْوَةٍ
أَبْشُرْ فَبَعْضُ الْحُلْمِ صَحَّ وَحَبْدًا
إِخْوَانَنَا هَذَا هُوَ الطُّفْلُ الَّذِي
إِنْ لَمْ نَصُنْهُ بِالتَّسَاهُلِ وَالنَّدَى
إِخْوَانَنَا عِظَّةَ الزَّمَانِ بَلِيغَةً
إِخْوَانَنَا مَا ذَاكَ مُسْتَشْفَى بِهِ
جَلَّ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ أَمَالُنَا
وَتَعَهَّدُوهُ بِالْعِنَايَةِ وَلْيَكُنْ
إِنْ تَنَبَّتُوا فَمَعَزَةٌ وَكِرَامَةٌ

* * *

لِلنَّازِحِينَ وَكَعْبَةَ الْقُصَادِ
وَجِبَالِهِ فِي ظِلِّ هَذَا الْوَادِي
وَشِعَارُهُ هَذِي الْبِلَادُ بِلَادِي

يَا مِصْرُ أَنْتِ الْيَوْمَ أَشْهَى مَطْلَبٍ
يَسْئَلُ بِكَ السُّورِيُّ بِهَجَّةِ أَرْضِهِ
لَمْ يَزُوْا نِيْلِكَ صَادِيًّا إِلَّا انْتَنَى

رفيف الأتحوان

وَنَجَادُ سَيْفِكَ يَسْتَطِيلُ بِأَحْمَدَ بَطَلٌ يُعِيدُ مَفَاخِرَ الْأَجْدَادِ
هَذَا فُؤَادُ الْمَلِكِ فِي صَدْرِ الْعُلَى يَدْعُو لَهُ فِي الصَّدْرِ كُلُّ فُؤَادِ

١٩١٨

خليل باشا خياط

رئيس النادي السوري في حفلة الأربعين

مَنْ لَيْسَ يَذْكُرُ لِلْخَلِيلِ أَيَّادِي
مَعْنَى الْخُلُودِ وَالْهَمِي إِنْشَادِي
ذَكَرَكَ شَاغِلَةً لِكُلِّ فُؤَادِ
وَيَظِلُّ نُورُ الْكُوكَبِ الْوَقَّادِ
عُرِّيتَ مِنْ تَوْبِ الْحَيَاةِ الْعَادِي
لَا خَوْفَ مِنْ هَرَمٍ لَهُ وَنَفَادِ
كَمْ صُلَّتَ فِيهَا صَوْلَةَ الْأَسَادِ
ضَاقَتْ قَوَافِيهِ عَنِ التَّعَدَادِ
فِي الْعَيْشِ مِنْ تَعَبٍ وَطُولِ جِهَادِ
لِلنَّفْسِ حِصَّتَهَا وَلِلْقَصَادِ
وَبِكَ اسْتَطَالَ عَلَى الزَّمَانِ الْعَادِي
فَاعْتَتَتْهُ وَنَجَا مِنَ الْأَصْفَادِ
فِي عُنُقِهِ قَيْدٌ لِفَضْلِكَ بَادِ
إِلَّا وَكُنْتَ لَهُ الدَّلِيلَ الْهَادِي
إِنْ قُلْتَ يَوْمًا إِنَّهُ ابْنُ بِلَادِي
رَوِّيتَ مِنْ حَمْرِ الْحَدِيثِ الصَّادِي

رُوحَ الْخَلِيلِ، وَلَيْسَ فِي ذَا النَّادِي
رُفِي عَلَى هَذِي الرُّءُوسِ وَعَلَمِي
مَرَّتْ عَلَيْكَ الْأَرْبَعُونَ وَلَمْ تَزَلْ
كَالْكُوكَبِ الْوَقَّادِ تَخْبُو نَارُهُ
وَقِيَتْ قَسْطَكَ لِلْعَلَا فَلَيْتُنْ تَكُنْ
فَلَقَدْ لَبِسْتَ الذُّكْرَ عُمْرًا ثَانِيًا
لَكَ فِي الْحَيَاةِ مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٌ
وَمَكَارِمُ لَوْ رَامَ شِعْرِي عَدَّهَا
لَمْ يُنْسِكَ الْفَقْرَ الْغِنَى فَذَكَرْتَ مَا
وَبَسَطْتَ لِلْقَصَادِ كَفَكَ جَاعِلًا
كَمْ مِنْ فَتَى أَخْنَى عَلَيْهِ دَهْرُهُ
وَمُهَدَّدٌ بِالسَّجْنِ رَاعَكَ خَطْبُهُ
لَمْ تَحْمِلِ الْقَيْدَ الْيَدَانِ وَإِنَّمَا
مَا جَاءَ نَحْوَكَ حَائِرٌ فِي أَمْرِهِ
تَسْعَى بِلَا أَجْرٍ وَحَسْبُكَ لَدَّةٌ
حُلُو الْحَدِيثِ فَإِنَّ يَضْمَكَ مَجْلِسُ

وَتَقَلَّبُ النَّظَرَ الْبَعِيدَ فَلَيْسَ مِنْ رَأْيِ تَجِيءٍ بِهِ بِغَيْرِ سَدَادٍ

* * *

هَذِي صِفَاتِكَ يَا خَلِيلُ رِثَاؤُهَا
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ بَعْضَهَا لَوَجَدْتُني
لَوَلَا مَمَاتِكَ لَمْ تَزَلْ مَذْفُونَةٌ
يَحْمِي التَّوَاضُعُ سِرَّهَا وَيَصُونُهَا
لَكَ صُورَةٌ فِي الذَّهْنِ صَوْرَهَا لَنَا
نَبْكِ مَلَامِحَهَا وَمَا نَبْكِ سَوَى
فَرَضَ عَلَى الشُّعْرَاءِ وَالنُّقَادِ
يَوْمَ الرَّجِيلِ لَهَا عَلَى اسْتِعْدَادِ^١
كَالدَّرِّ فِي عَوْرِ السُّكُوتِ الْهَادِي
عَنْ رَائِحِ أَلْفِ الثَّنَاءِ وَغَادِ
كَرَمٍ خَرَجَتْ بِهِ عَنِ الْمُعْتَادِ
رَجُلٍ لِيَوْمِ كَرِيهَةِ وَسَدَادِ

* * *

لَمَنِ الرَّكَائِبُ بَعْدَ بُعْدِكَ تَنْتَضَى
يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْخَلِيلِ وَجَاهِهِ
عَفَتِ الدِّيَارُ فَلَا الْخَلِيلُ بِرَاجِعِ
ضَلَّ الدَّلِيلُ بِهَا وَحَارَ الْحَادِي
وَحَصَافَةٌ وَضِيَافَةٌ وَوَدَادِ
يَوْمًا وَلَا عَهْدُ الْمُنَى بِمُعَادِ

* * *

أَزْعِمَنَا الْمَحْبُوبَ هَذِي سَاعَةٌ
مِلءُ الصُّدُورِ فَمَا يَهُمُّ إِذَا خَلَا
بَيَضَتْ بِالْعَمَلِ الْكَرِيمِ رِحَابُهُ
وَمُؤَبَّنُوكَ بِهِ يُجِيبُهُمُ الصَّدَى
رَوْدُ بَنِي الْبُؤْسَى جَمِيلًا بَاقِيًا
جِئْنَا إِلَيْكَ بِهَا عَلَى مِيعَادِ
مِنْكَ الْمَكَانُ بِصَدْرٍ هَذَا النَّادِي
فَعَدَا عَلَيْكَ مُجَلَّلًا بِسَوَادِ
مِنْ سَفْحِ لُبْنَانَ لِهَذَا الْوَادِي
وَاحْمِلْ مِنَ الرُّضْوَانِ أَجْمَلَ زَادِ

^١ إشارة إلى أن الناظم كان قد تمنع عن تأبين الفقيه يوم دفنه لجهله به.

اعتراف

شعر طليق

إِنْ أَكُنْ قَدْ بُحْتُ يَوْمًا بِالْهَوَى
بُحْتُ لِلرِّيحِ الَّتِي تَضْحَكُ أَوْ تَبْكِي
فَلِلْأَنْفَاسِ السَّحَرِ بِأُورَاقِ الشَّجَرِ
بُحْتُ لِلَّيْلِ الَّذِي أَشْهَرُهُ
بَيْنَ أَحْلَامٍ وَذِكْرِي
بُحْتُ لِلْعُصْفُورِ إِذْ أَنْشَدُهُ
كُلَّمَا غَرَّدَ شِعْرًا

بُحْتُ لِلنَّهْرِ الَّذِي يُضْغِي إِلَيَّ
كُلَّمَا مَلَتْ بِوَجْهِهِ نَحْوَهُ
صَامِتًا فِي جَرِيهِ مُتَّئِدًا
إِنْ أَكُنْ بُحْتُ فَقَدْ بُحْتُ بِهِ
لِلصَّبِيِّ
إِنْ أَكُنْ أَحْبَبْتُ حُبًّا خَالِصًا
فَلَقَدْ أَحْبَبْتُ فَكَ
إِنْ أَكُنْ أَحْبَبْتُ حُبًّا مُؤَلِّمًا
فَهُمَا
مُقْتَرَاكَ
إِنْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ حُبًّا لَا يُطَاقُ
فَهُوَ ذَاكَ الْحَضْرُ مَشْدُودُ النَّطَاقِ

وَهُوَ ذَاكَ الْجِيْدُ وَالْقَدُّ الرَّشِيْقُ
إِنْ كُنْتُ أَحْبَبْتُ حُبًّا لَا أُفِيْقُ
مِنْهُ، فَهُوَ الْجَسَدُ
نَاعِمٌ يَتَّقِدُ
قَدْ تَمَتَّعْتُ طَوِيْلًا
بِجَمَالِكَ
وَشَفَتُ نَفْسِي غَايِلًا
مِنْ وَصَالِكَ
وَأَنَا أَطْلُبُ ذَا الْيَوْمِ وَصُوْلًا
لِحَايَالِكَ ...

قولكشتين ١٩٢٨

أسطورة نورية

فولكشتين، ومعناها صخرة الغيوم، جبل في النمسا يعلو على سطح البحر نحوًا من ألفي متر، وفيه سهل فسيح ينبسط على مد النظر، ويخترقه نهر غزير يقال له «الأديج الأعلى»، وبعد السهل غاب فيه هضبة عالية شُيِّد عليها فيما مضى من الأيام قَصْرٌ لم يَبْقَ منه سوى بعض الجدران المتداعية.

ولهذا القصر قصة غريبة يتناقلها سكَّان تلك الناحية أبًا عن جد، وقد رواها أحدهم للناظم بكل خشوع كما تُروى أساطير الأبطال والقدسين، فنقلها إلى العربية شعراً طليقاً.

عَلَى جَبَلٍ تَمْشِي الْغُيُومُ بِظِلِّهِ وَتَجْرِي بِعِطْفِيهِ الْمِيَاهُ جَلِيدًا
وَيَكْتَنِفُ الْغَابُ الْكَثِيفُ نُغُورَهُ كَأَنَّ عَلَى تِلْكَ التُّغُورِ سُدُودًا
تَرَى مَا لِلْقَوْلِكِشْتَيْنِ مِنْ أَثَرِ بَاقٍ
أَكَّانَ نَبِيلًا أَمْ زَعِيمَ عِصَابَةٍ فَتَى شَادَ ذَاكَ الْقَصْرَ فِي الْجَبَلِ الْوَعْرِ
فَأَثَرَ أَنْ يَحْيَا بَعِيدًا عَنِ الْوَرَى فَلَيْسَ يُرَى إِلَّا مَتَى شَاءَ أَنْ يُرَى
وَتَخْدِمُهُ أَعْوَانُهُ خِدْمَةَ الدَّهْرِ؟
عَلَى كُلِّ حَالٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَالِدٍ أَحَبَّ ابْنَهُ وَالْحُبُّ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
أَرَادَ لَهُ عُمُرًا طَوِيلًا وَمَنْعَةً لِيَجْعَلَ مِنْهُ سَيِّدًا لَيْسَ يُقْهَرُ
فَلَمْ يَرَ خَيْرًا مِنْ مُجَاوِرَةِ النَّسْرِ
تَرَعْرَعُ «أَوْسْفَالْدُ» هُنَاكَ وَجِسْمُهُ يَزِيدُ نَحُولًا كُلَّمَا زَادَ جِلْمُهُ
فَلَمْ تُغْنِهِ فَرْطُ الْعِنَايَةِ صِحَّةً وَلَا نَالَ مَا يَرْجُو أَبُوهُ وَأُمُّهُ

وَلَا كَانَ فِي شَمِّ الْجِبَالِ لَهُ وَاقٍ
 رَقِيقُ شُعُورِ النَّفْسِ أَمَّا دُمُوعُهُ
 فَسَيْلٌ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَلَهَيْبٌ
 تَعَشَّقُ ضَرْبَ الْعُودِ يُطْرِبُ غَيْرَهُ
 بِهِ وَتَرَاهُ شَاكِيًا مُتَأَلِّمًا
 كَشَمْعٍ يُضِيءُ اللَّيْلَ وَهُوَ يَذُوبُ
 وَكَانَ عَلَى قُرْبٍ مِنَ الْحَيِّ نِسْوَةٌ
 مِنْ اللَّاءِ لَا يَعْرِفْنَ فِي الْأَرْضِ مَوْطِنًا
 فَيَرْحَلْنَ عَنْ دَارٍ وَيَنْزِلْنَ غَيْرَهَا
 وَسُرْعَانَ مَا تَطْوَى الْخِيَامُ وَتَنْشُرُ
 فَيَعْمُرُ حَيٌّ سَاعَةً ثُمَّ يُقْفِرُ
 سَوَافِرُ لَا يَعْرِفْنَ وَجْهًا مُحَجَّبًا
 وَلَكِنَّ دُونَ النَّفْسِ أَلْفَ حِجَابٍ
 وَإِنْ ذُكِرَتْ أَنْسَابُهُنَّ فَلَا تَرَى أَنْ
 تَسَابَا لِغَيْرِ الْمَاءِ وَالرَّيْحِ وَالتَّرَى
 وَمَا نَقَلُوا عَنْ دَفْتَرٍ وَكِتَابٍ
 يُزَاوِلْنَ عِلْمَ الطَّبِّ وَالْبَحْثِ حِرْفَةً
 فَيَعْلَمْنَ مِنْهُ غَيْرَ مَا النَّاسُ تَعْلَمُ
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْرُقُنَّ بَابًا لِخِدْمَةٍ
 فَيَأْتِينَ بِاسْمٍ مُسْتَعَارٍ لِأَنَّهُ
 تُقَدِّسُ أَسْمَاءُ لَهُنَّ وَتُكْتَمُ
 كَذَا نَزَلَتْ فِي الْقَصْرِ مِنْهُنَّ مَرَّةً
 عَجُوزٌ تَحَلَّتْ بِالذِّكَاةِ وَبِالْجِلْمِ
 رَأَتْ مَا بِأَوْسُقَالِدٍ فَقَالَتْ لِأُمِّهِ
 أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّاءَ سَهْلٌ دَوَاؤُهُ
 وَيَا بَرْدُ مَا قَالَتْ عَلَى كَبِدِ الْأُمِّ
 «سَأَكْتُبُ سِحْرًا فِي يَدَيْهِ يَصُونُهُ
 وَيَمْنَعُ مِنْهُ الْقَلْبَ أَنْ يَتَأَثَّرَا»
 «فَلَا يَصِلُ الْحُزْنَ الْحَفِي لِقَلْبِهِ
 وَلَا يَذْهَبُ اللَّحْنُ الشَّجِي بَلْبُهُ»
 «وَإِنْ مَسَّ عُودًا فِي يَدَيْهِ تَكَسَّرَا»
 وَحَقَّقَتِ الْأَيَّامُ صِدْقَ مَقَالِهَا
 فَوَدَّعَ أَوْسُقَالِدُ الْأَسَى وَالْأَعَانِيَا
 وَأَنْسَاهُ هَجْرَ الْعُودِ كُلِّ صَبَابِيَةٍ
 فَبَاتَ عَنِ الْأَشْعَارِ بِالصَّيْدِ لِأَهِيَا
 فَلَا الْقَلْبُ حَفَاقٌ وَلَا الْجِسْمُ نَاجِلُ
 وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْقَصْرِ حَوْلَ أَمِيرِهِمْ
 وَأَوْقَاتُهُمْ وَقَفَ عَلَى اللَّهْوِ وَالْأُنْسِ
 وَقَدْ حَسِبُوا الْمَاضِي دَفِينًا وَمَا دَرُوا
 بِأَنَّ حَيَاةَ الْمَرْءِ رَهْنٌ بِمَا مَضَى
 وَأَنَّ غَدًا مِنْ صُنْعِ يَوْمِكَ وَالْأَمْسِ
 فَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ مَعَ الدَّهْرِ قَلْبٌ
 تَسِيرُ بِكَ الْأَهْوَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
 فَلَا أَنْتَ عِنْدَ الْقُرْبِ حُرٌّ وَلَا النُّوَى
 تُحَاوِلُ أَنْ تَسْلُوَ وَفِيكَ مِنَ الْهَوَى

عَوَاطِفُ إِنَّ حُمَّ الْقَضَاءِ عَوَاصِفُ
 تَمُرُّ بِكَ السَّاعَاتُ وَالْفِكْرُ سَابِحُ بِتَيَّارِهَا مُسْتَقْبِلًا وَمُودَعًا
 تُحْيِيهِ مِنْهَا مَوْجَةٌ إِثْرَ مَوْجَةٍ وَيَبْدُو لَهُ التَّذْكَارُ حِينًا فَيَنْتَنِي
 إِلَى شَاطِئِ التَّذْكَارِ يَطْلُبُ مَرْجَعًا
 فَلَا كَانَ لَيْلُ شَاقٍ أَوْسَفَالِدَ بَدْرُهُ وَمَا نَالَ مِنْ صَيْدِ النَّهَارِ مَرَامًا
 فَأَلْهَاهُ عَنِ اتِّبَاعِهِ وَرِفَاقِهِ فَأَتَرَ أَنْ يَبْقَى وَحِيدًا وَأَمْرُهُ
 مُطَاعٌ فَعَادُوا دُونَهُ وَأَقَامَا
 هُنَالِكَ مَا بَيْنَ الْخَمَائِلِ وَالرُّبَى مَشَى صَامِتًا وَالْفِكْرُ حَيْرَانُ شَارِدُ
 وَفِي صَدْرِهِ سِرٌّ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ تَبْحُ بِهِ بَعْدَ أَعْصَابِ الشَّبَابِ الرَّوَاقِدُ
 وَحَاجَةٌ نَفْسٍ لَيْسَ يُدْرِكُ مَا هِيَ
 وَمِنْ حَوْلِهِ رُوحُ الْوُجُودِ كَأَنَّهَا تُنَاجِي صَبَاهُ فِي النَّسِيمِ وَفِي الرَّهْرِ
 وَفِي الْبَدْرِ فَوْقَ الْمَاءِ يَرْقُصُ نُورُهُ وَفِي النَّهْرِ خَلْفَ الْغَابِ نَامَ خَرِيرُهُ
 وَفِي كُلِّ مَا يُوحِي لَهُ اللَّيْلُ مِنْ سِرِّ
 فَمَا هِيَ إِلَّا لَحْظَةٌ وَإِذَا بِهِ يُفِيقُ عَلَى صَوْتِ مِنَ الْغَابِ مُقْبِلِ
 غِنَاءٍ شَجِيٍّ لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ فَغَارَ عَلَى الْبَاقِي لَهُ مِنْ صَوَابِهِ
 وَحَوْمٌ بِالدُّكْرَى عَلَى قَلْبِهِ الْخَلِي
 فَاسْرَعَ نَحْوَ الصَّوْتِ وَالْغَابِ مُغْلَقُ وَمِنْ دُونِهِ الْأَغْصَانُ مُشْتَبِكَاتُ
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ قَبْلًا شَقِيًّا بِدَائِهِ وَلَا اعْتَرَضَتْهُ غَيْمَةٌ فِي سَمَائِهِ
 فَمَاتَتْ عَلَى أَوْتَارِهِ النَّغَمَاتُ

هنا لا بد من تتمة الحديث نثرًا لضياع باقي القصيدة، والذي أذكر أن أوسفالد أبصر مشهدًا لم تقع عيناه من قبل عليه؛ فتاة كأنها من الجان أو حور الجنان، وسط خميلة من الورود البيضاء، تنقر على القيثارة وتغني وترقص، فبهره منظرها على ضوء القمر، وأحس أن سهمًا قد اخترق صدره هو انقضاض الصاعقة كما يقال. ودُمرت الفتاة عندما رآته، ولكن أفرخ روعها عندما سمعت نغمة صوته العذب وهو يحييها، فمالت إليه ومال إليها، وسرعان ما استأنست به فتبادلا الحديث، وصار يختلف إليها كل ليلة فيسمع نشيدها ويشاركها في النقر على العود، ثم يبثها حبًا دفينًا وشوقًا كمينًا إلى أن عرض عليها الزواج فقبلت.

كل هذا وهو لا يعلم عنها شيئاً ولا يعرف اسمها؛ لأن للنَّورِ عادات وتقاليد، فحياتهم غامضة وأخلاقهم مجهولة وأسمائهم مكتومة عن الغريب، وقد تسمَّى الواحدة نفسها حنة أو هيلانة أو غير ذلك، ويبقى اسمها الحقيقي سراً من الأسرار. وكثيراً ما يُعرض عليها الزواج من غريب، فترفض ولو كان الخاطب أميراً؛ لأن للنَّورِ ملوكاً وأمراء، فهم في حياتهم التائهة لا يغيرهم مال أو جاه ولهم أرستوقراطيتهم.

ولكن الظاهر أن الحب هنا كان من أعظم العوامل التي جعلت الفتاة تخرج على تقاليدها، على أنها أبت أن تبوح باسمها لأوسفالد إلا بعد الزواج. أما أمه فخافت عليه إذا هي عارضت في هذا الزواج، وضربت موعداً له صباح الأحد، وانتشر الخبر في البلد ففرح الجميع لأميرهم وأخذوا يستعدون للعيد.

وكانت أم أوسفالد قد انتهت من إعداد هدية العرس، وأحبت أن تنقش عليها اسم العروس، ولم يَبْقَ لميعاد الزواج سوى يوم واحد، فلم يَرَ أوسفالد بدءاً من الذهاب إلى الغاب، وهي نزهة تعودها كل يوم، عسى أن تلين حبيبته فتبوح باسمها. فما تجاوز غير بعيد حتى رأى بعض البدويات وقد اجتمعن للحديث، فإذا بواحدة منهن تلفظ اسمه وتقول لجاراتها: «غداً تَرْفُ أَرْتَمُويا إلى أوسفالد»، أرتمويا! إذن هذا هو الاسم المحبوب، أرتمويا، ما أعذب هذه اللفظة وألطفها وقعاً على السمع! أرتمويا، يا لها من صدفة سعيدة أعطته مفتاح السر! وبدلاً من أن يعود أدراجه لِيُطَلعَ أمه عليه، أحب أن يكمل طريقه إلى الغاب ليفاجئ حبيبته وهو يظن أنه فتح فتحاً مبيئاً. فلما انتهى إليها وصار على قاب قوسين أو أدنى، صاح أرتمويا، فأجفلت الفتاة وعلا وجهها اصفرار الموت وقالت بحزن يساوره شيء من الغضب: عرفت اسمي، فلا يمكن أن أكون لك. وقبل أن يحير جواباً ناولته القيثارة وأسرعت إلى الفرار وهي تقفز كالظبي، وهو يجد في إثرها حتى وصلت النهر، فغطست فيه وغطس وراءها واختفيا في عباب الماء.

وأشرقت شمس الأحد وقُرعت أجراس العيد وأقبل القوم على الكنيسة وكلهم مشتاق لرؤية العروسين، وكانت الورود البيضاء تملأ الكنيسة من باحة الدار إلى الهيكل، والعروسان في الوسط، جثتان هامدتان على سرير من الأزهار، وبينهما قيثارة مقطّعة الأوتار.

قولكشتين ١٩٢٠

أنا وأنتم

خطاب ألقى في الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٢٤، في حفلة مع مي زيادة جاء في مطلعها:

فَسَلِّي فُؤَادَكَ عَنْ حُفُوقِ فُؤَادِي
مَا بَيْنَ لُفْيَا سَاعَةٍ وَبِعَادِ
فَتَرُدُّهَا الذُّكْرَى لِدَاكِ الْوَادِي
فَأَحَارُ بَيْنَ الصَّمْتِ وَالْإِنْشَادِ
لَكَ مَا يُحَدِّثُ عَنْ قَدِيمِ وَدَائِي
مَرَّتْ وَمَا عَهْدُ الصَّبَا بِمُعَادِ
وَبِكَ اسْتَعْنَتْ فَنَلْتُ بَعْضَ مُرَادِي
فَنَظَّمْتُهَا لِشَبَابِ هَذَا النَّادِي

يَا مَيُّ هَذِهِ سَاعَةُ الْمِيعَادِ
بِي مِثْلُ مَا بِكَ وَحُشَّةٌ وَصَبَابَةٌ
تَمَشِي إِلَى الْوَطَنِ الْقَدِيمِ خَوَاطِرِي
وَأَرَى جَلَالَ سَنَّاكَ يَا أَفْقَ الْهُدَى
قَدْ جِئْتُ أَحْمَلُ مِنْ جَدِيدِ تَحِيَّتِي
وَأَعِيدُ أَحْلَامَ الصَّبَا بِكَ بَعْدَ مَا
وَلَقَدْ هَجَرْتُ الشُّعْرَ حَتَّى عَقَّبِي
وَأَصَبْتُ مِنْ وَحْيِ الشَّبَابِ بَقِيَّةً

وختامه:

أَنَّ الْحَيَاةَ جَدِيدَةً لَا تَهْرَمُ
إِلَّا فَتْقِيرُ الْقَلْبِ يُعَوِّزُهُ الدَّمُّ
بُنْيَانُهُ بَدَلًا بِهَا إِذْ تَهْدَمُ؟
عُمُرٌ يَزُولُ إِذَا عَدَاكَ الْمَغْنَمُ
زَعَمُوا فَلِلْإِنْسَانِ غَايٌ أَعْظَمُ

قَالُوا لَقَدْ شَاخَ الزَّمَانُ وَمَا دَرَوْا
وَهِيَ الْعَنِيَّةُ مَا شَكَا مِنْ فَقْرِهَا
يَا هَادِمَ الْأَمَالِ مَاذَا تَبْتَغِي
الْيَأْسُ مَجْلِبَةٌ الْخُمُولِ فَلَا تَقُلْ
مَا الْقَبْرُ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ مِثْلَمَا

أَنْ يَمَلَأَ الْإِيَّامَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَتَظَلُّ بَعْدَ سُكُوتِهِ تَتَكَلَّمُ

* * *

إِخْوَانُنَا أَلْعُمُرُ أَوْسَعُ مَطْلَبًا
إِنْ كَانَ فِي النَّسَبِ التَّفَاضُلُ فَالْوَرَى
تِلْكَ الرُّءُوسُ وَهَذِهِ تِيَجَانُهَا
أَوْ كَانَ بِالْمَالِ الْفَخَارُ مِنَ الَّذِي
بِعَنَاصِرِ الْكُونِ امْتَزَجَتْ فَأَنْتَ مِنْ
وَاللَّذَّةُ الْكُبْرَى إِذَا حَقَّقْتَهَا
أَوْ كَانَ لِلدِّينِ التَّطَاحُنُ بَيْنَنَا
لَوْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يَسْطِيعُهُ
الْحُبُّ أَعْدَبُ مَا يُقَالُ وَيُسْتَهَى
فَتَمَسَّكُوا بِصَلَاتِهِ وَتَرْتَمُوا
مَنْ أَنْ يَضِيقَ بِهِ الْفَتَى الْمُتَعَلَّمُ
لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْمُفْضَلِ مِنْهُمْ
صَاغَتْ حُلَامًا فِي التُّرَابِ الْأَعْظَمُ
خَلَقَ الْجَدِيدَ لِبَاسُهُ وَالْمَطْعَمُ؟
فَضَلَاتِ غَيْرِكَ أَكَلُ تَتَنَعَّمُ
هِيَ مَا بِهِ أَفْتَى ضَمِيرِكَ لَا الْفَمُ
فَأَنَا مَسِيحِي كَمَا أَنَا مُسْلِمُ
بِالْحُبِّ لَمْ يَكْ فِي الْبَرِيَّةِ مُجْرِمُ
وَأَلْدُّ مَا نَظَمَ الزَّمَانَ وَيَنْظُمُ
بِصَلَاتِهِ وَأَنَا السَّعِيدُ وَأَنْتُمْ

معهد العلم

قيلت في حفلة متخرجي الجامعة الأمريكية في الإسكندرية يوم الاكتتاب المشهور.

مَعْهَدَ الْعِلْمِ وَصَرَخَ الْأَدَبِ
جِئْتُ لِلْخَيْرِ رَسُولًا، نَاشِرًا
حَامِلًا فِي ظُلْمَةِ الْفِكْرِ لَنَا
أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي أَحَبَّبْتُهُ
كُلَّمَا عَاوَدَنِي ذِكْرُ الصَّبَا
وَبَدَا رَسْمُكَ فِي ذَهْنِي كَمَا
فَمِنَ الْبَحْرِ بِسَاطِ أَرْزُقُ
وَعَلَى رَأْسِكَ نُورٌ خَالِدٌ
أَيُّ فَضْلٍ مِنْكَ لَمْ يُكْتَسَبِ
بَيْنَ أَهْلِ الشَّرْقِ عِلْمَ الْمَغْرِبِ
شُعْلَةٌ مِنْ قَلْبِهِ الْمُلتَهُبِ
وَأَنَا عَنْهُ غَرِيبُ النَّسَبِ
هَزَّنِي نَحْوُكَ شَوْقًا طَرِبِي
أَنْتِ فِي مَحْضَرِ تِلْكَ الْهَضْبِ
وَمِنَ الرَّمْلِ وَشَاحِ ذَهَبِي
مِنْ تَوَالِي رَضِيهِ لِلشُّهْبِ

* * *

كُلَّمَا عَاوَدَنِي ذِكْرُ الصَّبَا
فَإِذَا السُّوَارُ فِي نَادِيكَ قَدْ
وَبَنُوكَ الْعُرْمُ مِنْ حَوْلِكَ فِي
وَإِذَا الْمِنْبَرُ يَهْتَزُّ لَهُمْ
وَمِنَ الْجَمْعِ هُتَافٌ صَاعِدٌ
مَرَّ بِي ذِكْرَكَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ
مَلَأْتُوا صَدْرَ الْمَكَانِ الرَّجْبِ
حَاقَّةَ الْفَضْلِ وَرَهْطِ الْأَدَبِ
طَرِبًا لِلشُّعْرِ أَوْ لِلخَطْبِ
مَلُؤُهُ الْإِعْجَابُ قَبْلَ الْعَجَبِ

^١ إشارة إلى أنه لم يتخرج منها.

هَآ هُنَا النَّبْعُ الَّذِي يَسْقِي النَّهْيَ
لَكَ فِي التَّعْلِيمِ نَهْجٌ لَمْ يَدْعُ
يَدْرُسُ الْأَخْلَاقَ فِي أَسْتَاذِهِ
أَنْتَ رُمْتَ الْعَقْلَ حُرًّا مُطْلَقًا
وَأَزَدْتَ الْعِلْمَ مَبْنِيًّا عَلَى
وَجَعَلْتَ الْحُبَّ دِينًا وَاحِدًا
وَإِذَا لَمْ يَسْقِهَا لَمْ تُخْصَبِ
طَالِبًا يَقْعُدُ دُونَ الطَّلَبِ
قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهَا فِي الْكُتُبِ
لَمْ يُقَيِّدْ بِقُيُودِ الْمَذْهَبِ
حُرْمَةَ الصِّدْقِ وَكُرْهَ الْكُذِبِ
فِي حِمَى مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّ

* * *

يَا لَوَاءَ يَخْفُقُ الْيَوْمَ لَهُ
كَمْ مَشَى فِي ظِلِّكَ السَّامِي فَتَى
مَنْ رَبَّى لُبْنَانَ طُفَّتِ الْأَرْضُ، لَا
إِنَّ ذَا الْيَوْمِ اكْتَتَابُ لِلْعُلَا
كُلُّ دَيْنٍ قَدْ يَفِيهِ ذَهَبُ
جَانِبَ الْإِفْرَنْجِ قَلْبُ الْعَرَبِ
شَيْخُ عِلْمٍ وَهُوَ فِي الْعُمْرِ صَبِي
غَارِيًّا، بَلْ هَادِيًّا كَالْكَوْكَبِ
فَادُعُ مَنْ شِئْتَ لَهُ يَكْتَتِبِ
غَيْرَ دَيْنِ الْعِلْمِ فَوْقَ الذَّهَبِ

* * *

قُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ أَنْسَابِنَا
أُمَّنَا هَذِي وَمَا أَحَلَى اسْمَهَا
نَحْنُ مَنْ يُرْضِيكَ عِنْدَ الْحَسَبِ
وَشِعَارُ الْمَجْدِ هَذَا: أَيُّ يُو بِي (A. U. B.)

هدية

أهداه صديق سلسلةً وقلمًا من ذهب مع صندوقة أدوية نقالة، فكتب إليه:

أَهْدَيْتَ لِي قَلَمًا عَلَيْكَ وَقَفْتُهُ
أَهْدَيْتَ سِلْسِلَةً غَدْتُ رَمَزًا إِلَيَّ
أَهْدَيْتَ أَدْوِيَّةً تَعُودُ عَلَيَّ الَّذِي
مَا لِي وَجُودُكَ هَلْ يُجَارِي سَبِيلَهُ
حَسْبِي صِدَاقَتُكَ الثَّمِينَةُ إِنْ تَدُمُ
فَلِغَيْرِ مَدْحِكَ لَا يَجُرُّ أَنَا مِثْلِي
قَلْبِي الَّذِي قَيَّدْتَهُ بِسَلَّاسِلِ
أَسْقِيهِ بِأَسْمِكَ بِالشِّفَاءِ الْعَاجِلِ
شِعْرِي وَقَدْ أَغْرَقْتَهُ فِي السَّاجِلِ
وَأَعِيدُ مِثْلَكَ مِنْ وَدَادِ زَائِلِ

أخي

قيلت في حفلة الأربعين التي أُقيمت للمرحوم إلياس فيّاض في التياترو الكبير بيروت سنة ١٩٣٠.

أَخِي، بَكَوْكَ وَأَبْنُوكَ وَأَبْدَعُوا
أَصْغِي إِلَيَّ إِنِّشَادِهِمْ فَيَطِيبُ لِي
مَا لِي وَلِلْأَيَّامِ فِيكَ أَعْدَهَا
أَبَدًا أَرَاكَ عَلَى فِرَاشِكَ، وَالضَّنَى
فَمِنَ النَّعَاسِ عَلَى جُفُونِكَ عَمْرَةً
وَالْجِسْمُ مُنْحَلُّ الْعَرَائِمِ، مُنْقَلُّ
لَكِنَّ قَلْبِي لَمْ يَزَلْ يَتَوَجَّعُ
وَأُفِيقُ مِنْ سِحْرِ الْبَيَّانِ فَأَجْزَعُ
كُلُّ الزَّمَانِ تَذَكُّرٌ وَتَفَجُّعُ
يَسْقِيكَ مِلءَ كُئُوسِهِ وَيُجَرِّعُ
وَمِنَ الشُّحُوبِ عَلَى جَبِينِكَ بَرْقَعُ
بِالذَّاءِ، مَكْلُومُ الْفُؤَادِ، مُضْغَضُ

* * *

أَبَدًا أَرَاكَ عَلَى فِرَاشِكَ صَابِرًا
وَتَوَدُّ لَوْ عَادَ الزَّمَانُ مُسَالِمًا
لِتُعِيدَ عَهْدًا لِلْيِرَاعِ سَمَا بِهِ
وَيَكَادُ يَعْصِيكَ اللِّسَانُ الطَّيِّعُ
يُعْطِيكَ مِنْ بَسْمَاتِهِ مَا يُمْنَعُ
لِلزُّهْرِ تَنْظِمَهَا لَنَا وَتُرْصَعُ

* * *

أَبَدًا أَرَاكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ لِي وَفِي
وَتَبَيْتُ تَسْأَلْنِي، وَنَبْضُكَ هَارِبٌ
وَأَرَى دَبِيبَ الْمَوْتِ فِيكَ فَأَنْحَنِي
نَظْرَاتِكَ النَّبَأَ الَّذِي لَا يَخْدَعُ
مِنْ أُنْمَلِي، هَلْ فِي شِفَائِكَ مَطْمَعُ؟
مُتَبَسِّمًا، وَحَشَاشَتِي تَتَقَطَّعُ

* * *

أَبَدًا أَرَاكَ، وَيَا لَهَا مِنْ رُؤْيِيَةِ
قَدْ أَطْبَقْتَ مِنْكَ الْجُفُونُ، وَعُطِّلَ
فَطُوبَيْتَ يَا رَسْمَ الْحَبِيبِ وَكُنْتَ فِي الْـ
نَتْرُوا الزُّهُورَ عَلَى السَّرِيرِ وَكَفَنُوا
بَلْ هَيْكَلًا هَجَرَ إِلَاهَهُ مَقَامَهُ
نَزَلَ الْقَضَاءُ وَكَانَ مَا أَتَوَّقِعُ
الْقَلْبُ الْحَنُونُ، وَعَاضَ ذَلِكَ الْمَنْبِعُ
أُفُقِ الرَّحِيبِ مَعَ الْكَوَاكِبِ تَلْمَعُ
جَسَدًا ثَوَتْ فِيهِ الْمَكَارِمُ أَجْمَعُ
فِيهِ فَأَصْبَحَ وَهُوَ قَفْرٌ بَلَقُعُ

* * *

يَا أَيُّهَا الْأَلَمُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي
يَا مِنْجَلًا بِيَدِ اللَّيَالِي مُرْهَفًا
إِنْ كُنْتَ ذَا ظَمَأٍ فَهَلَّا تَرْتَوِي
تَلْوِي عَلَى الْجَبَلِ الْأَشْمُ فَيَنْحَنِي
وَجَمَاجِمُ الْأَجْيَالِ تَحْتَكَ تَشْتَكِي
كَمْ غَارَةٌ لَكَ فِي الشَّبَابِ دَفَعْتَهَا
لَمْ يَبْقَ مِنْ شَمْسِي شُعَاعٌ ضَاكِحُ
يَا أَيُّهَا النَّيِّرُ الَّذِي لَا يُخْلَعُ
يَمْشِي عَلَى أَمَالِهَا وَيُقَطِّعُ
أَوْ كُنْتَ ذَا نَهَمٍ فَهَلَّا تَشْبَعُ
وَتَمُرُّ بِالْبَحْرِ الْخِضْمُ فَيَخْشَعُ
وَإِلَيْكَ مِنْ ظُلُمَاتِهَا تَتَطَلَّعُ
وَالْيَوْمَ جِئْتُ وَلَا شَبَابٌ يَدْفَعُ
فَانشُرْ غَيُومَكَ مَا تَشَاءُ وَتَطْمَعُ

* * *

يَا شَاعِرَ الْإِحْسَاسِ كَمْ مِنْ شَاعِرٍ
يُخْفِي ظِلَامُ الْقَبْرِ طَلْعَةَ وَجْهِهِ
رَوَيْتَ عَصْرَكَ بِالدُّمُوعِ فَأَصْبَحْتَ
وَأَضْفَتَ لِلْقَيْثَارَةِ الْكُبْرَى بِهَا
مَا أَدْمَعُ الشُّعْرَاءَ غَيْرَ عَوَاطِفٍ
يُغْدُونَ مِنْ دِمِهِمْ فَيَسْبِقُ شَاعِرٌ
وَتَفَرِّقُ الْأَقْدَارُ بَيْنَ عِظَامِهِمْ
أَخِي عَهْدُكَ لِلْقَوَافِي حَافِظًا
تَشْتَاقُ مِنْكَ هَزَارَهَا الصَّدَاحُ فِي الذِّ
نَظْمَ الْوَفَاءِ بَدِيْعَهَا لَكَ مِثْلَمَا
مَنْ لِي بِرُوحِكَ أَنْ تُشَارِفَ مَنَاطِقِي
بَلَّغَ السُّهَاءِ، فِي التُّرْبِ مِثْلَكَ يُوَدِّعُ
وَلِرُوحِهِ فِي كُلِّ أُفُقٍ مَطْلَعُ
مِنْهَا كُنُوسُ الشَّاعِرِيَّةِ تُتْرَعُ
وَتَرَا تَرْنُ عَلَى صَدَاهُ الْأَضْلَعُ
عَنَّا بِهَا بُؤْسَ الْحَيَاةِ وَسَجَّعُوا
فِي سَكْبِهِ لَهُمْ وَأَخْرَ يَتْبَعُ
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْخُلُودَ تَجَمَّعُوا
عَهْدًا، وَهَذَا يَوْمُهَا أَفْتَسَمِعُ
خَادِي وَيُوحِشُهَا الْخَطِيبُ الْمَضْمَعُ
قَدْ كُنْتُ تَنْظِمُ لِلْوَفَاءِ فَتَبْدِعُ
وَيَضْمَمُهَا نَحْوِي الْقَضَاءُ الْأَوْسَعُ

شِعْرًا يُرَدِّدُهُ الصَّدَى وَيُرْجِعُ
حُبِّي لَهُ وَلَعَلَّهُ بِي يَشْفَعُ
ثَقُلْتُ عَلَيَّ فَمَا أَقُولُ وَأَصْنَعُ؟
لُبِّي، فَلَيْسَ لَدَيَّ إِلَّا الْأَذْمَعُ

لَأَقُولَ فِيكَ وَفِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ
أَيُّ عُضْبَةِ الْأَدَبِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا
حَمَلْتُمُونِي فِي مُصَابِي مِنْهُ
مَلِكَ الْأَسَى قَلْبِي، وَأَعْيَا شُكْرَكُمْ

١٩٣٠

ومن قصيدة في ختام خطاب:

فَنَسِيتُ مَنْ أَلَمِي بِهَا الْآمِي
كَفًّا تُطِيحُ بِمَعْوَلِ الْهَدَامِ
وَسِيَاسَةَ الْأَحْزَابِ وَالْأَرْحَامِ
وَرَمَاهُ بِالتَّفْرِيقِ أَبْشَعُ رَامِ
مِنْ جِسْمِهِ الْجَبَّارِ غَيْرِ عِظَامِ
تَجَلُّوْ ظِلَامِ الشُّكِّ وَالْأَوْهَامِ
بُغْضِ الْقُلُوبِ وَفِتْنَةِ الْأَحْلَامِ
حَلَّتْ مَشَاكِلَهَا بِغَيْرِ خِصَامِ
أَرْسَلْتُهُ فِيهَا رَسُولَ سَلَامِ
وَجَلَوْتُ فِي ضَوْءِ الرِّضَى الْإِهَامِي
يَبْقَى عَلَيَّ الْمَكْتُوبُ مِنْ أَيَّامِي
وَنَشَرْتُ بَيْنَ سَطُورِهِ إِسْلَامِي
أَدْعُو بِحَقِّ الْحُبِّ وَهُوَ مُدَامِي
وَجَعَلْتُ مِنْهُ بِدَايَتِي وَخِتَامِي

لِي صَيْحَةٌ حُبِسَتْ بِقَلْبِي الدَّامِي
وَطَنِي يَهْدِمُهُ الشَّقَاءُ وَلَا أَرَى
الطَّائِفِيَّةَ قَطَعْتَ أَوْصَالَهُ
نَفَخَ التَّعَصُّبَ فِيهِ أَسْوَأُ نَافِخِ
وَكَوَارِثُ الْحَدَثَانِ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ
إِخْوَانَنَا طَالَ الْكِرَى أَفَيْقُظُهُ
لِنَرَى حَقِيقَةَ مَا يَجْرُ مِنْ الْأَذَى
مَا أَخْطَأْتُ هَدَفَ الْمَعَالِي أُمَّةُ
أَيُّ حَيْبٍ شِعْرِي عِنْدَهَا وَأَنَا الَّذِي
رَوَيْتُ مِنْ نَبْعِ الْإِحَاءِ قَرِيحَتِي
لِي فِي هَوَى وَطَنِي كِتَابُ خَالِدِ
سَجَلْتُ نَصْرَانِيَّتِي فِي مَتْنِهِ
فَإِذَا دَعَوْتُ إِلَى الْوَفَاقِ فَإِنِّي
أَفْرَعْتُهُ فِي مِقْوَلِي وَيِرَاعَتِي

تمثال الأمير

قيلت في خلدہ عند رفع الستار عن تمثال الأمير فؤاد أرسلان.

أَرَأَيْتَهُ وَقَدِ اسْتَوَى الضَّدَّانِ
شَمْسُ الأَصِيلِ تُلُوحُ فِي بُرْدِيهِ، أَمْ
أَمْ تِلْكَ نَارُ ضُلُوعِهِ رُدَّتْ لَهُ
يَا حَامِلاً لُبْنَانَ طَيِّ فُؤَادِهِ
هَذَا مِثَالِكَ، وَالضَّرِيحُ إِزَاءَهُ
فَوْزٌ عَلَى لِحْدِ طَوَاكَ فَمَا طَوَى
وَلَيْتَنُ صَمَتَ فِدُونِ صَمْتِكَ لَمْ يَزَلْ
حَتَّى يَخَالَ النَّاطِرُوكَ بِأَنَّهُ
صَلْبُ الجَمَادِ وَنَضْرَةُ الإِنْسَانِ؟
هُوَ نُورُهُ طَفَحَتْ بِهِ العَيْنَانِ
فِي المَعْدِنِ المَصْهُورِ بالنَّيِّرَانِ؟
هَلْ كُنْتَ إِلاَّ القَلْبَ مِنْ لُبْنَانِ
فَكَأَنَّهُ فَوْزٌ عَلَى الأَكْفَانِ
إِلاَّ التُّرَابَ بِظُلْمَةِ النُّسَيَانِ
صَوْتُ الخَطِيبِ يَرِنُ فِي الأَذَانِ
شَفَتَاكَ هَذَا اليَوْمَ تَخْتَلِجَانِ

* * *

أَفُؤَادُ، وَالإِخْلَاصُ فِيكَ سَجِيَّةٌ
يَوْمَ الرَّحِيلِ بَكُوكَ وَاحْتَفَلُوا لَهُ
سَلَبْتِكَ مِنَّا الأَرْضُ فِي آذَارِهَا
وَأَقَمْتَ فِي صَحْرَاءِ خَلْدَةَ هَيْكَلًا
تَرْنُو إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ مُحَدَّثًا
وَتَبَّتْ فِي العَابِ الخَلِيِّ كَوَامِنًا
أَعْيَا أَبَاطِيلَ الحَيَاةِ وَرَدَّهَا
حَلَقْتَ فِي أَفَاقِهِ مُتَجَاهِلًا
أُنْظُرْ تَرِ الإِخْلَاصَ فِي الإِخْوَانِ
وَاليَوْمَ لِلْقِيَا احْتِفَالٌ ثَانِ
فَعَلَبْتَهَا وَرَجَعْتَ فِي نَيْسَانِ
لِلْمَجْدِ يَزْعَى نُورُهُ القَمْرَانِ
كَالمَوْجِ عَمَّا فِيكَ مِنْ جَيْشَانِ
مِنْ حُرْقَةٍ فِي صَدْرِكَ الوُلْهَانِ
حُبٌّ تَأَصَّلَ فِيكَ كَالِإِيْمَانِ
خَطَرَ الصَّوَاعِقِ وَهَيَّ مِنْكَ دَوَانِ

وَكَذَا السِّيَاسَةَ لَا تُرَاعِي صَاحِبًا جَعَلَ الكِرَامَةَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

* * *

أَهَلَّتْ بِقُرْبِكَ خُلُوةً أَحَبَّتَهَا فَكَأَنَّهَا مَلَأَى مِنَ السُّكَّانِ
فِي جَوْهَا وَصُخُورِهَا وَرِمَالِهَا أَثْرٌ مِنَ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ
يَفِدُ الحَجِيجُ إِلَيْكَ تَحْتَ لَوَائِهَا مُسْتَمْطِرِينَ سَحَابَ الرِّضْوَانِ
يَتَذَكَّرُونَ وَهُمْ وَقُوفٌ خُشَعُ فِي سَاحَتِكَ، مَوَاقِفَ الشُّجْعَانِ
أَيَّامَ كُنْتَ، وَأَنْتَ فِي نُوَابِهِمْ سَيْفٌ رَقِيقُ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِي

* * *

اليَوْمَ سَالَمَكَ الزَّمَانُ فَبِتَّ فِي حَرَمٍ تُصَانُ بِهِ مِنَ الحِرْمَانِ
فَتَطِيبُ رُوحَكَ فِي رَبِي لُبْنَانِهَا وَتَرْفُ فِي الوَادِي وَفِي البُسْتَانِ
تُلْقِي عَلَى الأُوْطَانِ دَرَسَ مُجَاهِدِ لَمْ يَرِضْ غَيْرَ العِزِّ لِلأُوْطَانِ
دَرَسٌ إِذَا فَاتَ الشُّيُوخَ بِأَمْسِهِمْ فَعَدَا يَرُدُّ صَدَاهُ فِي الفِئْتَانِ
لُبْنَانُكُمْ وَطَنُ الجَمِيعِ فَوَحَّدُوا مَسْعَاكُمْ فِيهِ إِلَى العُمْرَانِ
لَا تَفَرُّقُوا دُرُزِيَّةً عَن جَارِهِ لَا مُسْلِمٌ فِيهِ وَلَا نَصْرَانِي
أَفْوَادٌ نَحْنُ عَلَى وَلائِكَ لَمْ نَزَلْ يَرَعَى القِصِيَّ عُهُودَهُ وَالدَّانِي
يُفْنِي الزَّمَانُ الجِسمَ أَمَا ذِكْرُكَ الـ غَالِي فَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ بِفَانِ

زهرة الإحسان

قيلت في حفلة المدرسة السنوية، وكان الناظم قبل مغادرته بيروت طبيباً للمدرسة.

لِي غَادَةٌ حَسَنَاءُ، رُومِيَّةٌ عَرَبَاءُ
قَدْ مَرَّ مِنْ عُمْرِي عَشْرُونَ فِي الْهَجْرِ
أَتَيْتُ نَادِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا
تُثَقِّفُ الْأَحْلَامَ، وَتَحْضُنُ الْآيَاتِمَ
أَرَبَّتْ عَلَى الْخَمْسِينَ، وَلَمْ يَشْبَهَا شَيْئُ
إِنْ أَنْكَرْتَ رَسْمِي مَا أَنْكَرْتَ نَظْمِي
هَلْ تَذَكَّرُ الطَّبِيبَ، أَمْ تَذَكَّرُ الْخَطِيبَ
مِنْ ضَيْقِ بُنْيَانِكَ، مِنْ عُرْيِ جُدْرَانِكَ
فَلْيَنْظُرِ الْغَرِيبَ، وَلْيَذَكِّرِ الْقَرِيبَ
يَا مَعْهَدَ التَّعْلِيمِ، وَمَوْطِنَ الْيَتِيمِ
لَوْ أَنَّ أَقْوَالِي تُغْنِي عَنِ الْمَالِ
دُومِي عَلَى الدَّهْرِ، مَرْفُوعَةَ الْقَدْرِ
يَا زَهْرَةَ
فَتَانَةُ الْأَسْمَاءِ، قَلْبِي بِهَا وَلَهَا
وَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي بِذِكْرِهَا نَشْوَانُ
مَنْ حُسْنِ مَاضِيهَا شَيْئًا عَلَى نَقْصَانُ
وَتَنْشُرُ الْأَعْلَامَ لِلْبِرِّ وَالْعِرْفَانُ
وَشَبْتُ قَبْلَ الْجَيْنِ وَهِيَ كَالشُّبَّانُ
أَيُّ مَعْهَدِ الْعِلْمِ، كَمْ فِيكَ لِي مِنْ شَانُ
كِلَاهُمَا كَثِيبُ، مِمَّا تُقَاسِي الْآنُ
مِنْ فَقْرٍ سُكَّانِكَ، مِنْ قِلَّةِ الْأَعْوَانُ
نَظَافَةُ الْحَبِيبِ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانُ
مِنْ مَجْدِكَ الْقَدِيمِ، نُورٌ عَلَى لُبْنَانُ
نَظَّمْتُ لِلْحَالِ فِي وَصْفِهِ دِيْوَانُ
مَحْمُودَةَ الذِّكْرِ، عَابِقَةَ الْعِطْرِ
الإِحْسَانُ

ومُتَلَّتْ فِي زَهْرَةِ الْإِحْسَانِ رَوَايَةَ الْحَبْلِ فِي الْعَنْقِ، فَقَالَ فِيهَا وَفِي الْمَثَلَاتِ:

فِي زَهْرَةِ الْإِحْسَانِ عِطْرٌ نَاعِمٌ تَفْنَى عُطُورُ الزَّهْرِ وَهُوَ الْبَاقِي

مَا اسْتَنْشَقْتُ رُوحِي شَذَاهُ مَرَّةً
 وَحَمَدْتُ مَدْرَسَهُ إِلَى أَحْضَانِهَا
 طَبَعْتُ عَلَى صَدْرِ الْيَتِيمِ خَيَالَهَا
 فَضْلُوْعُهُ فِي غَرْسِهَا، وَدُمُوْعُهُ
 وَمُمْتَلَاتٍ عَطَّرَتْ أَنْفَاسُهَا
 طَافَ الْجَمَالُ بِهِنَّ فَهُوَ مُخَيِّمٌ
 يَخْتَالُ بِالْأَدَبِ الصَّحِيحِ لِيَاوُؤُهُ
 وَالْحُسْنَ فِي الْأَجْسَامِ غَيْرُ مَتَمِّمٍ
 أَسْمَعْنِي نَعْمَ الْبَلَابِلِ فِي الرَّبِّي
 وَسَكِرْتُ مِنْ حَمْرِ الصَّبَابَةِ بَعْدَمَا
 فَعَرَفْتُ بَعْدَ تَجَاهَلِي أَنْ الْفَتَى
 وَعَدَوْتُ بَعْدَ «الْحَبْلِ فِي الْعُنُقِ» امْرَأً

إِلَّا ذَكَرْتُ اللَّهَ فِي اسْتِنْشَاقِي
 يَاوِي شَهِيدُ الْبُؤْسِ وَالْإِمْلَاقِ
 وَحَوْتُهُ مِنْ أَلْحَاطِهَا بِنِطَاقِ
 فِي كَأْسِهَا، وَالرُّوحُ فِي الْأَوْزَاقِ
 أَنْفَاسُهُنَّ فَزِدْنَ بِالْإِحْرَاقِ
 فِي الثَّغْرِ وَالْوَجَنَاتِ وَالْأَحْدَاقِ
 وَيَزِينُهُ تَهْذِيبُهُنَّ الرَّاقِي
 إِنَّ لَمْ يَتِمَّ الْحُسْنُ فِي الْأَخْلَاقِ
 فَازْدَدْتُ أَشْوَاقًا عَلَى أَشْوَاقِ
 نَهَبَ الشَّبَابُ بِهَا وَمَلَّ السَّاقِي
 مَا عَاشَ رَهْنٌ فَوَادِهِ الْحَقَّاقِ
 يَهْوَى بَقَاءَ الْحَبْلِ فِي الْأَعْنَاقِ

المدرسة الأهلية

في حفلتها السنوية

وَلَحِظْ سَلَلَتْ فَلَمْ تَرْحَمِي
وَوَرَدَ الْخُدُودِ وَدَرَّ السِّمِّ
فَحَلِّي حَدِيثُكَ ثُمَّ ابْسِمِي
حَرِيرًا عَلَى الْجَسَدِ الْأَنْعَمِ
إِذَا هِيَ لِلْقَلْبِ لَمْ تَنْتَمِي
مَنْ الطَّهْرُ فِي ثَوْبِهَا الْمُعَلِّمِ

دَعِينِي مِنَ الْجِدِّ وَالْمَعْصَمِ
وَلَا تَذْكُرِي لِي رِمَاحَ الْقُدُودِ
هُوَ الْحُسْنُ فِي الْعَقْلِ قَبْلَ الْمُحَيَّا
وَمِنْ خُلُقِ نَاعِمٍ فَالْبَسِي
وَلَا تَأْمِنِي نَضْرَةً فِي الْخُدُودِ
وَحَسْبُكَ يَا هِنْدُ رُوحٌ تَرِفُ

* * *

فَجِئْتُ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ ظَمِي
وَأَنْشُدُ رُوحَكَ فِي الْأَنْجُمِ
يُغَذِّيكِ مِنْ رُوحِهِ وَالِدَمِّ
فَحَانَ لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تُفْطِمِي
وَهَائِنَذَا جِئْتُ فِي الْمَوْسِمِ
وَأَرْشُفُ مِنْ كَأْسِكَ الْمُفْعَمِ
فَبِاللَّهِ يَا صُبْحُ لَا تَهْجُمِ
وَلَا كُنْتُ بِالشَّاعِرِ الْمُلْهِمِ

فَتَاةَ بِلَادِي دَعَانِي الْوَفَا
أُرَدُّ ذِكْرِكَ فِي خَاطِرِي
وَأَصْبُو لِرُبْعِ عَلَيْكَ حَنَا
رَضَعْتَ بِهِ الْعِلْمَ مِلءَ الْجِنَانِ
وَكُلُّ فِطَامٍ لَهُ مَوْسَمٌ
أَذُوقُ بِكَ الْأَدَبَ الْمُسْتَطَابَ
وَأَنْشُدُ يَا لَيْلُ فَيْكَ النَّعِيمِ
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَحُلْ لِي مِنْبَرٌ

تَبَلَّجَ تَغْرُكَ عَن دُرِّهِ
نَظَّمْتُ لِعَيْدِكَ مِنْهُ الْعُقُودَ
أَلَا يَا حَمَائِمَ وَايِ الْجَمِيلِ
عَلَيْهِ تَعَلَّمْتُ أَنْ تَخْفُقِي
وَعُشْكَ فِيهِ فَلَا تُوحِشِيهِ
تَزَوَّدْتُ مِنْهُ كَرِيمَ الْمُنَى
وَطَيْرِي عَلَى ضَوْئِهِ فِي الْحَيَاةِ
وَمِنْ حُبِّهِ فَحُذِي جُرْعَةً
فَكُلُّ دُرُوسِكَ لَيْسَتْ تُفِيدُ
فَأَوْمَضَ فِي فِكْرِي الْمُظْلِمِ
وَكَم مَرَّ عَيْدٌ وَلَمْ أَنْظُمِ
جَمِيلٌ بِوَايِدِكَ أَنْ تَنْعَمِي
وَمِنْهُ تَعَوَّدْتُ أَنْ تَحْلُمِي
بِهَجْرٍ طَوِيلِ الْمَدَى مُؤَلِّمِ
فَعِيشِي بِذِكْرِ لَهُ أَكْرَمِ
وَعُودِي إِلَى ظِلِّهِ فَاحْتَمِي
لِحُبِّ بِلَادِكَ تُرْوِي الظَّمِي
إِذَا هِيَ بِالْحُبِّ لَمْ تُخْتَمِ

مهرجان المتنبي

خطب فيه الناظم «هل كان المتنبي مجددًا؟» وتجد خطابه في الجزء الثاني من «على المنبر»، وقد بدأ خطابه بهذه التحية لدمشق.

لُبْنَانُ يَسْكُبُ فِي جُفُونِ الشَّامِ
قُبْلُ الشَّقِيقِ إِلَى الشَّقِيقِ حَمَلَتْهَا
قَالَتْ تُحِبُّ الشَّامَ، قُلْتُ وَهَلْ سَوَى
الشَّرْقُ شَرْقِي أَيْنَ لَاحَتْ شَمْسُهُ
«لِي فِي هَوَى وَطَنِي كِتَابُ خَالِدٍ
«سَجَلْتُ نَصْرَانِيَّتِي فِي مَتْنِهِ
قُبْلًا كَدَوِبِ الطَّلِّ فِي الْأَكْمَامِ
وَمَرَجْتُ فِيهَا صَبُوتِي وَهَيَامِي
بَرَدَى يُبْرَدُ يَا شَامَ أُوَامِي؟
وَدَمُ العُرُوبَةِ فِي دَمِي وَعِظَامِي
يَبْقَى عَلَى المَكْتُوبِ مِنْ أَيَّامِي»
وَنَشَرْتُ فَوْقَ سَطُورِهِ إِسْلَامِي»

* * *

أَتَقُومُ سَوْقَ عُكَاطٍ تَحْتَ سَمَائِهَا
هُوَ ثَارَ ثَوْرَتَهُ فَهَلْ مِنْ شَاعِرٍ
نَبِغِي الجَدِيدِ وَمَا الجَدِيدُ بِنَافِعٍ
وَأَعَافُهَا وَابْنُ الحُسَيْنِ أَمَامِي
لِيُعِيدَهَا فِي دَوْلَةِ الأَقْلَامِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي القَوْلِ وَالإِلْهَامِ

وختم بهذه الأبيات بلسان المتنبي:

سفرة في الحياة

يَا لَعُمْرَ مَشْيَا فِيهِ مَعَا
جَسَدِي النَّازِلُ مِنْ شَهْوَتِهِ
سُلَّمِ العَارِ وَرُوجِي السَّامِيَةِ

يَا لَعُمْرٍ مَشِيًا فِيهِ مَعًا
 مَشِيًا، كُلُّ إِلَى غَايَتِهِ
 فَهُوَ لَا يَشْبَعُ مِنْ لَذَّتِهِ
 وَيَا لَعُمْرٍ مَشِيًا فِيهِ مَعًا
 الْمَعَاصِي مِنْ نَصِيبِ الْأَوَّلِ
 غَرَّهُ الْمَالُ وَطِيبُ الْمَنْزِلِ
 وَكَفَافُ الزُّهْدِ حَظُّ التَّانِيَةِ
 وَبِهَا سِرٌّ دَفِينٌ
 وَحَنِينٌ
 لِسَمَاءِ الْبَادِيَةِ
 وَحَدِيثِ السَّاقِيَةِ
 وَاللَّيَالِي الصَّامِتَاتِ النَّائِيَةِ

يَا لَعُمْرٍ مَشِيًا فِيهِ مَعًا
 عَاشَ مِنْ أَطْمَاعِهِ فِي لَجْبٍ
 وَقُفُودٍ وَسَفَرٍ
 وَتَحَدُّ لِقَدَرٍ
 يَتَبَاهَى، طَالِبًا مُلْدً
 كَا وَجَاهًا، وَحُلَاهَا
 زَهْرَةً مِنْ أَدَبٍ
 هِيَ فَخْرُ الْعَرَبِ

يَا لَعُمْرٍ مَشِيًا فِيهِ مَعًا
 أَبْغَضَ النَّاسَ كَثِيرًا وَأَحَبًّا
 قَلَمٌ يَنْفُثُ سِحْرًا وَقَمٌ
 وَعِتَابٌ وَهَجَاءٌ
 وَرِضَى بَعْدَ جَفَاءٍ
 فَهُوَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ
 وَهِيَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
 وَيَا لَعُمْرٍ مَشِيًا فِيهِ مَعًا
 إِنَّ يَكُنْ فِي سِرِّهِ ضَلَّ السَّبِيلَ
 فَهِيَ لَمْ تَبْرُحْ مَعَ الْأَفْقِ الْجَمِيلِ
 وَأَرَادَ الْعَيْشَ حَرْبًا
 وَحُسَامٌ لَيْسَ يَرُويهِ دَمٌ
 وَالتُّرَابِ يَتَّقَلَّبُ
 تَتَّعَدَّبُ
 وَرَمَاهُ الطَّيْشُ فِي لَيْلٍ عَنيفٍ
 تَسْحَبُ النُّورَ عَلَى ذَيْلٍ عَفِيفٍ

يَا لَعُمْرٍ مَشِيََا فِيهِ مَعَا
رَفَعَتْهُ فَهَوَى
قَوْمَتْهُ فَالْتَوَى
ضَاعَ مِنْهَا فِي أَعَاصِيرِ الْهَوَى
فَإِذَا مَا حَمَلَتْ مَعَهُ ذُنُوبَهُ
وَلَقَدْ مَاتَ غَرِيبًا
مِثْلَمَا عَاشَتْ غَرِيبَةً
جَسَدِي النَّازِلُ مِنْ شَهْوَتِهِ
فَهِيَ لَمْ تَبْرَحْ مِنَ اللَّهِ قَرِيبَةً
سُلَّمِ الْعَارِ وَرُوحِي السَّامِيَّةُ

مبضع وقلم وسيف

رثاء الدكتور نجيب صليبي حاكم القليبين

يَا شَعْرُ جُدِّ بِنْدَى رَطِيبِ أُرْوِي بِهِ قَبْرَ النَّجِيبِ
قَالُوا غَرِيبُ الدَّارِ غَا بَتَّ شَمْسُهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ
قُلْتُ الَّذِي مَلَكَ الْبَيَا نَ وَكَانَ مَفْخَرَةَ الشُّعُوبِ
وَمَشَى اسْمُهُ فِي كُلِّ قُطْبِ رٍ لَا يُسَمَّى بِالْغَرِيبِ

* * *

مَا الْقَبْرِ فِي حَجَرٍ يُقَا مٌ وَزُخْرَفِ الْفَنِّ الْعَجِيبِ
هُوَ لِلْبَطُولَةِ حِينَ تَنْدُ شَدُّ فِي الْخَوَاطِرِ وَالْقُلُوبِ
فَيُنِيرُ مِنْ أَفْقِ الضَّمِيمِ رِ دُجَى الْمَشَاكِلِ وَالْخُطُوبِ
وَيَخْطُ نَهْجًا لِلْأَدِيبِ بٍ إِذَا التَّوَتْ طُرُقُ الْأَدِيبِ

* * *

إِنِّي أَرَى حَدَّيْنِ يَسُ تَبَيَّحَانِ فِي كَفِّ الطَّبِيبِ
قَلَمٌ يَسِيلُ، وَمِْبْضَعٌ مَا جَفَّ إِلَّا عَنَ خَصِيبِ
هَذَا إِلَى الْجِسْمِ الْمُصَا بٍ وَذَاكَ لِلرَّأْيِ الْمُصِيبِ
قَطْرَاتُ حَبْرٍ أَوْ دَمٍ نَزَلَتْ عَلَى تَرْبِ خَصِيبِ
سَوْدَاءُ أَوْ حَمْرَاءُ غَا يَتَّهَا الْقَضَاءُ عَلَى الْعُيُوبِ

عَلِمُ النَّبُوغُ يَرِفُ بِاللِّدِّ لَوْنَيْنِ فِي الْأَفْقِ الرَّحِيبِ

* * *

يَا مُوحِشًا لُبْنَانَهُ مِنْ قَبْلِ ذَا السَّفَرِ الرَّهِيْبِ^١
أَنَا إِنْ رَتَيْتُكَ لَا أَقْلُدُ لِدُّ أَوْ أُبَالِغُ فِي النَّحِيْبِ
لَا الْبَدْرُ هَاوٍ مِنْ ذُرَا هُ وَلَا الطَّبِيْعَةُ فِي شُحُوْبِ
لَكِنَّ لَحْنًا لِلْمَكَا رِمِ نَامٍ فِي الْوَتْرِ الطَّرُوْبِ
يَتَأَلَّمُونَ لَهُ إِذَا افدُ تَقْدُوكَ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيْبِ
هِيَ دَمْعَةٌ جَمَدَتْ عَلَيَّ شَفَةِ الْمُرْتَلِ وَالْخَطِيْبِ

* * *

فِي نِمْةِ التَّارِيخِ مَا قَدَّمْتَهُ يَا ابْنَ الصَّلِيْبِي
عِلْمًا وَإِقْدَامًا وَتَضُّ حِيَّةً وَحُبًّا لِلْقَرِيْبِ
نِكْرٌ يَطِلُّ مِنَ الْحَبِيْبِ بِ مُجَدِّدًا رَسَمَ الْحَبِيْبِ
يَمْشِي عَلَيَّ نَعَمَاتِ عُو دِ أَوْ عَلَيَّ نَفَحَاتِ طِيْبِ

^١ إشارة إلى طول إقامته بعيدًا عن لبنان.

الليل

نُظِمَ قسم منها في بيروت في خطاب للمرحوم نجيب مصور، وقد كلفه بها، ثم زيد عليها وأُلقيت في مصر في خطاب عن الألم.

وَهَجَّتْ تَحْتَ رَمَادِ الْقَلْبِ أَسْرَارَا
وَمَا رَفَعَتْ لِعَيْنِ الْفِكْرِ أَسْتَارَا
بِحَرِّ أَنْفَاسِ صَبِّ فَيْكِ قَدْ حَارَا
وَحَيًّا لِيَمْلَأَ سَمْعَ الدَّهْرِ أَشْعَارَا
جَنَّبِيهِ قَلْبٌ حَمَاهُ النَّوْمُ مَخْتَارَا
وَالصَّمْتُ صَمْتُكَ نَامَ الْكَوْنُ أَوْ ثَارَا
لَوْ أَنَّ لِلْمَوْتِ إِقْبَالَ وَادْبَارَا
وَكَمْ طَوَّيْتُ بِهِ نَاسًا وَأَعْمَارَا
قُولِي وَهَلْ تَحْفَظِينَ السَّرَّ أَنْهَارَا
مِنَ الْجُفُونِ إِذَا طَيْفُ الْكَرَى طَارَا
مَتْنِ الْأَثِيرِ إِذَا مَا عَرُشُكَ أَنْهَارَا
تَطْوِي إِلَى الشَّاطِئِ الْمَجْهُولِ أَبْحَارَا؟

يَا فَحْمَةَ اللَّيْلِ كَمْ أَضْرَمْتُ بِي نَارَا
وَكَمْ سَدَلْتُ عَلَى عَيْنِي سِتَارَ دُجَى
هَلْ أَنْتِ يَا ظُلُمَاتِ الْكَوْنِ شَاعِرَةٌ
بِشَاعِرِ هَامٍ فِي نَجْوَاكِ مُلْتَمِسَا
الْكَوْنُ فِي حُضْنِكَ الْهَادِي يَنَامُ وَفِي
مِنْ دُونِكَ الْبَحْرُ عُمُقًا وَالسَّمَاءُ سَعَةً
وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَّهُوكَ بِهِ
هَذَا جَبِينُكَ لَا طَيِّبٌ يُجْعِدُهُ
تَنَهَّدَاتُ الْوَرَى، مَا تَصْنَعِينَ بِهَا
وَمَا تَقُولُ لَكَ الْأَحْلَامُ طَائِرَةً
وَأَيْنَ تُخْفِينَ نُورَ السَّابِحَاتِ عَلَى
تَغْوُصُ فِي بَحْرِكَ الدَّاجِي وَتَطْلُعُ أَمْ

* * *

صَوْتُ الْمُعْنِي فَمَا حَرَكْتَ أَوْتَارَا
أَرَحْتَ عَيْنًا وَكَمْ أَتَعَبْتَ أَفْكَارَا
جَوُّ النَّفُوسِ فَعَارَتْ عِنْدَمَا غَارَا

يَا لَيْلُ، يَا لَيْلُ، كَمْ نَادَاكَ مِنْ طَرَبٍ
إِنْ كُنْتُ لِلرَّاحَةِ الْكُبْرَى خُلِقْتُ فَكَمْ
وَكَمْ قَتَلْتُ ضَمِيرًا كَانَ يَخْفُقُ فِي

لَيْلَ الْمُجِيبِينَ هَلْ هَذِي عُيُونُهُمْ نَامُوا فَأَطْلَعَتْهَا فِي اللَّيْلِ أَفْمَارًا
وَهَلْ تُطَلُّ عَلَى الْأَلَامِ بَعْدَهُمْ أَمْ تُرْسَلُ النُّورَ لِلْأَحْبَابِ تَذْكَارًا

* * *

تَزَحَّجِي يَا عُيُومَ الْأَفْقِ وَانْقَشِعِي وَأَرْسِلِي يَا عُيُونَ الْأَفْقِ أَنْوَارًا
بَلْ فَاحْمِلِينِي عَلَى أَشْبَاهِ أَجْنِحَةٍ حَتَّى أَرَى غَيْرَ دَارِ الْبُؤْسِ لِي دَارًا
أُودِعُ الْقِطْعَةَ اللَّحْمَ الَّتِي أُسْرَتَ رُوحِي وَأُصْبِحُ فِي الْأَفَاقِ سَيَّارًا
فَلَا أَرَى الدَّمَ فَوْقَ الْأَرْضِ مُنْدَفِقًا وَالْبُغْضُ يُضْرِمُ فِيهَا النَّارَ وَالْعَارًا

١٩١٨، ١٩٠٤

وداع الإسكندرية

قيلت في حفلة التوديع التي أقيمت للناظم في النادي السوري في الإسكندرية سنة ١٩٣٠.

لَا تَعْذُلِيهِ إِنْ رَأَيْتِ ذُهُولًا
عَشْرُونَ عَامًا فِي حِمَاكِ طَوَيْتَهَا
أَمَلُ الشَّبَابِ، وَدَمْعُهُ، وَجِهَادُهُ
وَرَجَعْتَ مِنْكَ بِوَحْشَةٍ وَصَبَابَةٍ
يَا مَبْسَمَ الوَادِي وَدُرَّةَ تَغْرِهِ
فِي جَوْكِ الصَّافِي وَفَجْرِكِ وَالذُّجَى
وَشَوَاطِيئِ أَمْوَاجِهَا سَرَبُ القَطَا
كَمْ وَقْفَةٍ لِي فِيكَ أَسْتَوْجِي الهَوَى
وَيَظَلُّ مِلْحُ هَوَائِهِ يُرْوِي دَمِي
هَذِي نَجُومُكَ سَوْفَ أَرْصُدُهَا إِذَا
لَأْرَاكِ فِي نَجَوَايَ غَيْرَ بَعِيدَةٍ

* * *

يَا عَهْدَ أَحْبَابِي عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ
لِي فِي كِتَابِكَ لِلصَّدَاقَةِ حُجَّةٌ
فَقَرَأْتُ مِنْهَا فِي وُجُوهِ أَحِبَّتِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ لِلْفِرَاقِ حِسَابَهُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِصْرُ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا
هَلْ كُنْتُ إِلَّا مَطْلَعًا وَأُفُولًا
سَجَّلْتُهَا بِيَدِ الوَقَا تَسْجِيلًا
هَذَا المَسَاءِ حَوَاشِيًا وَفُصُولًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَلْبِي بِهِمْ مَأْهُولًا
وَعَشِقتُ خُضْرَةَ أَرْضِهَا وَالنَّيْلَا

فَحَمَلْتُ فِي نَظْرِي جَمَالًا خَالِدًا مِنْهَا وَفِي عُنُقِي حَمَلْتُ جَمِيلًا

* * *

فِي زِمَّةِ الْخُطْبَاءِ جُهِدُ قَرِيحَةٍ فَضَحُوا بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ زَمِيلًا
مَا كَانَ مَغْلُولَ اللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَرَكَ الْفِرَاقُ فَوَادَهُ مَغْلُولًا
وَالشُّعْرُ يَا أُمْرَاءَهُ، لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ بَعْدِكُمْ شَوْطٌ بِهِ فَأَجُولًا
هَذِي قَوَافِيهِ وَتِلْكَ بُحُورُهُ قَدْ مَلَكْتَكُمْ عَرْضَهَا وَالطُّولًا
طَلَعَتْ قَصَائِدُكُمْ عَلَيَّ رَوَائِعًا أَرَأَيْتَ عِنْدَ طُلُوعِهِ الْأُسْطُولًا
تَجْرِي قَدَائِفُهُ سُلَافَةً حِكْمَةٍ وَيَكُونُ قَصْفُ رُعودِهِ تَرْتِيلًا

* * *

يَا مِصْرُ صُنْتُ هَوَاكَ بَيْنَ جَوَانِحِي وَتَرَكْتُ بَعْدَكَ مَدْمَعِي مَبْدُولًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لُبْنَانٌ قَبْلَةَ نَاطِرِي لَمْ أَتَّخِذْ يَا مِصْرُ مِنْكَ بَدِيلًا

الأرض تخاطب الإنسان

نُظمت هذه القصيدة في عرض الكلام عن التجديد في الشعر (انظر: على المنبر ج ١) مثلًا خاصًا للتساهل في الجمع بين الأوزان المتقاربة، وفي القافية. وللتوسع في استعمال الألفاظ على غير معناها المفهوم.

لَقَدْ شَبَبْتُ، وَمَا شَبَبْتُ تَقُولُ الْأَرْضُ لِلنَّاسِ
فَمِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ وَمِنْ قُطْبٍ إِلَى قُطْبٍ
وَمِنْ رَأْسِي لِأَطْرَافِي
يَمُرُّ الدَّهْرُ كَالْحُلْمِ
عَلَى جِسْمِي
فَلَا يُوهِنُ مِنْ عَزْمِي
وَلَا يُرْهِقُ أَعْطَافِي
وَكَيْفَ أَصَابُ بِالْهَرَمِ
وَأُمِّي الشَّمْسُ فِي الْفَجْرِ
تُجَدِّدُ حَرَّ أَنْفَاسِي
وَمِنْ ذَهَبِ الضِّيَاءِ بِي
بِقُبْلَتِهَا عَلَى تَغْرِي
أَجِدُ مِثْلَ يَوْمِي وَأَفَاتِهِ
وَفِي أَضْلَعِي وَقَعُ ضَرْبَاتِهِ
صَحِبْتُ ذُنُوبَ الزَّمَانِ فَلَمْ
جُنُونٌ عَلَى رَمَمِي رَحْفُهُ
يَلِدُ ضَرْبُ الْمِعْوَلِ
يَقُولُ لِي
أَنْتِ الْغِذَاءُ وَالْمُنَى

يَا أُمَّنَا
لَا تَبْخُلِي
وَأَمَّا ضُرْبَةُ الْعَارِ
وَسَكْبِ سِلَاحِهَا النَّارِ
لَسَلْبِ مَعَايِنِ الْأَرْضِ
عَلَى الْأَطْمَاعِ وَالْبُغْضِ
فَمَا لِي بَعْدَهَا آسِ

حَمَلْتِكُمْ عَلَى صَدْرِي
وَتَحْتَ سَنَائِسِ خُضِرِ
وَفَوْقِي النَّارُ تَسْتَعِرُ
أَثَرَتْ شَوَاطِهَا الْقَانِي
وَوَطَافَ بَرْبُوعِ النَّاعِي
وَمَا لِلْأَخْتِ مِنْ رَاعٍ
تُنَاغِيهِ وَتَحْتَضِرُ
تَرَكْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمَلِ الرِّ
رُجُوعِ شِعَاعِ مُحْتَرِقِ
وَوَطِيفِ الْيَتَمِ فِي الْعَيْنِي
نِ لَمْ يَتْرُكْ سِوَى الْأَرَقِ
يُنَاجِي ظَلْمَةَ الْيَاسِ
أَلَا فِي نِمْةِ اللَّهِ
خَيَالُ لَاحِ لِلْسُّنْمِ
أَطَلَّ بِنَظْرَةِ السَّاهِي
وَوَطَارَ بِخِفَةِ الْحُلْمِ
فَمَا كَحَلَّتْ أَجْفَانِي
فَرَشْتُ لَهُ عَلَى جَنْبِي
وَوَثِيرَ مَطَارِفِ الْحُبِّ
فَأَسْرَعَ دُونَهُ الْمَدْفَعِ
وَوَخْرَبَ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
وَوَعَطَّاهُ بِأَكْفَانِ
وَوَكَانَتْ بَهْجَةُ الْعِيْدِ
فَلَمْ يَتْرُكْ عَلَى بَابِي
سِوَى الْأَعْيَادِ لِلدُّودِ
وَوَعَنْ قِيَّتَارَةَ الْعَابِ
أَنَابَ أَنْيْنَ أَرْمَاسِي
لَقَدْ شَبْتُ وَمَا شَبْتُ
تَقُولُ الْأَرْضُ لِلنَّاسِ

يَا لِسْحَرِ حَمَلْتُهُ فِي جَبِينِي
وَعِنَاقِ السَّمَاءِ فِي زُرْقَةِ الْبَحْرِ
وَاخْتِلَاجِ الْفَضَاءِ وَاللَّيْلِ يَمْشِي
وَرَمَادِ الضِّيَاءِ يُذْرِيهِ فَوْقِي
وَصَلَاةِ تَعْلُو مَعَ الْمَوْجِ وَالرَّيِّ
وَشَذَا السُّكْرِ عَابِقًا فِي بُرُودِي
صُورٌ لِلْجَمَالِ شَوْهَتْ مُوَهَا
أَطْفَاءَ النُّورِ فِي الثُّغُورِ وَالْقَى

* * *

مَا لِنَجْوَى الْأَسْلَاكِ لَا تَسْتَفِزُّ الْدُ
وَلِحِطِّ الْحَدِيدِ أَرْجُفُ مِنْ قَضُ
وَالْجَوَارِي، مَنِ الضَّفَافِ إِلَيْهَا
وَعَلَى الطَّائِرَاتِ أَلْفُ سَلَامٍ
رُسُلُ الْفَقْرِ وَالِدَّمَارِ وَقَبْلًا
وإِلَى هَذِهِ الْمَخَازِي أَنْتَهَيْتُمْ
وَعُصُورٍ مِنْ ظُلْمَةٍ وَشَقَاءٍ
بِنَسْ عُمْرَانِكُمْ وَحِكْمَةٍ جِيلٍ

يَوْمَ أَصْدَاوُهَا سِوَى آلَمِي
بِبَانِهِ وَهِيَ أَضْلَعِي وَعِظَامِي
نَظَرَاتٌ لَيْسَتْ حَدِيثٌ هِيَامٍ
يَوْمَ كَانَتْ لِرَاحَتِي وَسَلَامِي
حَمَلْتُ ثُرُوتِي وَصَانَتْ حُطَامِي
بَعْدَ نَهْكِ الْعُقُولِ وَالْأَجْسَامِ
وَحُنُوعٍ وَثُورَةٍ وَأَنْتِقَامٍ؟
أَفْسَدَتْهُ سِيَاسَةُ الْحُكَّامِ

* * *

أَلَا فَارْجِعْ إِلَى دَارِي
وَلَا تَهْزَأْ بِأَسْرَارِي
لِمَنْ يُؤْمِنُ أَوْ يَسْعَى
مَدَارَ حَيَاتِكَ الْمُرَّةِ
فَحَسْبُكَ فِيهِمَا حَسْبُ
وَجُودٌ يُنْصِفُ الزَّرْعَا

إِذَا ابْتَسَمْتَ عَلَى ثَغْرِي الْأَمَانِي
وَمَا مَعْنَى الْحَلَاوَةِ فِي دِنَانِي
عَصَرْتُ مِنْ دَمِ قَلْبِي

فَهَلْ تَبْقَى سَمَاوُكَ مُكْفَهَرَةً
إِذَا كَانَتْ عَلَى شَفَتَيْكَ مُرَّةً
فِي كَأْسِ حُبِّكَ خَمْرًا

فَمَا تَمَلَّيْتَ حُبًّا وَلَا تَذَوَّقْتَ عَضْرًا
أَكَلَّمَا فَاصَ رِزْقِي بَدَّلْتَ بِالْيُسْرِ عُسْرًا
فَتَحْرِقَ الزَّرْعَ شَهْرًا وَتَمْنَعُ الزَّرْعَ شَهْرًا

* * *

وَضَعْتَ الْقَيْدَ فِي نَحْرِي فَضَاعَتْ فِيكَ أَمَالِي
وَرَحْتَ تَزِيدُ فِي فَقْرِي تُرِيقُ دَمِي عَلَى قَبْرِي
تُمَزِّقُ شَمْلَ عُمَالِي

إِلَامَ إِلَامَ يَا عَاتِي تُحَوِّلُ عَنْكَ خَيْرَاتِي
وَتُغْرِقُ بِالِدَّمِ الزَّاهِي بَسَاتِينِي وَجَنَاتِي
وَتَجْحَدُ نِعْمَةَ اللَّهِ

لَقَدْ غَامَرْتُ فِي الْحَرْبِ بِأَمْوَالِي وَأَمْوَالِي
وَكَانَتْ مَعَكَ لِي حَالٌ فَلَمْ تَثْبُتْ عَلَى حَالِ
وَلَمْ تُشْفِقْ عَلَى شُعْبِي

فَأَيَّنَ الْمُنْقَذُ الْفَادِي يُعِيدُ إِلَيَّ أَمْجَادِي
وَيَنْشُرُ فِي دُجَى الْحَقْدِ عَلَى الْبَاقِينَ مِنْ وُلْدِي
شِعَاعَ الرَّحْمَةِ الْهَادِي

بِقُوَّةِ سَاعِدِ حُرٍّ يُدِيرُ الرَّفْشَ وَالْمِعْوَلُ
وَتُورَةَ فِتْيَةٍ غُرٍّ يَلِينُ لِعَزْمِهَا الْجَنْدَلُ
عَسَاكَ تَلِينُ يَا قَاسِ

لَقَدْ شَبْتُ وَمَا شَبْتُ تَقُولُ الْأَرْضُ لِلنَّاسِ

الشاعر والمومياء

الشاعر:

فِي الْقَفْرِ يَزْعَى لَيْلِكَ الْهَرْمَانِ
أَمْ أَنْتِ نَاعِمَةٌ بِعُمْرِ ثَانٍ
مِلءَ الْإِرَارِ، الْقَارَ فِي الْأَكْفَانِ
وَسَكَنْتِ بَعْدَ الْوَجْدِ وَالْخَفَقَانِ
تَتَأَثَّرِينَ لِنَازِحِ أَوْ دَانَ
تَرْتَاعُ مِنْكَ لِسَمْعِهَا أُذُنَانِ

يُهْنِيكَ نَوْمُكَ يَا ابْنَةَ الْأَزْمَانِ
هَلْ أَنْتِ آسِفَةٌ عَلَيَّ عُمْرٍ مَضَى
بَدَلْتِ بِالْقَصْرِ التُّرَابَ، وَبِالشَّدَا
نَزَعُوا فُؤَادَكَ فَاسْتَرَحْتَ مِنَ الْهَوَى
تَمْشِي الْعُصُورُ وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ فَلَا
وَتَقُومُ حَوْلِكَ صَيْحَةُ الدُّنْيَا فَلَا

المومياء:

فَأَنَا بِهَا أَشْقَى وَغَيْرِي الْهَانِي
مَا كَانَ فِي الْأَحْيَاءِ مَنْ أَبْقَانِي
لِوَحُوشِهَا نَهَبًا وَلِلْعُقْبَانِ
وَالرَّيْحِ تَذْرِيئِي بِكُلِّ مَكَانِ
وَيُجَدِّدُ الدَّهْرُ الْجَدِيدُ كَيْانِي
جَسَدِي بِهِ وَكَحَلْتُمْ أَجْفَانِي
صَخْرَ الْعَمِيقِ يَبِيتُ جِسْمِي الْعَانِي
يَوْمًا يُنِيرُ شِعَاعُهُ جُذْرَانِي
سَهْرَانَ فَوْقَ رِمَالِهِ يَرْعَانِي

أَمْرِيَدَ سِرًّا سَكِينَتِي لَا تَغْتَرِرُ
لَا يَنْفَعُ الْمَيْتَ الْبَقَاءُ فَلَيْتَهُ
بَلْ لَيْتَهُمْ طَرَحُوا رُفَاتِي فِي الْفَلَا
أَوْ فِي التُّرَابِ أَصِيرُ مِنْ أَجْرَائِهِ
فَاعُودُ لِلْكَوْنِ الَّذِي فَارَقْتُهُ
تِلْكَ الْحَيَاةَ، وَلَيْسَ مَا ضَمَخْتُمْ
فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ السَّحِيقِ وَمُهَجَةِ الصِّ
لَا النَّيْلُ يُرْوِينِي، وَلَا بَدْرُ الدُّجَى
جَارِي أَبُو الْهَوْلِ الْمُقِيمِ عَلَيَّ الْمَدَى

عَيْنَاهُ فِي الإِعْصَارِ غَائِرَتَانِ
فَوْقِي وَلَا يَقْوَى عَلَى الطَّيْرَانِ
تَطْوِي إِلَيَّ مَزَاجِلَ النَّسِيَانِ
إِيقَاعَ دَمْعِ العَارِضِ الهَتَّانِ
مَا بَيْنَ نَقْعِ ثَائِرٍ وَدُخَانِ
لِصَدَاهُ تَحْتَ لَفَائِفِ الكِتَّانِ:
حُلَلِ الطَّبِيعَةِ وَأَمْرَجِي بِأَمَانِ
وَنُشَارِكُ الأَفْلَاقَ فِي الدَّوْرَانِ
رُوحٌ تَحْرِكُ زَهْرَةَ البُسْتَانِ
مِنْكَ الفُتُورَ لِحَظِّهَا الوَسْتَانِ
صَاعَتَ عَنَاصِرُهَا حَلَى التَّيْجَانِ
رُدَّتْ جَوَانِحُهُ إِلَى الأَغْصَانِ^٢
يَعْتَدُّهَا فِي مَعْمَلِ العُمْرَانِ
مَنْ شَمِسِهِ فِي الهَيْكَلِ الإِنْسَانِي

أَخَذَ العُصُورَ بِصَدْرِهِ فَكَأَنَّمَا
وَأَبَيْسُ فِي أَوْجِ الضَّرِيحِ مُحَلَّقٌ
وَجِيَالٌ قَبْرِي كُلُّ أَنْ ضَجَّةٌ
طَوْرًا أَنِينُ العَاصِفَاتِ وَتَارَةٌ
وَالرَّيْحُ تَسْحَبُ فِي العَرَءِ ذُيُولَهَا
كُلُّ يُنَادِينِي فَتَحْفِقُ أَضْلُعِي
«قُومِي فَقَدْ دَعَتِ العَنَاصِرُ وَالْبَيْسِي
نَحْتَلُ مِنْ جِسْمِ الوُجُودِ صَمِيمَهُ
قُومِي لَعَلَّكَ زَهْرَةَ البُسْتَانِ، أَوْ
وَلَرُبَّمَا اتَّخَذَتْ مَحَاجِرُ كَاعِبِ
كَمْ مِنْ دَمٍ عَصَرَ المُدَامَ وَأَعْظَمِ
وَمَجْنَحِ هَزِّ العُصُونِ، فَمُذْ هَوَى
مَا أَنْتِ عَبْرَ الكَوْنِ إِلَّا آلَةٌ
بَلْ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهِ وَشَرَارَةٌ

الشاعر:

فَرَجَعْتُ مِنْكَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
لَا تَغْتَرِرِ بِالعِلْمِ وَالعِرْفَانِ
يَبْقَى البِنَاءُ وَلَيْسَ يَبْقَى البَانِي
حَتَّى أَرَدْتَ خُلُودَهَا يَا جَانِ
إِلَّا الشَّنَاعَةَ فِي مِثَالِ فَنَانِ

يَا عَبْرَةَ الأَيَّامِ جِئْتِكِ لَاهِيًا
شُكُوكَ لِلإِنْسَانِ قَائِلَةً لَهُ
تَبْنِي وَيَهْدِمُكَ الزَّمَانُ وَهَكَذَا
إِنَّ الحَيَاةَ جِنَايَةٌ، أَمَا كَفَى
عَلَّتْ نَفْسَكَ بِالدَّوَامِ، فَلَمْ تُدِمِ

^١ أبيس: طائر مصري لم يزل منه بقية في أرض مصر، وعلى الأخص في الصعيد، وكان قدماء المصريين يعقموه ويقدمونه وينسبونه إلى رب الحكمة «توت»، ويرسمون هذا المعبود برأس أبيس. وقد اكتشف الأثريون بصعيد مصر مقبرة جثة محنطة من هذا الطائر.

^٢ أي عاد بعد الموت نباتًا.

الأعمى الجائع

أقامت جمعية إغاثة العميان برئاسة السيدة شمس سعد حفلةً خيريةً في سينما روكسي، وطلبت من الناظم شعرًا يُقال في الحفلة، وقد أَلقت الأبيات السيدة لوريس بريدي، وهذا ما بقي منها في الذاكرة:

وَالفَجْرُ فِي عَيْنَيْهِ لَيْلٌ مُظْلِمٌ
فَيْرُدُّهَا عَنْهُ سِتَارٌ مُحْكَمٌ
لَكِنَّ مَنْظَرَهَا عَلَيْهِ مُحَرَّمٌ
تُوجِي إِلَيْهِ شَمْسُهُ وَالْأَنْجُمُ
جُوعًا فَكَيْفَ بِهِ إِذَا جَاعَ الْفَمُ
لَا الدَّمْعُ يُطْفِئُ مَنْ لَظَاهُ وَلَا الدَّمُ
هَذَا الْمَكَانَ لِأَجْلِهِ فَشَرَّفْتُمْ
نَعْمًا عَلَى الدُّنْيَا بِهِ يَتَرَنَّمُ

الْفَجْرُ حَوْلَ سَرِيرِهِ يَتَبَسَّمُ
تَمْشِي أَشْعَتُهُ عَلَى أَهْدَابِهِ
وَتُنِيرُهُ الْأَقْمَارُ كُلَّ عَشِيَّةٍ
ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِنَجْمَتَيْهِ فَمَا الَّذِي
هَذَا هُوَ الْأَعْمَى، وَحَسْبُ فُؤَادِهِ
شَفَتَاهُ تَحْتَرِقَانِ مِثْلَ جُفُونِهِ
هَذَا هُوَ الْأَعْمَى الَّذِي شَرَّفْتُمُو
سَيَظَلُّ ذِكْرُ جَمِيلِكُمْ فِي قَلْبِهِ

الصامتون

كان أحد الأدباء في مصر قد أرسل إلى الناظم — وهو في الإسكندرية — أبياتاً بهذا العنوان لشاعر إنكليزي مشهور وسأله ترجمتها شعراً عربياً، وهي هذه:

كَمْ رَمَى الدَّهْرُ مِنْ يَرَاعِ وَعُودِ
وَوَقَفْنَا عَلَى القُبُورِ نُحَيِّي
وَنَسِينَا تَحْتَ التُّرَى غُرَبَاءَ
لَمْ يَبْحِ مِنْهُمْ بِشَكْوَى لِسَانُ
لَهْفَ قَلْبِي عَلَى بِلَابِلِ مَاتَتْ
لَا تُخَصِّصُ بِاللِّدْمَعِ مَنْ غَابَ عَنَّا
وَابِكِ قَوْمًا أَقْلَامُهُمْ لَمْ تُعَبِّرْ
كَلَّلَ الشَّوْكَ هَامَهُمْ ثُمَّ سَارُوا
فَفَجَعْنَا بِمُنْشِدٍ وَنَشِيدِ
مِنْ دُعَاةِ القَرِيضِ كُلِّ شَهِيدِ
حَمَلُوا «صَامِتِينَ» ثِقَلَ الوُجُودِ
رُبَّمَا كَانَ مِنْ مُلُوكِ القَصِيدِ
مَا سَمِعْنَا لَهَا صَدَى تَغْرِيدِ
تَارِكًا ذِكْرَهُ بِكُلِّ صَعِيدِ
عَنْ مَآسِي أَحْلَامِهِمْ وَالْعُهُودِ
لِفَنَاءٍ، وَغَيْرُهُمْ لِخُلُودِ ...

تحية القدس

كانت جمعية اتحاد الشبان المسيحيين قد دعت الناظم إلى القدس لإلقاء محاضرة فيها، فافتتح كلامه بهذه الأبيات:

أَوْحِيَ إِلَيَّ قَلْبِي الْبَيَانَ وَمَقُولِي
وَهَدَيْتُ شَعْرَكَ فِي الْمَتِيمِ وَالْخَلِي
وَبِكِفِّهِ قَيْثَارَةَ الْمُتَوَسَّلِ
أَنْغَامَ أَوْتَارِ الْحَكِيمِ الْأَوَّلِ
بُرْدِيكَ أَنْفَاسُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
فِيكَ الْخُلُودُ، وَأَنْتِ أَطْيَبُ مَنْزِلِ
أَرْضِ النَّبُوءَةِ وَالْحَدِيثِ الْمُنْزَلِ
الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ مِنْكَ مَعِينُهَا
دَاوُدُ تَاجُ الْمَلِكِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وَالجَوْ هَيْمَنَةٌ تُذِيعُ عَلَى الْمَلَا
رَوَى دَمُ الْفَادِي تَرَاكٍ وَعَطَّرَتْ
مَا رُومَةَ الْبَلَدِ الْمُخَلَّدُ ذِكْرُهُ

* * *

اللَّهُ فِي جَمْعِيَّةٍ قَامَتْ عَلَى
لَمَّا رَأَتْ عَهْدَ انْحِطَاطِ عَهْدِهَا
وَبَنَتْ لَهَا فِي الشَّرْقِ أَفْحَمَ مَعْهَدِ
أَحْيَا سُلَيْمَانًا فَهَلْ لِي وَحْيُهُ
غُذِّيتُ مِنْ «أُمَّتَالِهِ» لِهْدَايَتِي
وَذَكَرْتُ هَيْكَلَهُ فَجِئْتُ مُسَلِّمًا
إِيمَانِهَا بِاللَّهِ وَالْمُسْتَقْبَلِ
هَبَّتْ لِتَرْقِيَةِ النُّفُوسِ إِلَيَّ عَلِ
فَكَسَا جَمَالَ الرُّوحِ صُمَّ الْجَنْدَلِ
حَتَّى أَكُونَ حَاطِبَ هَذَا الْمَحْفَلِ
وَرُوِيَتْ مِنْ «إِنْشَادِهِ» لِتَعَزُّلِي
وَهَدَيْتِي مِنْ عَطْرِ أَرْضِ الْهَيْكَلِ

يا ليل

خَفِّفِ الوَطْءَ عَلَيَّا عَلَّانِي أَفْهَمُ شَيْئًا
كُلَّمَا أَطْلَقْتُ فِكْرِي مِنْكَ يَا لَيْلُ
تَحْتِ عُمُقٍ كُنْتُ كَالْخَابِطِ فِي أَمْوَاجِ بَحْرِ
يَتَلَوَّى مِثْلَ قَيْدٍ حَوْلَ عُنُقِي

وَبِأُذُنِي طَنِينٌ لَا يَبِينُ
مِنْ هَدِيرِ الشَّرِّ، وَصِرَاعِ الْقَدَرِ
كُلَّمَا أَنْعَمْتُ فِيكَ النَّظْرًا
لَأَرَى مَا لَا يُرَى
خَلْتُ أَنِّي بَالِغُ تِلْكَ الْحُدُودِ
وَالسُّدُودِ
خَلْفَ غَابَاتِ الظُّنُونِ
فَإِذَا بِي حَاسِرُ الطَّرْفِ كَلِيلُ
دَمَكِ الْأَسْوَدِ فِي عَيْنِي يَسِيلُ
حَرْقًا تَحْتَ الْجُفُونِ

* * *

إِنِّي أَسْمَعُ هَمْسًا وَأَخَالَ

أَنَّ لَيْلٍ شِفَاهَا
تَمَلُّ الظُّلْمَةَ أَهَّا
وَأَحَادِيثَ طِوَالٍ
أَتْرَى هَذَا صَدَى لِقُبَلِ
تَرَكَتْهُ سَكَرَاتُ الْعَاشِقِينَ
أَمْ صَلَاةٌ مِنْ قَدِيمِ الْأَزَلِ
لَمْ تَزَلْ تُرْهِفُ سَمْعَ الْعَابِدِينَ
أَمْ هُوَ الْوَحْيِيُّ رَسُولُ الْأَمَلِ
وَحَبِيبُ الْمُنْشِدِينَ
أَمْ عِتَابُ
وَحَسَابُ
فِي ضَمِيرِ الْمُجْرِمِينَ
أَمْ مَعَاذُ وَنُشُورُ
لِلْأَقْبُورِ
تَأْتَقِي فِيهِ الْعُصُورُ
بَيْنَ شُكُوى وَحَنِين؟

طَلَعَ الْبَدْرُ يَشُقُّ الْحُجُبَا
مُعْجَبًا
فَالغُيُومُ
كَالْحَافِ
قُطْنُهُ مَنُذُوفُ
أَوْ قَطِيعٌ مِنْ خِرَافِ
أَبْيَضُ الصُّوفِ
وَالنُّجُومُ
فِي السَّمَاءِ
تَخْفِضُ الطَّرْفَ حَيَاءً

يا ليل

وَعَلَى الْأَرْضِ بَيَاضُ الْكَفَنِ
وَصَلَاةُ الزَّمَنِ

* * *

مَا نُجُومُ اللَّيْلِ إِلَّا
مُقَلُّ الْأَمْوَاتِ مِمَّنْ
فَإِذَا مَا الشَّمْسُ غَابَتْ وَالذُّجَى
أَقْبَلَتْ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ عَلَيْنَا
يَا نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ تِلْكَ التُّقُوبِ
وَأَغْمِرِي بِالْوَحْيِ رُوحِي عَلَهَا
وَلْيَكُنْ يَا لَيْلُ فِي صَمْتِكَ لِي
عِنْدَمَا أُرْوِي أَحَادِيثَ بِلَادِي
حَامِلًا أَوْزَاقَ غَارِي
يَعْرِفُ النَّاسُ بِهَا قَدْرَ الْأَدِيبِ ...
وَلْيَكُنْ يَا لَيْلُ فِي صَمْتِكَ لِي
أَبْعَثُ الشُّعْرَ بِهَا بَيْنَ الْمَلَا
وَيَظَلُّ اللَّيْلُ سَتَّارَ الْعِيُوبِ

١٩٣٩

أثينا

أُذِيعت من راديو الشرق يوم انتصار الأنصار.

حَدَّثِينَا عَنِ الْعُلَى حَدَّثِينَا
حَرَّرُوها فَحَرَّرُوا صَفْحَاتِ
بَلَدِ الظَّرْفِ وَالْأَنَاقَةِ وَالْفِكَ
وَمَنَارِ الحُرِّيَّةِ البِكْرِ لَمَّا
يَا لَهَا ذِكْرِيَاتِ عَهْدِ قَدِيمِ
يَوْمَ كَانَتْ سُلْطَانَةَ البَحْرِ بَحْرِ الرِّ
يَوْمَ كَانَتْ جُيُوشُهَا تَزْرَعُ الأَرْضَ
وَلَهَا فِي مَجَالِسِ الأُنْسِ جَيْشُ
جِيلِ أُسْبَازِيَا وَفِدْيَاسِ وَالسُّمِّ
وَعَلَى الأَكْرَبُولِ أْبَدَعُ مَا لِلدِّ
لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا غِنَى وَجَمَالًا

فَلِوَاءِ الأَنْصَارِ فَوْقَ أَثِينَا
عَزَّ فِيهَا التَّارِيخُ دُنْيَا وَدِينَا
ر وَمَهْدُ الأَبْطَالِ وَالخَالِدِينَا
فَجَرَّتْهَا الدَّمَاءُ مِنْ «سَلَامِينَا»
لَمْ يَزَلْ مَجْدُهُ يُضِيءُ القُرُونَا
رُومَ وَالْفَرْسَ دُونَهَا صَاغِرُونَا
ضَ أَمَانًا وَحِكْمَةً وَفُنُونَا
أَخْرَ يَزْرَعُ الحَيَاةَ مُجُونَا
مَارَ وَالْعَازِفِينَ وَالْمُنْشِدِينَا
فِكْرَ وَالْفَنَّ شَيْدَ البَانُونَا
وَبِرْكَلَيْسِ مِثْلُهُ لَنْ يَكُونَا

* * *

إِيهِ يَا مَوْطِنَ العَطَارِفَةِ الإغْدِ
لَسْتُ أَنْسَى عُدْوَانَ رُومًا وَطَاغِيهِ
فَرَأَى مَا أَشَابَ مِنْهُ النُّوَاصِي
ثُمَّ جَاءَ النَّازِي يَصُبُّ عَلَيْكَ النَّدْ
وَيَدِينُ الأَحْرَارَ، حَتَّى إِذَا مَا
رِيقِ، زِدْنِي جَوَى وَزِدْنِي حَنِينَا
هَا، وَكَيْفَ اسْتَبَاحَ مِنْكَ العَرِينَا
وَأَثَارَ الإِعْجَابِ فِي العَالَمِينَا
نَارَ طَيْرًا وَدَارِعًا وَسَفِينَا
أَزَفْتُ سَاعَةً أَنْتِقَامِكَ، دِينَا

فَحَبَا نَجْمُهُ وَضَلَّ هُدَاهُ وَحَبَّتْكَ الْأَقْدَارُ نَصْرًا مُبِينًا

* * *

يَا مَنِرْقًا مِّنَ الْأُلْمَبِ أَطْلِي وَأَبْسِمِي كَالشُّعَاعِ لِلْفَاتِحِينَا
دَارُكَ الْيَوْمَ حُرَّةً، وَبَنُوهَا أُسْدٌ فِي الْوَعَى كَمَا تَعْهَدِينَا
قَدْ قَرَعْنَا لِكَ النَّوَاقِيسِ لَيْلًا وَأَنْزَرْنَا الشُّمُوعَ لِلْهَازِجِينَا
وَأَدْرْنَا الْكُتُوسَ بِإِسْمِكَ تَتْرَى وَأَعَدْنَا أَعْيَادَ قَانُوسَ فِينَا
حَدَّثِينَا عَنِ الْعَلَى حَدَّثِينَا

مهرجان الكتاب

يوم الأحد ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ أقامت الكتاب اللبنانية حفلتها السنوية في سينما روكسي، وألقى الناظم فيها هذه القصيدة، ثم طبعها المؤتمر الوطني على نفقته لتوزع هدية للشباب اللبناني، وصدرها بهذا البيت للناظم:

إِنِّي لِأَبْدُلُ أَنْفَاسِي بِلَا تَمَنِّ حَتَّى أَرَكَ كَمَا أَهْوَاكَ يَا وَطَنِي

والمؤتمر الوطني حزب تألف عامئذٍ من صفوة اللبنانيين؛ احتجاجاً على اعتقال السلطة الفرنسية رئيس الجمهورية والوزراء، وسعيًا للإفراج عنهم.

حَيِّ الْكُتَّابِ، وَأَنْشُرْ فَوْقَ لُبْنَانَ
وَأَبْعَثْ بِشَعْلَتِهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
شَمْسُ الْعُرُوبَةِ فِي لُبْنَانَ مَا غَرَبَتْ
كَمْ مِنْ شَهِيدٍ لَهَا فِيهِ، وَكَمْ بَطَلٍ
وَدِي يِرَاعِ طَوَى الْأَفَاقِ يَزْرَعُهَا
رُوحَ الْكُتَّابِ فِي شَيْبٍ وَفَيْتِيَانِ
حُبِّ الْجِهَادِ وَجِدُّدِ مَجْدِ عَدْنَانِ
يَوْمًا وَلَا غَابَ عَنْهُ نُورُهَا الْقَانِي
وَتَائِرٍ مِنْ عَرِيْنِ الْأَسَدِ غَضْبَانَ
مَا صَمَّتِ الصَّادُ مِنْ حُسْنٍ وَإِحْسَانِ

* * *

شَبَابَ لُبْنَانَ هَلْ كُنْتُمْ لِنُصْرَتِهِ
أَزْمَانَ لَا حَقَّ مَرْفُوعِ اللَّوَاءِ وَلَا
كَانُوا إِذَا ذُكِرَ اسْتِقْلَالُهُ ضَجُّوا
أَرَدْتُمُوهُ عَلَى الْأَيَّامِ مُتَّحِدًا
إِلَّا سَلَّاحِينَ مِنْ حَقٍّ وَإِيمَانِ
إِيمَانَ يُلْهَبُ عَزْمَ الْيَائِسِ الْوَانِي
كَأَنَّهُ حُلْمٌ فِي جَفْنِ وَسْنَانِ
حُرًّا فَكُنْتُمْ لَهُ فِي كُلِّ مَيْدَانِ

بِهِ تَقَالِيدُ عَادَاتٍ وَأَدْيَانٍ
أَجْدَادُكُمْ فِيهِ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ شَانٍ
فِي جَلْبٍ مَكْرَمَةٍ أَوْ دَفْعِ عُدْوَانٍ
كَفِّ الْفَقِيرِ وَجَوْفِ الْجَائِعِ الْعَائِي
مَوَارِدِ الْعَيْشِ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانٍ
يَا عُجَبَ مَا شَهِدْتَ فِي الْبُرْجِ عَيْنَانِ
عِزْلَاءَ تَمْشِي صُفُوفًا بَيْنَ نِيرَانِ
وَالْبُرْجِ ضَجَّ بِزْنَجِيٍّ وَسُودَانِي
وَعُدْتُمْ بِجَبِينِ غَيْرِ حَجَلَانِ
هَلْ يَسْتَعِينُ عَلَى حُرٍّ بَعْبَدَانِ
تَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مَا يَبْقَى الْجَدِيدَانِ

تَحَارِبُونَ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا عَبَّتْ
وَتَنْشُرُونَ مِنَ التَّارِيخِ مَا نَقَشَتْ
كَمْ وَقْفَةٍ لَكُمْ يَغْلُو الْجَبِينُ بِهَا
فَتَمَلُّونَ بِأَعْمَالٍ لَكُمْ غُرَّرَ
وَتَضْرِبُونَ عَلَى أَيْدِي الْأَلَى احْتَكُرُوا
قَدْ كَانَ فِي الْبُرْجِ مِنْكُمْ مَشْهُدٌ عَجَبٌ
جَاءَتْ كِتَابُكُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ
وَالشَّعْبُ مِنْ حَوْلِكُمْ قَدْ ضَجَّ مِنْ جَزَعٍ
فَارْتَدَّ عَنْكُمْ كَمِي الْقَوْمِ فِي حَجَلٍ
مَنْ صَيَّرَ النَّاسَ أَحْرَارًا بَنُورَتِهِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ نَصْرِ صَحَائِفُهُ

* * *

أُودِتْ بِمَا فِيهِ مِنْ حُكْمٍ وَسُلْطَانِ
مِنَ الشَّامِ إِلَى أَطْرَافِ حُورَانِ
إِلَى الْعِرَاقِ فَهَبَّتْ أَسَدُ بَغْدَانِ
حَقْدِسِ الْحَرَامِ، إِلَى بَطْحَاءِ عَمَّانِ
كَأَنَّهُ يَتَمْشَى فَوْقَ بُرْكَانِ
فِي سَاعَةٍ عَزَّ فِيهَا كُلُّ مِعْوَانِ

بِالْأَمْسِ هَبَّتْ عَلَى لُبْنَانَ عَاصِفَةٌ
فَرَوَّعَ الْعَرَبَ الْأَحْرَارَ مَضْرَعُهُ
إِلَى الْعَرِيشِ فَصَاحَتْ مِضْرُ صَيْحَتِهَا
إِلَى الْحِجَازِ، إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، إِلَى الْـ
وَأَصْبَحَ الْبَلَدُ الْمَنْكُوبُ فِي مَرَجٍ
فَكُنْتُمْ الْمَثَلَ الْأَعْلَى لِخِدْمَتِهِ

* * *

سَمِعْتَ غَيْرَ صَدَى وَاهٍ وَوَلَهَانِ
مَهَابَةِ الْحَقِّ عَن غَارٍ وَرِيحَانِ
يَا مَنْ رَأَى أَسَدًا فِي زِيٍّ غِزْلَانِ
يَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، بِنْتَ لُبْنَانَ
وَعَادَ لُبْنَانٌ وَهُوَ الظَّافِرُ الْهَانِي
وَطَهَّرُوا الْجَوْ مِنْ غِلٍّ وَأَضْغَانِ
فَلَيْسَ دُسْتُورُ قَوْمٍ لِعَبِّ صَبِيَانِ
بِهِ فَمَا نَالَ مِنْهُ غَيْرَ جِرْمَانِ

لَوْلَا النِّسَاءُ وَصَيْحَاتُ النِّسَاءِ لَمَا
خَرَجْنَا فِي مَوْكِبٍ تُغْنِي طَلَائِعُهُ
كَأَنَّهُنَّ أَسُودَ الْغَابِ ثَائِرَةٌ
مَا بِنْتَ لُبْنَانَ إِلَّا نُورُ غُرَّتِهِ
وَالْيَوْمَ عَادَتْ إِلَى الْأَيَّامِ بَهْجَتِهَا
فَأَنْجِرُوا مَا تَبْقَى مِنْ رِسَالَتِكُمْ
لُبْنَانَ لَا يَتَخَلَّى عَن حُكُومَتِهِ
كَمْ عَاهَدُوهُ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ وَمَضُوا

اللَّهُ عَزَّزَ هَذَا الْيَوْمَ شَوْكَتَهُ
أَعْلَامُهُ الْحُمْرُ رَمُزٌ إِنَّ أَرْزَتَهُ الـ
ذِكْرِي بِشَامُونَ بَيْتٌ مِنْ قَصِيدَتِهِ
فَلَيْسَ يُثْنِيهِ عَنْ تَحْقِيقِهِ ثَانٍ
خَضْرَاءُ تُسْقَى وَتَفْدَى بِالدَّمِ الْقَانِي
تُغْنِيكَ رَوْعَتُهُ عَنِ الْفِ بِيَوَانٍ

* * *

شَبَابَ لُبْنَانَ قُولُوا لِلشُّيُوخِ مَضَى
الْأَمْسُ مُلْكُهُمْ، لَكِنْ عَدُّ لَكُمْ
دَمُ الشَّبَابِ عَلَى فِيهِ فَأَكْسَبَهُ
وَمَا الشَّبَابُ بِأَيَّامٍ يُعَدُّ بِهَا
قِيَّازَةٌ فِي يَمِينِ الدَّهْرِ مَا لُمَسَتْ
أَلْحَانَ مَجْدٍ وَإِقْدَامٍ وَتَضْحِيَّةٍ
يَا فَجَرَ يَوْمٍ إِلَيْهِ مُنْتَهَى أَمَلِي
عَدَاةٌ يَجْمَعُ دَاعِي الْحُبِّ شَمْلَكُمْ
وَفِي الْقُلُوبِ وَفِي الْأَذَانِ قَاطِبَةٌ
عَدَاةٌ تُمَحِّي حَرَازَاتِ الصُّدُورِ فَلَا
وَلَا يُفْضَلُ مَخْلُوقٌ لِمَذْهَبِهِ
الطَّائِفِيَّةُ، يَا رَبَّاهُ مَغْفِرَةٌ
دَكُّ الْمَعَاقِلِ وَالْبَاسْتِيلِ أَهْوَنُ مِنْ
غُولِ الْأَسَاطِيرِ لَمْ يَفْتِكْ هِرْقَلُ بِهِ
وَالطَّائِفِيَّةُ غُولُ الْعَصْرِ، فَاتَّحِدُوا
حُلْمٌ جَمِيلٌ أُغْذِيهِ فَيُسْعِدُنِي
حُلْمٌ وَلَكِنْ مَعَ الْأَحْلَامِ قَدْ تَلَدَّ الدُّ
وَمَا الْمَعَالِي إِذَا حَقَّقْتَ عَنْ كَتَبِ

* * *

شَبَابَ لُبْنَانَ، لَا نَامَتْ لَكُمْ هِمَمٌ
خَلَفَ الْبِحَارِ إِلَيْنَا الْيَوْمَ شَاخِصَةٌ
فِي عَهْدِهِ الْأَوَّلِ الْمَذْمُومِ مَا يَنْسُوا
كَمْ سَاهَرُوهُ اللَّيَالِي فِي مَضَاجِعِهِمْ
مَا كَانَ لُبْنَانَ لَوْلَاهَا بِيَقْظَانَ
عُيُونُ أَهْلِ وَأَحْبَابِ وَخِلَانِ
مِنْهُ، فَكَيْفَ بِهِمْ فِي عَهْدِهِ الثَّانِي
وَشَارَكُوهُ بِأَفْرَاحٍ وَأَحْزَانِ

هُم وَسَعَوْهُ حُدُودًا حَيْثُمَا نَزَلُوا
وَأَرْسَلُوا الْفِكْرَةَ الْعَرَبِيَّاءَ حَامِلَةً
وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ بِهِمْ
لَا تَجْعَلُوا خَيْبَةَ الْأَمَالِ تَصْدِيمُهُمْ
وَصَوَّرُوهُ مِنَ الْفُضْحَى بِالْأَوَانِ
لِلْغَرْبِ عَنْ أَصْغَرِيهِ خَيْرَ تَبْيَانِ
يَشْدُونَ بِالْأَرْزِ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
إِذَا حَلَّتْ لَهُمْ رُجْعَى لِأَوْطَانِ

* * *

شَبَابَ لُبْنَانَ، هَذَا الْيَوْمُ عِيدُكُمْ
مَاذَا تُرِيدُونَ مِنِّي بَعْدَمَا شَعَلَ الْ
لَوْلَاكُمْ مَا أَتَارَ الشَّوْقُ كَامِنَةً
هَذَا دَمِي إِنْ تَنَادُونِي وَذَا قَلَمِي
بَلْ عِيدُ كُلِّ فَتَى لِلْمَجْدِ ظَمَانِ
بِيَاضِ رَأْسِي، وَهَذَا الدَّهْرُ بُنْيَانِي
مِنِّي وَلَا هَزَنِي لِلشُّعْرِ شَيْطَانِي
كِلَاهُمَا عَرَبِيٌّ الْأَصْلُ لُبْنَانِي

يوم العمال

نُظمت هذه القصيدة يوم كان الروس والحلفاء متحدين على ألمانيا، وقد بدءوا في هزم الجيوش الألمانية وردها على أعقابها.

هَتَفَ الْمَجْدُ وَالِدَمَاءُ تَسِيلُ
فَغَرَ الْغُولُ فَاهُ يَطْلُبُ نَصْرًا
نَزَعُوهُ مِنْ بَيْنِ شِدْقَيْهِ نَزْعًا
جَيْشُهُ الضَّخْمُ دَكَّهُ الضَّرْبُ حَتَّى
وَابِلُ النَّارِ وَالْحَدِيدُ عَلَيْهِ
بَعْدَ «خَرْكُوفَ» كَيْفَ، وَسْتَالِيْنِكَ
وَمِيَاهُ الْقَوْلِكَ نَجِيعٌ عَلَيْهِ
مَا تَمَلَّى الْأُوْكَزَانُ ضَمًّا وَلَا أَشْ

لِكَ يَا «حُمْرُ» كُلُّ مَجْدٍ يُتَوَلَّى
فَإِذَا كُلُّهُمْ عَلَى النَّصْرِ غُولُ
وَأَرْوُهُ الْأَيَّامَ كَيْفَ تَدُولُ
ضَاقَ عَرْضُ لَهُ وَأَقْصَرَ طُولُ
وَعَلَيْهِ تُلُوجُهَا وَالْوُحُولُ
رَادٌ قَبْلًا وَآخِرًا «تَرْنَبُولُ»
يَتَلَقَى الْقَوْقَازُ وَ«الْأَوْرِيْلُ»
بَعَعَ شَمًّا حَيْشُومَهُ الْبِتْرُولُ

* * *

أَيْنَ مَا هَوَلَّتْ بِهِ دَوْلَةُ النَّا
وَأَغَانِي بَرْلِيْنِ بِالْفَوْزِ وَالْفَوْ
قُوَّةٌ مَا تَشَاءُ عَنْهَا فَحَدَّثَتْ
شَيْدُوا أَسْهًا عَلَى الْبَغْيِ حَتَّى
كَسَرَتْهَا شَكِيمَةَ الْحُمْرِ كَسْرًا
بَدَلُوا دُونَهَا دَمًا عَبَقْرِيًّا
فِي صُفُوفٍ تَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ مِنْهَا

زِي وَأَيْنَ التَّزْمِيرُ وَالتَّطْبِيلُ
زُ مَبِينٌ لِحَيْشِهَا مَكْفُولُ
أَيْنَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ وَالْمَعُولُ
عُبِدَتْ لِلْبُغَاةِ فِيهَا الْعُجُولُ
مِثْلَمَا تَكْسِرُ النَّصُولَ النَّصُولُ
بُورِكَ الْبَابِزْلُونَ وَالْمَبْذُولُ
وَأِلَى النَّصْرِ فِتْيَةٌ وَكُهُولُ

وَنِسَاءٌ لَدَى الْكِفَاحِ رِجَالٌ وَعَلَيْهِنَّ مِثْلُهُمْ تَعْوِيلٌ

* * *

يَا فَتَاةَ السُّوفِيَّاتِ أَيُّ جَمَالٍ
حَمَلْتِكِ الْأَحْدَاثُ عِبْنًا ثَقِيلًا
جِسْمُكَ الْغَضُّ يَحْمِلُ الزَّادَ لَيْلًا
وَجَرِيحٌ عَلَى اللَّظَى يَتَلَوَّى
فَاضٌ مِنْكَ الْحَنَانُ بَرْدًا عَلَيْهِ
تُنَجِّدِينَ الْأَنْصَارَ خَلْفَ الْأَعَادِي
وَتُقِيمِينَ فِي الْمَصَانِعِ يَرْعَى
أَعْوَرَ الْأَرْضِ سَاعِدٌ يَجْتَلِيهَا
فَهَزَزْتَ الْمِحْرَاتِ يُؤْتِي جَنَاهَا
وَمِنَ الْحُسْنِ أَوْجُهُ وَعُيُونُ

لَمْ يَخْلُدْهُ فِيكَ صُنْعٌ جَمِيلٌ
كَمْ يَضِيرُ الْحَسَنَاءُ عِبَاءٌ ثَقِيلٌ
وَمَزَارُ الْأَحْبَابِ نَاءٌ طَوِيلٌ
مَرَّ دَهْرٌ وَلَمْ يُبَلِّ غَلِيلٌ
وَسَلَامًا رَوَاقُهُ مُسْتَطِيلٌ
وَالْهَدَى أَنْتِ إِنْ يَضِلَّ الدَّلِيلُ
آلَةُ الْحَرْبِ زَنْدُكَ الْمَصْقُولُ
وَاسْتَعَاثَتْ حَزُونُهَا وَالسُّهُولُ
وَاطْمَأَنَّتْ مَزَارِعُ وَحُقُولُ
وَمِنَ الْحُسْنِ سَاعِدٌ مَفْتُولُ

* * *

شَهْرٌ أَيَّارُ، وَالْحَيَاةُ شُجُونُ
مِنْكَ لِلزَّهْرِ فِي الرِّيَاضِ سَبِيلُ
فَتَحَّ الْقَلْبُ تَحْتَ شَمْسِكَ كَالْوَرِّ
ضَجَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ بَعْدَ انْتِظَارِ
فَرِحًا بِالَّذِي بَعَثْتَ، فَلَا الْفَلَّ
يَا لَهَا ثَوْرَةٌ عَلَى سَاعِدِ الْعُمِّ
عَصَفَتْ بِالسَّرِيرِ وَالتَّاجِ فَانْهَأْ
وَجَلَا كُلُّ كَابِرٍ وَشَرِيفٍ
وَأَنْتَهَى الْمَالُ وَالْعَقَارُ إِلَى الدَّوِّ
وَتَسَاوَى الْجَمِيعُ فِي سَرَحَةِ الْعَيْدِ

أَنْتِ لِلْعَامِ شَهْرُهُ الْمَعْسُولُ
وَلِحُرِّيَّةِ الشُّعُوبِ سَبِيلُ
وَإِذْ كَادَ يَغْتَرِبُهُ الذُّبُولُ
طَالَ وَهُوَ الْمُقَيَّدُ الْمُكْبُولُ
لَا حَافِظَ وَلَا الْأَجِيرُ ذَلِيلُ
مَالٌ قَامَتْ فُرُوعُهَا وَالْأَصُولُ
رَأَى وَأَقْوَى جِمَاهِمَا الْمَأْهُولُ
عَنْ مَعَانِيهِ فَالْمَعَانِي طُلُولُ
لَهُ فَهِيَ الْمُدَبِّرُ الْمَسْتُولُ
شِئْ فَلا فَاضِلٌ وَلَا مَفْضُولُ

* * *

إِيهِ لُبْنَانُ أَنْتَ ذَا الْيَوْمِ حُرٌّ
لَكَ أَنْ تَهْتَدِيَ بِهِ بَعْدَ لَيْلٍ
فَتَطَّلَعُ فَالْأُفُقُ زَاهٍ جَمِيلُ
طَالَ، وَاللَّيْلُ فِي الشَّقَاءِ يَطُولُ

بَهَظَتْكَ الْعُصُورُ ظُلْمًا وَأَبْلَى
حَانَ لِلْعَامِلِ الضَّعِيفِ بَأَنَّ يَقْدُ
مَا لِأَخْلَاقِنَا تَزِيدُ فَسَادًا
وَدَهَانًا عَلَى الْفَسَادِ غَلَاءٌ
قَدْ شَقِينَا بِهِ وَذُبْنَا وَجَرْنَا
عَجَبًا أَنْ نَكُونَ فِي بَلَدِ الْخَيْدِ
نَكْبَةُ الشَّرْقِ أَنْنَا لَا نَضْحِي
نَكْبَةُ الشَّرْقِ أَنْ فِينَا خُنُوعًا
يَسْرِقُ الْجَائِعُ الرَّغِيفَ فَيَمْنَى
وَالَّذِي يَسْرِقُ الْأُلُوفَ عَزِيزٌ
لَيْتَ شِعْرِي أَلَا نُفُوسَ جَرِينَا
تُظْهِرُ الْعَيْبَ لِلَّذِي فِيهِ عَيْبٌ
وَيْحَ قَوْمِي مَاذَا دَهَى الْيَوْمَ قَوْمِي
فِتْنَةٌ شَبَّهَا طَمَاعٌ وَحَقْدٌ
أَتْرَاهُمْ لَا يَتَّقِنَعُونَ بِحَقٍّ
أَمْ يَوَدُّونَ أَنْ يَظْلُومُوا أَرْقَا

* * *

أَرَزَّتِي رَايَتِي وَعِزِّي وَجِرْزِي
بَارَكْتَكَ الْأَحْرَارُ فِي كُلِّ أَرْضٍ
تَخَذْتِكَ الْبِلَادَ رَمْزًا أَصِيلًا
لِكَ فِي مَعْقِلِ الْأَمَانِ عَلَيْنَا
إِنْ يَفْتِنِي حَمْلُ السَّلَاحِ فَعِنْدِي
طَالَمَا أَلْهَبَ النُّفُوسَ زَيْبُرٌ
لَا تَقُولُوا قَدْ شَابَ شِعْرِي فَشِعْرِي

لِكَ مِنِّي السُّجُودُ وَالتَّقْبِيلُ
وَاصْطَفَاكَ الْقُرْآنُ وَالْإِنْجِيلُ
هَلْ يُسَاوِي الْأَصِيلَ فِيكَ الدَّخِيلُ
زِمٌّ كُلْنَا بِهَا مَسْئُولُ
قَلَمٌ كَالْحُسَامِ مَاضٍ صَقِيلُ
مِنْهُ أَوْ أَطْرَبَ النُّهَى تَزْيِيلُ
أَبْدِي شَبَابُهُ لَا يَحُولُ

روزفلت

يَبْكِي الشَّقِيَّ عَلَيْكَ وَالْمُتَنَعِّمُ
لِيَكُونَ عِيدُ النَّصْرِ عِيدَكَ مَعَهُمْ
نُورًا، إِذَا عَبَسَ الزَّمَانُ الْمُظْلِمُ
وَأَرَدْتَهُ لَا دَمْعَ فِيهِ وَلَا دَمٌ
يَجْرِي لِسَانٌ، أَوْ يُسَطَّرُ مِرْقَمٌ
قَاعَانُهُ لَكَ تَسْتَعِدُّ وَتَبْسِمُ
مُتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ،
نَفْسًا، عَلَى السِّتِّينِ، لَا تَتَجَهَّمُ
وَالهُدْنَةَ الْأُخْرَى قَرِيبًا تُبْرَمُ؟
بِصَدَاهُ يُفْتَتِحُ الْغَدَاةَ الْمَوْسِمُ

* * *

حَمَلٌ وَفِي عَصْفِ الرِّيَّاحِ الضَّيْعَمُ
كَانَتْ تَنَامُ عَلَى الْحَرِيرِ وَتَنَعَّمُ
فَإِذَا الْبِلَادُ مَدَافِعُ تَتَكَلَّمُ
لِلْعَبْقَرِيَّةِ تَسْتَحَلُّ وَتُغْنَمُ
فَيَضِيعُ مِنْهَا مَا يَضِيعُ، وَيَسْلَمُ
ذُكِرَتْ، فَأَيَسِرُ مَا يُقَالُ جَهَنَّمَ
سَفَرًا عَلَى الْأَخْطَارِ لَا يُتَجَشَّمُ

فِي كُلِّ أَرْضٍ يَوْمَ نَعِيكَ مَا تَمُّ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ صَبَرْتَ هُنَيْهَةً
فَقَدُوا ابْتِسَامَتَكَ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ
أَسَّسَتْ لِلْأَجْيَالِ بَعْدَكَ عَالَمًا
مَا زِلْتَ تَنْفَحُهُ بِأَرْوَعِ مَا بِهِ
حَتَّى إِذَا اكْتَمَلَ الْبِنَاءُ، وَأَصْبَحَتْ
«وَقَفَ الرَّدَى بِكَ حَيْثُ أَنْتَ فَلَمْ يَكُنْ
أَرْهَقَتْ وَالسُّتُونَ مِلءُ إِهَابِهَا
فَهَلِ اتَّخَذَتْ الْهُدْنَةَ الْكُبْرَى لَهَا
اللَّهُ أَكْبَرُ، يَا لَهُ مِنْ مَا تَمُّ

فِي زِمَّةِ التَّارِيخِ غَضَبَةٌ مُصْلِحُ
نَبَّهَتْ لِلْجَلِيِّ عَرَائِمَ أُمَّةٍ
وَنَفَخَتْ رُوحَكَ فِي الْبِلَادِ جَمِيعِهَا
وَحَلَقَتْ قَانُونَ «الْإِعَارَةَ» بِدَعَاةٍ
وَطَفِقَتْ تَبَعَتْ بِالذَّخَائِرِ جَمَّةً
تَبْغِي انْتِصَارَ الْحَقِّ فِي حَرْبٍ إِذَا
مُتَجَشَّمًا فِي كُلِّ مُؤْتَمِرٍ لَهَا

* * *

جَنَّتِ السَّفِينَةَ، وَالْجِوَاءُ عَوَاصِفُ
وَشَوَامِخُ الْأَمْوَاجِ يَقْدِفُ بَعْضُهَا
فَقَبَضَتْ بِالْيَمَنِ عَلَى سُكَّانِهَا
حَتَّى بَلَغَتْ بِهَا جَنَاحًا أَمِنًا
عِبَاءً، فَلَوْ حَمَلَ الْمُقَطَّمُ بَعْضَهُ
أَرْسَى عَلَى جِسْمِ أَشَلٍّ، وَإِنَّمَا
غَالَبَتْ سُقَمَكَ، وَاسْتَفْرَكَ مُقْعَدًا
يَمِشِي بِكَ الْإِيمَانُ مَشِيَّةَ ظَافِرٍ
حُبًّا بِإِنْسَانِيَّةٍ مَقْهُورَةٍ
وَتَنَكَّرَتْ مِثْلَ الْحَيَاةِ، فَلَا تَرَى
فَبَعَثْنَا فِي الْعَالَمِينَ رِسَالَةً

مَجْنُونَةٌ، وَالْأَفُقُ أَرِيدُ أَقْتَمُ
بَعْضًا فَتَكْتَسِحُ الشَّرَاعُ وَتَلْطُمُ
وَمَشَى بِهَا فِي الْيَوْمِ قَلْبٌ مُلْهَمٌ^١
وَأَرَيْتَهُمْ كَيْفَ الْمَصَاعِبُ تُقَحِّمُ
لَمْ يَبْقَ، إِنْ ذَكَرُوا الْجِبَالَ مُقَطَّمُ
عِنْدَ الْعَزَائِمِ لَا تُقَاسُ الْأَجْسُمُ
فَسَمَوَتْ حَتَّى صَافَحَتْكَ الْأَنْجُمُ^٢
فِيمَا تَخْطُ عَلَى الزَّمَانِ وَتَرْسُمُ
ذُلَّ الضَّعِيفِ بِهَا وَعَزَّ الْمُجْرِمُ
إِلَّا الْفَسَادَ بِأَهْلِهَا يَتَحَكَّمُ
لَوْلَا التَّقَى، صَلُّوا عَلَيْكَ وَسَلَّمُوا

* * *

يَا أَرْضُ «كَوْلُمَبِّ» تَحِيَّةَ شَاعِرٍ
لُبْنَانُ نَحْوَ تَرَكَ يَهْفُو أَرْزُهُ
كَمْ عَاشَ تَحْتَ لِوَائِهَا أَبْنَاؤُهُ
مَا هَاجَرُوا وَطَنًا، وَلَا هِيَ عَرَبَةٌ
يَبْكِي الرَّئِيسَ بِمَائِهِ وَسَمَائِهِ
وَيَقُولُ: يَا أَخْتَاهُ، رُوحِي لَمْ تَزَلْ

مِنْكَ اسْتَمَدَّ الْوَحْيَ فِيمَا يَنْظُمُ
وَنُجُومِكِ الزَّهْرَاءُ يَلْتَمُّهَا الْفَمُ
وَجَرَى بِحُبِّكَ فِي عُرُوقِهِمُ الدَّمُ
حَيْثُ النَّقَى الْقَلْبَانَ، مِنْكَ وَمِنْهُمْ
وَعَلَيْهِ خَفَقُ نَسِيمِهِ يَتَرَحَّمُ
خَلْفَ الْبِحَارِ عَلَى الضَّرِيحِ تُحَوِّمُ

* * *

يَا نَاشِرَ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ بَنُوْدِهِ
يَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ الْوَرَى وَيُعَلِّمُ

^١ سكان السفينة: دفتها.

^٢ أصاب روزفلت الشلل وهو في الأربعين بعد محاولته تخليص رجل من الغرق في ماء جليدية، ولو كان غير روزفلت لقع في عقر داره بعد هذا الداء، أما هو فلم يكن إلا ليزداد نشاطًا. والمراد بالأنجم هنا لواء أمريكا، ومصافحته لها هي الرئاسة.

عَجَلَتْ عَنَا بِالرَّحِيلِ وَلَمْ يَزَلْ
 أَتْظَلُّ فِي الْبَشْرِ الْعَدَاوَةَ مِثْلَمَا
 وَالْمُسْتَبِدُّ يَضِجُ فِي اسْتِبْدَادِهِ
 وَمَطَامِعُ لِلْأَقْوِيَاءِ غَرِيبَةٌ
 أَخْشَى مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ إِذَا هُمْ
 أَتْظَلُّ جَاذِعَةً عَلَى اسْتِقْلَالِهَا
 وَيَظَلُّ بَيْنَ جِهَادِهِ وَحِدَادِهِ
 أَمْ يَنْجَلِي اللَّيْلُ الطَّوِيلُ وَيَكْتَفِي
 وَيَكُونُ مِمَّا سَالَ مِنْ دِمِهِمْ لَهُمْ
 وَتَتَابِعُ الدُّوْلُ الْحَلِيفَةَ نَهَجَهَا
 وَتَوَيِّدُ الْمِيثَاقِ وَفَقًّا لِلَّذِي
 فَتَطُلُّ رُوحَكَ مِنْ سَمَاءِ خُلُودِهَا

فِي الْأَرْضِ مُوتَوْرٌ وَفِيهَا مُعْدَمٌ
 كَانَتْ، فَتُغْبَانُ يَفْحٌ وَأَرْقَمٌ؟
 وَالْبَائِسُ الْمَظْلُومُ لَا يَتَظَلَّمُ؟
 جِينًا يُبَاحُ بِهَا وَجِينًا تُكْتَمُ؟
 أَرْخُوا الْعِنَانَ لَهَا، وَلَا مَنْ يَلْجُمُ
 أُمَّمٌ بِغَيْرِ بَقَائِهَا لَا تَحْلُمُ؟
 قَلْبُ الْعُرُوبَةِ شَاكِيًا يَتَأَلَّمُ؟
 قَدَرٌ بِأَعْنَاقِ الْوَرَى يَتَحَكَّمُ
 عَبْرٌ فَيُصْلِحُ أَمْرَهُمْ وَيَنْظُمُ
 فِي دَعْمِ بُنْيَانِ السَّلَامِ لِيَسْلَمُوا
 أَمْلَاهُ وَحَيْكَ فِي الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ
 وَتَقُولُ: يَا بُشْرَايَ مَتَّ وَعِشْتُمْ

يوم تشرين

إِيهِ يَا شَعْرُ، إِنَّ يَوْمَكَ جَاءَ
كَمْ بَعَثْنَاكَ فِي النُّفُوسِ لَهِيبًا
وَحَبَسْنَاكَ أَنْ تَضِيعَ بُحُورًا
وَلِهَذَا الْيَوْمِ ادَّخَرْنَاكَ حَتَّى
فَاشْتَمَلَهَا أَرْضًا وَطِفَهَا سَمَاءً
وَأَرَدْنَاكَ فِي الْعُقُولِ ضِيَاءً
وَأَبَيْنَاكَ أَنْ تَذُوبَ بُكَاءً
نَمَلًا الْخَافِقِينَ مِنْكَ سَنَاءً

* * *

إِنَّ لُبْنَانَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حُرًّا
يَزْرَعُ الْجَوَّ وَالْبِطَاحَ جَمَالًا
وَيُجَارِي بِالْعَبْقَرِيَّةِ فِيهِ
فَتَرَى بِنْتُ «يَعْرَبُ» كَيْفَ يَحْيَا
نَازِعًا مِنْ قُيُودِهِ أَشْيَاءً^١
وَيُعْذِي بِطَيْبِهِ مَا شَاءَ
أُمَمَ الْعَرَبِ حِكْمَةً وَارْتِقَاءً
شَامِحًا بَيْنَهَا، وَيَزْعَى الْوَفَاءَ^٢

* * *

يَوْمَ لُبْنَانَ قَدْ خَطَطْتَ سَطُورًا
لَبِسْتَ هَامَةً الْمَعَالِي سَنَاءً
وَمَشَتْ مَوْجَةَ الدُّهُورِ تُرَوِّي
كَيْفَ يَهْوِي الْجَبَّارُ فَهُوَ صَرِيحُ
خَطَرَ الْمَجْدِ فَوْقَهَا كِبْرِيَاءً
وَأَطَلَّتْ بِهِ ضَحَى وَضَاءً
سِدْرَةَ الْخُلْدِ نَبْأَةً عَذْرَاءً
وَأَخُو الْحَقِّ يَعْتَلِي الْجَوْزَاءَ

^١ إشارة إلى أنه لم يتم الجلاء بعد.

^٢ إن للبنان وجهًا عربيًا.

إِنَّ صَرَخَ الطَّاعُوتِ مَهْمَا تَنَاهَى
 طَالَ لَيْلُ الشَّقَاءِ مِنْ قَبْلُ حَتَّى
 نَحْمِلُ الضِّيمَ صَابِرِينَ فَلَا نَقُفُ
 وَنُنَادِي بِالْحَقِّ، حَتَّى إِذَا مَا
 هَجَمَ الْبَغْيُ فِي سُكُونِ الدِّيَاجِي
 وَرَمَى بِالرَّيْسِ فِي ظُلْمَةِ النَّفْسِ
 فَحِطَامًا يَغْدُو وَيَغْدُو هَبَاءَ
 خَلْتُ دَهْرِي مُطَبَّقًا ظُلْمَاءَ
 طَعُ عَهْدًا وَلَا نُضِيعُ رَجَاءَ
 حَصَّصَ الْحَقُّ، وَاسْتَعْرَنَا نِدَاءَ
 فَاسْتَبَاحَ الْحِمَى وَسَدَّ الْجَوَاءَ
 سِي وَاللَّقَى مِنْ حَوْلِهِ الرَّعْمَاءَ

* * *

يَا لَهَا سَاعَةٌ تَأَلَّقَ فِيهَا
 غَضِبَتْ أُمَّةٌ سَقَاهَا لَبَانَ الْوَدِّ
 وَأَنْبَرَى الشُّعْبُ صَاحِبًا يَتَلَطَّى
 زَمَجَرَ الْعَرَبُ حَوْلَهُ فَإِذَا الْأَرْزُ
 وَرَأَيْنَا عَلَى الْعَرِينِ رَجَالًا
 تَتَحَدَّى الْجِرَابَ، لَيْسَتْ تُبَالِي
 ظُلْمَةً أَطْبَقَتْ لِتَطْلِعَ فَجْرًا
 وَجْهُ لُبْنَانَ عِزَّةً وَإِبَاءَ
 مَجْدٍ تَأْرِخُهَا فَعَزَّتْ مَضَاءَ
 وَتَنَادَى فَرَزَلَزَلِ الْأَرْجَاءَ
 ضُ رَيْبِي فِي لَفْتَةِ حَمْرَاءَ
 وَرَأَيْنَا عَلَى الْعَرِينِ نِسَاءَ
 أَنْ تَنَالَ الْجِرَابُ مِنْهَا دِمَاءَ
 رَبِّ حَطْبٍ يَسُرُّ مِنْ حَيْثُ سَاءَ

* * *

يَوْمَ لُبْنَانَ كُنْتَ نُورًا وَنَارًا
 فَعَلَى الْحَقِّ تَسْتَقِرُّ أَمَانًا
 بَارَكْتَكَ الشُّعُوبُ ثَوْرَةَ حَقِّ
 وَرَوَاهَا التَّارِيخُ مَعْنَى نَبِيلاً
 عَيْدُكَ الْيَوْمَ هَزَّ مَنَا قُلُوبًا
 إِنَّ جُرْحًا بِهِ فَلَسْطِينُ تَنْزَى
 تَبَعْتُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ سَوَاءَ
 وَعَلَى الْبَطْلِ نِقْمَةٌ نَكَرَاءَ
 حَفِظْتُمْهَا لَنَا يَدَا بَيْضَاءَ
 كُنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةَ الْعِضْمَاءَ
 غَيْرَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَحْمِلُ دَاءَ
 لَهُوَ جُرْحٌ يُصِيبُنَا شُرَكَاءَ

* * *

يَا لِدُخْرِي تَشْرِينَ مَنَا يَمِينًا
 لَا كَلَامًا يُحِطُّ فِي الطَّرْسِ أَوْ يُتَدَّ
 جُلُّ مَا تَطْلُبُ الْكِرَامَةَ مَنَا
 مَا بَدَقَ الطُّبُولِ نَحْفَظُ مَجْدًا
 أَنْ يَكُونَ اسْتِقْلَالُنَا اسْتِعْلَاءَ
 عَلَى فَيْمِضِي مَعَ الْهَوَاءِ هَوَاءَ
 أَنْ تَرَانَا لِرَعِيهِ أَكْفَاءَ
 لَا وَلَا بِالضَّجِيحِ نَحْمِي اللُّوَاءَ

يوم تشرين

فَانشُدُوا وَحَدَّةَ الْقُلُوبِ وَصُونُوا إِرْثَ لُبْنَانَ إِنِ أَرَدْتُمْ بَقَاءَ
كَانَ مَهْدًا لِلْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا وَسَيَبْقَى يُجَدِّدُ الْأَنْبِيَاءَ

يوم الشهداء « ٦ أيار »

لَمْ يَمُوتُوا، لَكِنَّهُمْ أَحْيَاءُ
سَاحَةَ الْبُرْجِ أَيْنَ أَعْوَادِكَ السُّو
تَحْجُبُ الظُّلْمَةَ الْوُجُوهَ فَتَمْضِي
تُنْشِدُ الْأَرْضُ ذِكْرَهُمْ وَالسَّمَاءُ
دُ وَأَيْنَ الْمَشَانِقُ الْحَمْرَاءُ
وَتَظِلُّ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ ضِيَاءُ

* * *

شَهْرَ أَيَّارَ، لَا سَقَتَكَ الْغَوَايِي
يَوْمَ قَالُوا الْإِخْلَاصُ فِي الْعُرْبِ خَوْنٌ
مَا كَفَى الْحَرْبُ وَالْمَجَاعَةُ حَتَّى
بَطَشَ الْبَغْيُ بِالشَّبَابِ وَبِالشَّيْخِ
فَدَوَتْ وَرَدَّةُ الْأَمَانِي وَأَقْوَتْ
وَحَبَّتْ جَدْوَةَ الْجِهَادِ، وَغَطَّتْ
وَجَنَاحُ الْعُرُوبَةِ انْهَدَّ مِمَّا
بَعْضُ قَرْنٍ أَتَى عَلَيْهِمْ وَهَذَا
وَجِرَاحُ فِي جَنْبِ لُبْنَانَ لَوْلَا
كَمْ مَضَى الْأَجْنَبِيُّ يَنْكَأُ فِيهَا
فَإِذَا الشَّعْبُ لَفَحَتْ مِنْ ضِرَامٍ

حُنِقَتْ فِيكَ نَبْتَةُ عَذْرَاءُ
فَمَشَتْ فِي السَّلَاسِلِ الْأَبْرِيَاءُ
رَوَّعَتْهُمْ عَوَاصِفُ هَوَجَاءُ
بِ وَلِالبَغْيِ بِطُشَّةِ نَكَرَاءُ
مِنْ شَذَاهَا الْحَدَائِقُ الْغَنَاءُ
صَفْحَةَ الْأَفْقِ عَيْمَةَ سَوْدَاءُ
حَمَلُوهُ، وَغَصَّتِ الْكِبْرِيَاءُ
صَوْتُهُمْ لَمْ يَزَلْ لَهُ أَصْدَاءُ
غَضِبَةٌ حُرَّةٌ لَعَزَّ الشُّفَاءُ
كَيْفَمَا سَوَّلَتْ لَهُ الْأَهْوَاءُ
وَإِذَا ثَوْرَةَ الدِّمَاءِ الْجَلَاءُ

* * *

شَهْرَ أَيَّارَ أَنْتَ ذَا الْيَوْمِ رَمَزُ
فِيكَ كَانَ الْأَسَى وَفِيكَ الْعَزَاءُ

كُلَّ عَامٍ تَرُودُنَا مِنْكَ ذِكْرِي
فَنَزُورُ الْأَحْرَارَ وَالْقَبْرُ نَاءِ
وَنَعْدِي اسْتِقْلَالَنَا بِلِبَانِ
أَوَّلًا تَسْمَعُونَ شِبْهَ حَفِيفِ
أَيُّهَا الْعَائِشُونَ نَحْنُ سَكَبْنَا
أَيُّهَا الْعَائِشُونَ نَحْنُ وَضَعْنَا
أَيُّهَا الْعَائِشُونَ، فِي خَطَرَةِ الذِّكْرِ
نَحْنُ كُنَّا لِلْحَقِّ نِعْمَ الضَّحَايَا
«لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَحَ بِمَيِّتٍ
يَلْتَقِي الْمَجْدُ عِنْدَهَا وَالْوَفَاءُ
وَرُفَاتُ الْأَحْبَابِ فِيهِ هَبَاءُ
صَبَّ فِيهِ إِيمَانُهُمُ وَالرَّجَاءُ
مِنْ وَرَاءِ الْقُبُورِ، وَهُوَ نِدَاءٌ؟
مِنْ دِمَانَا لِتَسْتَفِيقِ دِمَاءِ
أُسْسًا لِلْعُلَى فَأَيْنَ الْبِنَاءُ
حَرَى وَفِي نَبْضَةِ الْعُرُوقِ دُعَاءُ
أَفَكُنْتُمْ لِلْحَقِّ نِعْمَ الْوَفَاءُ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ» زُمْرَةٌ أَشْقِيَاءُ

* * *

إِيهِ قَوْمِي عَلَى الْحَيَاةِ سَلَامٌ
حَقُّ هَذَا الْعَهْدِ الْجَدِيدِ عَلَيْنَا
وَتُّرَاثُ مَنْ الضَّحَايَا مَجِيدٌ
فَاحْفَظُوا الْعَهْدَ وَالتُّرَاثَ، وَإِلَّا
إِنْ أَضَلَّتْ سَبِيلَهَا الْعُقَلَاءُ
مَا تَشَاءُ الْعُلَا وَيَهْوَى الْإِبَاءُ
مَا عَلَيْهِ سَوَاكُمُ أَوْلِيَاءُ
نَحْنُ وَاللَّهِ لَا هُمْ الشُّهَدَاءُ

المؤتمر الوطني

وَأَلَذَّ طَعْمَكَ فِي الضَّمِيرِ وَفِي الفَمِ
بَعْدَ المَشِيْبِ، وَسِرُّ حُسْنِكَ مُلْهِمِي
فَفَرِيدُ شِعْرِي فِيكَ مَا لَمْ أَنْظَمْ
لَبَّيْكَ هَذِي قُبَلْتِي لَكَ فَاسَلَمْ
بَاقِي، وَفِي صَدْرِي العَوَاصِفُ تَرْتَمِي
شَدْوُ الحَمَامَةِ أَمْ زَيْبِرَ الضِّيْغَمِ؟
غَنِّي لِي الأَمَلِ الفَسِيحِ وَرَنَمِي

لُبْنَانُ مَا أَشْهَكَ لِلمُتَكَلِّمِ
أَلْهَمْتَنِي قَبْلَ الشَّبَابِ، وَلَمْ أَرَلْ
فَإِذَا نَظَّمْتَ الشُّعْرَ فِيكَ فَرَائِدًا
قَالَتْ وَقَدْ مَالَتْ عَلَى قِيَارِهَا
مَاذَا تُرِيدُ بِأَنْ أُغْنِي، فَالْهَوَى
أَتُرِيدُ عَتْبًا أَمْ تُرِيدُ صَبَابَةً
فَأَجَبْتُ: لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلَى

* * *

مِثْلُ المَنَارَةِ فِي الظَّلَامِ المُبْهَمِ
فَكَسَا مِعَاطِطَهَا جَمَالَ الأَنْجَمِ
مِمَّا تُفَجِّرُ مِنْ سَنَا مُتَضَرِّمِ
فِي هَيْكَلِ التَّارِيخِ أَقْدَسَ مَجْتَمِ
وَمَشَوْا بِنُورِكَ فِي العُبَابِ المُعْتَمِ
وَعَلَى امْتِدَادَاتِ الدُّرُوبِ كَمَعْلَمِ
مُتَقَدِّمٌ يَمْشِي إِلَى مُتَقَدِّمِ
هَمَمٌ كَحَدِّ السَّيْفِ لَمْ يَتَثَلَّمِ
مِنْ عَوْرِ مَاضِيكَ السَّحِيْقِ المُفْعَمِ
مِنْ عَزْمِهِ الوَثَابِ مَا لَمْ يَحْلُمِ

لُبْنَانُ أَنْتَ رِسَالَةٌ قُدْسِيَّةٌ
فِي زَيْتِهَا اغْتَصَرَ الخُلُودُ لِبَانَهُ
مَرَّتْ بِكَ الأَجْيَالُ تَقْبِسُ زَادَهَا
قَدْ كُنْتَ مَحْرَابَ الدُّهُورِ، وَلَمْ تَزَلْ
شَادَ القِدَامَى فِي ظِلَالِكَ مَجْدُهُمْ
فِي كُلِّ أَفْقٍ يَطْبَعُ عُونَكَ قُبْلَةً
سَارُوا وَيُذَكِّيهِمْ أَوَارِكُ وَقْدَةٍ
يَبْنُونَ بِكُرِّ الدَّهْرِ حَيْثُ رَمَتْ بِهِمْ
إِنِّي لِأَسْمَعُ صَوْتَ إِرْتِ خَالِدِ
يَسْتَنْهَضُ الجِيلَ الجَدِيدَ لِیَنْتَضِي

بِالْأَمْسِ وَقَفَّةَ حَائِرٍ أَوْ مُحْجِمٍ
فَيْضُ الْحَيَاةِ إِلَى الْمُحِيطِ الْأَعْظَمِ
تَسْتَلُّ مِنْ قَوْمِي غَطِيطَ النُّوْمِ
رَعْنَاءَ فِي جَوْ بَغِيضِ مُظْلِمٍ
يَتَنَادِمُونَ عَلَى فَحِيحِ الْأَرْقَمِ
صَبَّتْ عَلَى الْفِرْدَوْسِ نَارَ جَهَنَّمَ
وَصَبَغَتْ أَعْوَادَ الْمَنَابِرِ مِنْ دَمِي
يُشْفِي غَلِيلَ الشَّاعِرِ الْمُتَأَلِّمِ
وَيَكُونُ هَذَا الْعَصْرُ عَصْرَ تَقَدُّمِ
مُتَعَلِّمٍ، يَهْوِي عَلَى مُتَعَلِّمٍ؟
جُبْتُ مِنَ الْأَخْلَاقِ ... يَا رَبُّ ارْحَمِ
لِلْحُبِّ، يُرْوِي مِنْ حُمَيَّاهُ الظَّمِي
لِجِرَاحَةِ الْأَرْوَاحِ أَرْكَى بِلَسَمِ
وَضَحَى عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ الْأَنْهَمِ
يَدِ خَادِمِ لِلدِّينِ أَوْ مُتَزَعِّمِ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ بِالَّذِي فِي أَعْظَمِي
وَأَبِيعُ دِينَ الْمُسْتَعْلِ بِدِرْهَمِ

مَاذَا عَلَى الْآيَامِ إِنْ وَقَفْتُ بِنَا
الْيَوْمَ جُرَدَتِ الْعَرَائِمُ وَأَنْتَهَى
أَفَمَا تَرَى فِي الْأَفْقِ بَارِقَةَ الْمُنَى
شَبِعُوا مِنَ النَّزَوَاتِ تَعْصِفُ فِيهِمْ
وَتَنْبَهُوا لِلطَّائِفِيَّةِ فَاَنْتَنُوا
الطَّائِفِيَّةُ، يَا لَهَا مِنْ نَكْبَةِ
حَارِبَتِهَا دَهْرًا بِشَقِّ يِرَاعَتِي
وَصَفَعْتُ خَدَيْهَا، فَلَمْ أَظْفِرْ بِمَا
عَجَبًا أَنْحِيَا فِي بِلَادِ حُرَّةٍ
وَيَظَلُّ مَشْغُوفًا بِحَمْلِ سِلَاحِهَا
قَتَلُوا الْكَفَاءَةَ بِاسْمِهَا، وَمَشَوْا عَلَى
الدِّينِ، نَعَمْ الدِّينِ إِنْ يَكُ دَاعِيَا
الدِّينِ، نَعَمْ الدِّينِ إِنْ يَكُ حَامِلَا
الدِّينِ تَضْحِيئُهُ وَرُوحُ تَسَامُحِ
الدِّينِ لَيْسَ بِآلَةٍ لِلْكَسْبِ فِي
إِنِّي، وَمَا قَوْلِي تَعَلُّهُ بَاطِلِ
أَفْدِي بِمَالِ الْأَرْضِ دِينَ مُجَاهِدِ

* * *

أَرْجُ التَّحَرُّرِ فِيكَ لِلْمُتَنَسِّمِ
رَكْبَ الْمَجْرَّةِ فِي امْتِدَادِ أَعْظَمِ
جُرْحُ بَعِيدِ الْغُورِ لَمَّا يَلَامُ
وَيَلْفُهَا تَوْبٌ كَلُونِ الْعَنْدَمِ
مِمَّا تَجْرَعُ مِنْ عَدُوٍّ مُجْرِمِ

لُبْنَانُ يُطْرِبُنِي أَرَاكَ وَقَدْ سَرَى
لُبْنَانُ يُطْرِبُنِي أَرَاكَ مُعَانِقًا
لَكِنْ عَلَى جَنَابَاتِ صَدْرِكَ لَمْ يَزَلْ
هَذِي فَلَسْطِينُ يُلْفَعُهَا الْأَسَى
إِنَّا لَنَجْرَعُهَا كُنُوسًا مُرَّةً

* * *

مِنِّي سَلَامُ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَسْلِمِ
مَنْ مُسْرِفٍ فِي الْحُكْمِ أَوْ مُتَحَكِّمِ
فَتَضِيْعُ فِيهَا حِكْمَةُ الْمُسْتَلْمِ

أَشْبَابَ لُبْنَانَ الصَّبَاحِ عَلَيْنُكُمْ
الْيَوْمَ يَوْمُكُمْ فَصُونُوا إِرْتَكُمْ
وَمِنَ الدَّسَائِسِ، إِنْ تَحَاكَ شَبَاكُهَا

جَلَّتِ الْجُبُوشُ، وَمَا كَفَى فَعْرِيْمُكُمْ
لَا تَتْرُكُوا لِلْأَعْجَمِيِّ بَقِيَّةً
وَتَمَتَّعُوا بِجَمَالِ أَخْصَبِ تَرْبِيَةٍ
هِيَ أَرْضُكُمْ، مَهْمَا تَكُ الْأُمُّ الَّتِي
عَرَبِيَّةُ النَّسَمَاتِ، لُبْنَانِيَّةُ
مَا زَالَ فِي الْأَضْلَاعِ مِنْكُمْ يَحْتَمِي
الطَّائِفِيَّةُ مِنْ بَقَايَا الْأَعْجَمِيِّ
وَأَلَذِّ سَلْسَالٍ وَأَغْنَى مَنْجَمٍ
مَرَّتْ عَلَيْهَا فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
مَنْ عَيْسَوِيٌّ أَنْجَبَتْ أَوْ مُسْلِمٍ

حفلة النجادة في عيد الجلاء

مَا دَامَ يَمْشِي فِي رِكَابِكَ شَاعِرٌ؟
عَاهَدْتَنِي فَلَكَ الزَّمَانُ الدَّائِرُ
وَبِكُلِّ نَادٍ مِنْبَرٌ لَكَ حَاضِرُ
دُنْيَا وَمِلْءُ الْفِكْرِ وَجَدٌ غَامِرُ
مَا طَاعَ لِي قَلَمٌ وَلَبَّى خَاطِرُ
مَا لَمْ يَفْجَرْهَا بِنَانٌ سَاجِرُ
إِلَّا بِكَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ يُفَاخِرُ
وَالدَّهْرُ مُعْطٍ وَالزَّمَانُ مُوَازِرُ؟
نَفْسٌ، وَطَابَ فَمٌ، وَكُحْلٌ نَاطِرُ
حُلًّا كَسَاهُ بِهَا الرَّئِيسُ السَّاهِرُ
فِي زِمَّةِ الْأَرْزِ الْعَزِيزِ مَاثِرُ
يَوْمُ الْجَلَاءِ بَدَايَةٌ لَا آخِرُ
يُعَلَى الْبِنَاءُ وَيَطْمِئِنُّ الْعَامِرُ
فِي كُلِّ غُضُوٍ مِنْهُ سُوسٌ نَاجِرُ
يَمْشِي عَلَى الْبَلَدِ الْأَمِينِ الْغَادِرُ
فَمُغَامِرٌ مِنْ أَجْلِهَا، وَمُقَامِرُ
وَتَبَاعٌ بِالسَّلْعِ الْعِجَافِ ضَمَائِرُ
وَالْحُكْمُ بَيْنَهُمَا ضَعِيفٌ حَائِرُ

يَا قَلْبُ مَا لَكَ فِي انْسِحَابِكَ عَادِرُ
عَاهَدْتَنِي أَنْ تَسْتَرِيحَ، وَدُونَ مَا
أَبْكُلُ عِيدِ صَرْخَةَ لَكَ حُرَّةُ
قَسَمًا وَمِلْءُ جَوَانِحِي زُهْدٌ مِنَ الدُّ
لَوْلَا الشَّبَابُ وَحُبُّكُمْ فِي أَضْلُعِي
أَنَا صَخْرَةُ الْقَفْرِ الَّتِي لَا تَسْتَقِي
أَيُّ عُصْبَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَلَمْ يَكُنْ
مَاذَا ادَّخَرْتَ لِحِفْظِهِ وَصِيَانِهِ
يَوْمَ الْجَلَاءِ، أَعَزُّ مَا قَرَّتْ بِهِ
أَلْقَى عَلَى لُبْنَانَ مِنْ أَنْوَارِهِ
حَامِي الْحِمَى الشَّيْخِ الْحَكِيمِ وَمَنْ لَهُ
يَوْمَ الْجَلَاءِ مُقَدَّسٌ لَكِنَّمَا
وَأَمَامَكُمْ شَوْطٌ بِعِيدٌ قَبْلَ أَنْ
إِرْتٌ مِنَ الْمَاضِي الْبَغِيضِ، مُجْمَعُ
مَشَتْ السِّيَاسَةُ فِي حَوَاشِيهِ كَمَا
وَطَعَتْ عَلَى حَرَكَاتِهِ أَمْوَاجُهَا
وَمُؤَامِرَاتٌ، تُشْتَرَى فِي سَوْقِهَا
وَنُفُودٌ دِينَ أَوْ نُفُودٌ زَعَامَةٌ

وَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ الرَّفِيعُ مُسَخَّرُ
وَأَشَدُّ مِنْ هَذَا وَذَا حِزْبِيَّةٌ
يَرْعَى دَسَائِسَهَا فَإِنْ هِيَ أَخْفَقَتْ
هَاتُوا الْمَعَاوِلَ يَا شَبَابَ وَهَدِّمُوا
حَتَّى تَشُقَّ عَنِ النَّفُوسِ سَحَائِبُ
حَتَّى نَرَى لِلظُّلْمَتَيْنِ تَصَدُّعًا
حَتَّى تَقَالَ «الضَّادُ» مِنْ عَثْرَاتِهَا
حَتَّى تَعُودَ قُلُوبُنَا كَسَمَائِهَا
لَا تَتْرَكُوا لِلْبُغْضِ مِنْهَا مَا أَحَدًا

* * *

أَشْبَابَ لُبْنَانَ وَحَسْبِي مِنْكُمْ
الْيَوْمَ إِنْ حُمِّلْتُمْ تَبِعَاتِهِ
لَوْلَا الشَّبَابُ، فَمَاذَا يُرْجَى مِنْ عَدِ
إِنَّ الشَّبَابَ عَقِيدَةٌ وَصَلَابَةٌ
إِنَّ الشَّبَابَ هُوَ النَّوَاءُ فَكُلُّهَا
السَّرِقُ مِنْ حَدَبِ إِلَيْكُمْ تَائِقُ
إِنْ عَيْرُوكُمْ بِالْقَلِيلِ فَحَسْبُكُمْ
أَوْ نَافِسُوكُمْ فِي الْخِلَالِ فَعِنْدَكُمْ
أَوْ فَاحَرُوكُمْ بِالسَّلَاحِ فَعِنْدَكُمْ
أَوْ شَايِرُوا التَّارِيخَ كُنْتُمْ قَبْلَهُمْ
قُولُوا لِمَنْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ شُكُوكُهُ
نَفْسٌ مُحَرَّرَةٌ وَعَزْمٌ فَائِرٌ
فَعَدَا يَكُونُ لَكُمْ جِنَاهُ النَّاضِرُ
إِنَّ الشَّبَابَ عَدُوُّ الزَّمَانِ الرَّاحِرُ
يَوْمَ الْحِفَاطِ، فَصَابِرٌ أَوْ ثَائِرٌ
ثَمَرٌ وَإِظْلَالٌ وَنَفْحٌ عَاطِرٌ
وَالغَرْبُ مِنْ عَجَبِ إِلَيْكُمْ نَاطِرٌ
جُهْدٌ لِيُظْفَرَ بِالكَثِيرِ الصَّابِرُ
مِنْ تَرْوَةِ الْأَخْلَاقِ قَسِطٌ وَأَفِرٌ
شَمَمُ العُرُوبِ فِي الصُّدُورِ فَفَاحِرُوا
فِي هَيْكَلِ التَّارِيخِ حِينَ يُشَايِرُ^١
طُرُقَ اليَقِينِ فَلَجَّ وَهُوَ يَكَابِرُ

١ دخل على أمير إفريقيا يزيد بن حاتم القاضي، فجرى بينهما الحديث عن جماعة رأوا الهلال فأشاروا إليه، قال أمير إفريقيا: يُقال تشاوروا إليه. فقال القاضي: بل تشايروا إليه. فأصرَّ الأمير على أنها بالواو، وكان أن دخل ابن قتيبة النحوي، وكان فيه غفلة فقال القاضي: قطعت جهينة قول كل خطيب. فسأله الأمير: إذا رأيت الهلال ورآه الناس وأشرتم إليه، فماذا تقولون؟ قال: أقول اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، ربي وربك الله. فضحك الأمير وقال: ليس هذا نعني. فقال القاضي: دعني أفهمه عن طريق

حفلة النجادة في عيد الجلاء

الهِئَكْلُ الْوَطَنِيِّ قُدُسٌ بِنَائِهِ بِكُمْ يَتِمُّ خَفِيُّهُ وَالظَّاهِرُ

* * *

يَوْمَ الْجَلَاءِ تَبَارَكْتَ شَمْسُ عَلِيٍّ جِئْنَاكَ أَيَقْظَهَا إِلَهُ الْقَائِرِ
إِنْ يَحْفَرُوا فِي الصَّخْرِ ذِكْرَكَ خَالِدًا فَلَكَ الْقُلُوبُ وَأَنْتَ فِيهَا الْحَافِرُ

النحو. قال الأمير: ولكن لا تُلقِّنه. فقال القاضي: نريد إذا رأيت الهلال ورآه الناس وأشرتم إليه، كيف تقولون من صيغة التفاعل؟ قال: تشايروا، وعليه قول كثير عزة:

أَقُولُ وَفِي الْأَحْشَاءِ دَاءٌ مُخَامِرٌ أَلَا حَبَدًا يَا عَزُّ هَذَا التَّشَائِرُ

فيصل الثاني

في الحفلة التي أقامتها محطة الإذاعة اللبنانية لذكرى مولد الملك فيصل الثاني.

أَيُّ يَوْمٍ عَلَى الزَّمَانِ فَرِيدٍ
نَازِلًا فِي السَّوَادِ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
يَا لَسَيْفِ الحُسَيْنِ يَلْمَعُ فِي البَيْدِ
نَوْرَةَ لِلشَّرِيفِ أَضْفَتْ عَلَى العُرَى
حَمَلَتْ لِلشَّامِ تَاجًا عَلَى خَفِّ
فَاسْتَوَى لِحِظَّةِ كَفْتِهِ، فَخَطَّتْ
أَصْعَدَتْ فَيَصِلَ البُطُولَةَ فِيهِ
وَحَوَالِيهِ مِنْ شَبَابٍ وَشَيْبِ
لَمْ يَرْعُهُ المُسْتَعْمِرُونَ وَلَا أَجْ
غَيْرَ أَنَّ الأَقْدَارَ عَزَّ عَلَيْهَا
فَإِذَا لِلعِرَاقِ مِنْهُ نَصِيبٌ
دَوْلَةٌ شَادَهَا عَلَى أُسُسِ العَدِّ
وَكَسَاهَا مِنْ عَزْمِهِ حُلَّ المَجْدِ
فَإِذَا مَا تَلَفَّتْ نَحْوَهَا اليَوْمِ

بَشَّرْتَنَا بِهِ عَذَارَى العِيدِ
حَامِلًا ذِكْرِيَاتِ مَاضٍ مَجِيدِ
دِ، وَجُنْدِ الحُسَيْنِ مِلْءُ البَيْدِ
بِ بِفَجْرٍ مِنَ الحَيَاةِ جَدِيدِ
قِ قُلُوبٍ لَهَا وَخَفِّقِ بُنُودِ
فِي جَبِينِ الشَّامِ آيِ الخُلُودِ
دَرَجَاتِ المُسَوِّدِ المَعْبُودِ
كُلُّ مَسْتَبْسِلٍ وَكُلُّ شَهِيدِ
فَلَمِنْهُمْ لِعُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
أَنْ يُضْحَى بِحُلْمِهِ المَنْشُودِ
وَلَهُ فِي العِرَاقِ عِزُّ الرِّشِيدِ
لِ وَحُبِّ الإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ
دِ وَمِنْ حِلْمِهِ جَمَالَ الوُرُودِ
مَ قُلُوبٌ بِالحَمْدِ أَوْ بِالنَّشِيدِ

وَابْتَهَجْنَا لِعِيدِ فَيَصِلَهَا النَّأ
تَرَكَ الْجَدُّ لِلْعُرُوبَةِ عَرْسًا
نِي، فَشَوْقًا لِرُوحِ ذَاكَ الْعَمِيدِ
سَوْفَ تُجْنَى ثِمَارُهُ فِي الْحَفِيدِ

* * *

إِيهِ بَعْدَادَ إِنَّ عِيدَكَ هَذَا
وَاللُّبْنَانَ حَقُّهُ فِي التَّهَانِي
هُوَ عِيدُ الْأَمَالِ، عِيدُ الْوَعُودِ
فَهُوَ مَا زَالَ ذَاكِرًا لِلْعُهُودِ
نِ وَأَحْيَا بِالْإِبْنِ مَجْدَ الْجُدُودِ
أَيْدِ اللَّهِ عَرْشَ فَيَصِلَ بِالْيُمِّ

محمد

قيل في كلية المقاصد الخيرية في عيد المولد.

نَبِيِّ الْعُرْبِ الْأَهْمَنِيِّ بَيَانَا
وَأَرْفَعُ لِلنَّفُوسِ لِيَوَاءِ حَقِّ
وَأَجْعَلُ فِي حَنَائِيَا كُلِّ صَدْرٍ
عَلَى عَجْزِي، أَهْزُ بِهِ الزَّمَانَ
وَأَبْسُطُهُ عَلَى الدُّنْيَا أَمَانَا
لِمَوْلِدِكَ الْمُبَارَكِ مِهْرَجَانَا

* * *

أَلَا فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ يَوْمٌ
تَبَلَّجَتْ الْجَزِيرَةَ عَنْ سَنَاهُ
وَحَوَّلَ وَحْشَةَ الصَّحْرَاءِ أَنْسَا
وَدَوَى صَوْتُهُ فِي كُلِّ أُذُنٍ
بِهِ التَّارِيخُ ضَاءً وَعَزَّ شَانَا
فَأَلْبَسَ رَمْلَهَا الْعَارِي جَمَانَا
وَأَفْسَحَ لِلخُلُودِ بِهَا مَكَانَا
عَلَى الْأَفَاقِ، يُطْرِبُهَا أَدَانَا

* * *

رِمَالِ الْبَيْدِ كَمْ أَغْرَيْتِ ظَعْنًا
يَلِجُ بِقَفْرِكَ الْخَاوِي حُدَاءً
وَمَا دَرَّتِ الْقَوَافِلُ أَيَّ سِرٍّ
وَأَيَّ غَدٍ يُطَلُّ بِهِ، جِنَانَا
تَمُرُّ بِكَ اللَّيَالِي كَالِحَاتٍ
وَفِي أَجْفَانِهَا حُلْمٌ بَعِيدٌ
وَحَوْلَ اللَّاتِ وَالْعَزَى طَوَافٌ
فَكَابَدَ فِيكَ مِنْ ظَمَأٍ وَعَانَا
وَلَا يَقْضِي الْحُدَاءُ لَهُ لُبَانَا
عَلَيْهِ نَامَ صَدْرُكَ مُنْذُ كَانَا
وَمَاءً كَوَثْرًا يُرْوِي الْجِنَانَا
وَمَكَّةُ كَالْعَرَائِسِ عُنْفُونَا
تَجُرُّ بِهِ الْمَطَارِفَ أَرْجُونَا
يُرْوَعُهَا وَيَسْتَبِقُ الْأَوَانَا

وَرَبُّ عُكَاظٍ مَعْقُودٍ لِسَانَا
يَمُورُ حَفِيفُهَا أَنَا فَأَنَا
وَقَالَتْ لِلْمُقَدَّرِ كُنْ فَكَانَا
تَعَالَى النُّورُ فَاکْتَسَحَ الزَّمَانَا
لِيَأْخُذَ بِالْهَدَى الدُّنْيَا احْتِضَانَا
وَحَلَّى الْفَقْرُ حُلَّتَهُ وَزَانَا
وَتَشْرِيدًا وَجُوعًا وَامْتِهَانَا
لِيلُوي دُونَ دَعْوَتِهِ الْعِنَانَا
وَيَعْمُرُ وَجْهَهُ الْقَمَرُ افْتِتَانَا
لَمَا رَضِيَ التَّخَاذُلُ أَوْ تَوَانِي
وَلُغْرًا فِي دُجَى الْغَارِ اسْتَبَانَا
فَيَنْقُحُهُ الْفِصَاحَةَ وَالْبَيَانَا
مَتَى يَقْطُرُ دَمًا يَقْطُرُ حَنَانَا

وَنَجْمُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي أُفُولِ
وَأَجْنِحَةُ الْمَلَائِكِ فِي الْأَعَالِي
إِلَى أَنْ شَاءَ رَبُّكَ فَاسْتَقَرَّتْ
وَمِنْ مَهْدِ قُرَيْشِي عَدِيمِ
فِيَا لَكَ مَوْلِدًا حَضْنَتُهُ دُنْيَا
وَيَا لَكَ مِنْ يَتِيمٍ عَزَّ يُنْمَا
يُحْمَلُ نَفْسَهُ زُهْدًا وَسُهْدًا
وَلَا يُثْنِيهِ وَعْدُ أَوْ وَعِيدُ
يَرَى فِي الشَّمْسِ مَطْمَحَ نَاطِرِيهِ
فَلَوْ وَضَعُوهُمَا فِي رَاحَتِيهِ
حَوَاهُ «حِرَاءُ» كَنْزَ الدَّهْرِ حِينَا
يَرُوحُ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ وَيَعْدُو
وَيُصَلِّتُهُ عَلَى الْكُفَّارِ سَيْفَا

* * *

عَلَى الْأَعْرَابِ يُثْقَلُهُمْ هَوَانَا
وَلِلْفُرْسِ الْعِرَاقُ عَنَا وَدَانَا
وَقَالَ خُذُوا لَوْحَدَتِكُمْ ضَمَانَا
يُوزَعُ فِي الْوَرَى الشَّيْمِ الْحِسَانَا
وَلَمْ يَنْقُضْ لِسُلْطَتِهَا كَيَانَا
وَإِحْسَانُ النُّبُوءَةِ صَوْلَجَانَا
وَمَا خَضَبَتْ لِزِينَتِهَا بَنَانَا
جَدِيدًا لِلْمَكَارِمِ فِيكَ بَانَا
وَيُصَلِّي مَنْ بَغَى حَرْبًا عَوَانَا
عَلَيْهَا، أَيْنَ مِنْهَا أَنْ تَهَانَا

وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْحُكْمِ انْتِدَابُ
فَلِلرُّومِ الشَّامُ عَنَتٌ وَدَانَتْ
فَحَطَمَ بَعْدَ فَيَصِرَ مَجْدٌ كِسْرَى
وَأَعْطَاهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ دِينَا
وَلَمْ يَحْبِسْ عَنِ الْأَنْثَى حُقُوقَا
فَكَانَ لَهَا جَلَالُ الْأُمِّ عَرْشَا
تُخَضَّبُ بِالْحَيَاءِ لَهَا جَبِينَا
فِيَا دُنْيَا اسْتَعِزِّي إِنَّ فَجْرًا
يَفِيضُ سَمَاحَةً وَيُشِيعُ عَدْلًا
تَعَالِيْمٌ لَوِ الْعَرَبِ اسْتَمَرَّتْ

* * *

دَهَا الْأَجْيَالَ مِنْهُ مَا دَهَانَا
تُطَلُّ فَلَا تُضِلُّ بِهَا خَطَانَا

يَتِيمَ الدَّهْرِ، لِلدَّهْرِ انْقِلَابُ
وَهَذَا الْيَوْمُ بَارِقُهُ الْأَمَانِي

لِيَجْمَعَ شَمْلَهُ فِي الْمَجْدِ شَعْبُ
وَلُبْنَانُ الَّذِي لِلضَّادِ فِيهِ
وَقَدْ أَبْقَى لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ
يُحْيِي الْيَوْمَ عِيدَكَ مُسْتَقِيلاً
عَلَى شَرَفِ الْعُرْوَةِ مَا اسْتَكَانَا
مَنْابِعُ لَمْ يُفَجِّرْهَا سِوَانَا
يَحُلُّ بِهَا بَنُوهُ تُرْجَمَانَا
فَتَمَلَّأَ بِهِجَةَ الْعِيدِ الْجِنَانَا

* * *

بَنِي أُمِّي، حَبْرْنَا الْغَرْبَ دَهْرًا
فَكَيْفَ يَغْرُنَا مِنْهُ سَرَابُ
تَبَاعَدْنَا زَمَانًا وَأَفْتَرَقْنَا
وَهَلَّا كَانَ غَيْرَ الْحُبِّ حَالُ
وَمَا اسْتَقْلَلْنَا إِلَّا سَبِيلُ
ضَرَعْتُ إِلَى السَّمَاءِ بِحَقِّ عَيْسَى
وَشَاهَدْنَا مَطَامِعَهُ عِيَانَا
نَشُدُّ لَهُ الرَّحَالَ وَمَا سَقَانَا
فَهَلَّا جَاءَ مَوْعِدُنَا وَحَانَا
يُوحِدُنَا وَيُبْلِغُنَا مُنَانَا؟
لِنُوسِعَ فِي مَدَى الْعُلْيَا مَدَانَا
وَحَقِّكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ يُصَانَا

أول أيلول

أُذِيعت من محطة الشرق الأدنى بمناسبة تجديد ولاية الرئيس.

وطني لِرُوعَتِهِ الكَوَاكِبُ تَسْجُدُ
لُبْنَانُ كَمْ بَهَرَتْ بِدَائِعِكَ النُّهَى
وَلَكُمْ أَتَاكَ السَّائِحُونَ فَكَبَّرُوا
مَا دَأَسَ أَرْضَكَ زَائِرٌ إِلَّا انْتَنَى
السَّحْرُ بَعْضُ صِفَاتِهِ وَالسُّودُّ
وَشَدَا بِحَمْدِكَ شَاعِرٌ وَمَعْرَدُ
لِجَمَالِ مَا شَهِدُوا وَمَا لَمْ يَشْهَدُوا
وَفُؤَادُهُ بِهَوَى نَرَاكَ مُقَيَّدُ

* * *

قُلْ لِلرَّيْسِ، وَقَدْ أَطَلَّ عَلَى الْوَرَى
عَهْدَانِ بَيْنَهُمَا سَنَاكَ مُفَرَّقُ
مَشَتْ الْبِلَادُ بِهِ إِلَى اسْتِقْلَالِهَا
كَمْ حَارَبُوا إِيمَانَهَا وَتَحَكَّمُوا
وَأَبَوْا عَلَى أَحْرَارِهَا دُسْتُورَهُمْ
فَطَلَعَتْ عَلَى الْعَرَبِ الْأَشَاوِسِ مَوْجَةً
مَا زَالَ يَعْصِفُ فِيهِمْ حَتَّى اسْتَوُوا
وَالْأَرْزَةَ الْحَضْرَاءُ تَخْفِقُ فَوْقَهُمْ
أَيُّلُولُ يَهْتِفُ بِاسْمِهِ وَيُعَيِّدُ
هَذَاكَ مَذْمُومٌ وَهَذَا يُحْمَدُ
يَهْدِي خُطَاهَا نَجْمَكَ الْمُتَوَقِّدُ
بِالْحَاكِمِينَ وَأَبْعَدُوا مَنْ أَبْعَدُوا
إِلَّا إِذَا كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ يَدُ
حَمْرَاءٍ مِنْ عَضْبٍ يُقِيمُ وَيُقْعِدُ
وَالْحَقُّ حَقُّهُمُ الَّذِي لَا يُجْحَدُ
وَعَلَى جَوَانِبِهَا دَمٌ مُتَجَمِّدُ

* * *

جِئْتَ السَّفِينَةَ وَالْجِوَاءَ عَوَاصِفُ
فَأَذْرَتْ دَفَّتَهَا بِكَفِّ مُحَنِّكَ
مَجْنُونَةٌ وَالْأَفُقُ أَقْتَمُ أَرْبَدُ
وَبَلَغْتَ مِنْ غَايَاتِهَا مَا تَنْشُدُ

فَإِذَا عَلَى الْبَلَدِ الْمُفَدَّى سَيْدٌ
وَإِذَا بِلُبْنَانَ الْكَبِيرِ كَمَا اشْتَهَى
وَلَهُ مَعَ الدَّوْلِ الْبَعِيدَةِ مَوْثِقٌ
حَطَّتْ لَهُ «الضَّادُ» الطَّرِيقُ فَجَارَهَا
وَأَضَاءَ فِي أَفْقِ الْعُرُوبَةِ فَرَقْدًا
لَوْلَا فَلَسْطِينُ الشَّهِيدَةِ لَمْ يَكُنْ
قَدْ أَتَخَنُوهَا بِالْجِرَاحِ وَلَمْ تَزَلْ
يَرْعَى مَفَاخِرَهُ وَنِعَمَ السَّيِّدِ
وَبِكُلِّ أَرْضٍ ذِكْرُهُ يَتَرَدَّدُ
وَلَهُ مَعَ الدَّوْلِ الْقَرِيبَةِ مَوْعِدٌ
لِلْمَجْدِ يَجْمَعُ شَمْلَهَا وَيُوَحِّدُ
لَا غَابَ عَنِ أَفْقِ الْعُرُوبَةِ فَرَقْدًا
مُهْجٌ تَسِيلُ وَلَا عُيُونٌ تَسْهَدُ
تَحْنُو عَلَى تِلْكَ الْجِرَاحِ وَتَضْمِدُ

* * *

سِتُّ شَدَائِدُ قَدْ طَوَّيْتَ وَدُونَهَا
وَلِبَاقَةٌ فِي الْحُكْمِ بِالْغَةِ الْمَدَى
وَعَلَى الرِّئَاسَةِ مِنْكَ نُورٌ سَاطِعٌ
إِنْ جَدَّدُوا لَكَ عَهْدَهَا فَلِأَنَّهَا
حَقَّقَتْ بِالْأَمْسِ الْكَثِيرِ وَحَسَبْنَا
عَزَمَ عَلَى هَامِ الْخُطُوبِ مُجَرِّدٌ
وَبِلَاغَةً فِي الْقَوْلِ لَا تُسْتَنَفَدُ
وَعَلَيْكَ مِنْهَا جَوْهَا الْمُتَلَبِّدُ
أَمَّا نَا بِكَ يَا رَبِّيسُ تُجَدِّدُ
مَا فَاتَ مِنْهَا أَنْ يُحَقِّقَهُ الْغَدُ

خليل مطران

كانت الحكومة اللبنانية قد كلفت الناظم النيابة عنها في المهرجان التكريمي الذي أُقيم في القاهرة للشاعر وهو في قيد الحياة، ثم حالت أسباب صحية دون اشتراكه في هذا العيد، فلم ينظم من قصيدته سوى الأبيات التالية:

مِنْ مِصْرَ جِئْتُ عَلَى رَجَاءِ لِقَاءِ وَلِمِصْرَ عُدْتُ عَلَى جَدِيدِ رَجَاءِ^١
فَأَنَا عَلَى الْجَبَلِ الْأَشْمِ كَمَا أَنَا فِي مَهَبِطِ الْوَادِي، قَرِيبُ نَاءِ
أَضْرَمْتُ نَارَ الْحُبِّ مِلاًءَ جَوَانِحِي وَسَكَبْتُ خَمَرَ الْحُبِّ مِلاًءَ إِنَائِي
فَإِذَا أَشَارَ الْأُرْزُ مِنْ هَضْبَاتِهِ أَبْدَى النَّخِيلُ خِيَالَهُ فِي الْمَاءِ

* * *

أَخْلِيلُ وَالتَّارِيخُ أَبْلَغُ نَاطِقِ بَبْيَانِكَ الضَّافِي عَلَى الشُّعْرَاءِ
هَلْ كُنْتُ إِلَّا فِكْرَةً عَرَبِيَّةً شَقَّ النَّبُوءُ حِجَابَهَا لِلرَّائِي
لُبْنَانُ أَطْلَعَهَا عَلَى سَفْحِ الْمُنَى مِنْ حَالِمَاتِ الْبَحْرِ وَالصَّحْرَاءِ
حَفَلْتُ بِهَا الْأَعْوَارُ مِنْ فَلَكَ النَّهْيِ وَحَبَا الضِّيَاءُ بِهَا عَلَى الْجَوْرَاءِ
فَسَرْتُ إِلَى أَعْمَاقِ كُلِّ سَرِيرَةٍ وَسَمَتُ إِلَى آفَاقِ كُلِّ سَمَاءِ^٢

^١ إشارة إلى إقامة الشاعر في مصر قبل رجوعه إلى بيروت.

^٢ أي إن هذه الفكرة جامعة بين العمق والامتداد.

وداع الرئيس دودج

الْقَلْبُ قَلْبِي وَالْبَيَانُ بَيَانِي
تَرَعَاكَ فِي صَدْرِي وَفِي أُجْفَانِي
مَنْ بَعْدَ مَا مَرَّتْ، حَدِيثَ زَمَانِي
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ صَدَاهُ فِي الْأَذَانِ
عَهْدِي، وَلَا عَافَ السُّكُوتُ لِسَانِي
جِيلٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالْعِرْفَانِ
كَالشَّمْسِ مُشْرِقَةً عَلَى لُبْنَانَ
مَنْ كَانَ مِلءَ مَسَامِعِ الْأَوْطَانِ
بِالرُّوحِ بَيْنَ كِتَابِ الْفِتْيَانِ؟
حَمَلُوا مَشَاعِلَهُمْ لِكُلِّ مَكَانِ
وَكَسَبَتْ فِيهَا السَّبْقُ فِي الْمِيدَانِ
لَكِنَّهَا دَفَقُ مِنَ الْوُجْدَانِ
لِتَكُونَ إِنْسَانًا مَعَ الْإِنْسَانِ
أَيَّامَ قَلْبِ الشَّرْقِ فِي غَلِيَانِ
بِالْجُوعِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْحِرْمَانِ
وَعَنِيَّةٍ فِي غَفْلَةِ النَّشْوَانِ
وَرَضِيَتْ أَنْ تَشْقَى وَغَيْرُكَ هَانَ
مَنْ رَأْسَ بَيْرُوتَ إِلَى شَمْلَانِ

لَا تُنْكِرِي شَدْوِي وَلَا تَحْنَانِي
يَا دَارَ عِنْدِي ذِمَّةٌ لَكَ لَمْ تَزَلْ
كَمْ وَقْفَةٍ لِي فِيكَ، كَانَ حَدِيثُنَا
وَالْيَوْمَ إِذْ يَطْوِي الْهَزَارُ جَنَاحَهُ
لَوْلَا الرَّئِيسُ لَمَا رَجَعْتُ مُجَدِّدًا
قَالُوا سَيَرْحَلُ عَنْ بِلَادِي فِي عَدِ
وَيَغِيبُ عَنْ لُبْنَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ
فَأَجَبْتُ لَيْسَ بِغَائِبٍ عَنْ مَوْطِنِ
أَوْلَسْتَ فِي أَيِّ الْعَوَاصِمِ حَاضِرًا
كَانُوا عَلَى هَذِي الْمَقَاعِدِ قَبْلَمَا
تِلْكَ الرَّسَالَةُ قَدْ نَهَضَتْ بِعَبِيَّتِهَا
لَا الدِّينَ أَوْحَاهَا إِلَيْكَ وَلَا الْغِنَى
فَرَعِبْتَ عَنْ عِزِّ الْقُصُورِ وَبَدَخِهَا
هَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى جِهَادُكَ بَيْنَنَا
وَالْحَرْبُ طَاغِيَةٌ عَلَى أَبْنَائِهِ
وَفَقِيرُ ذَا الْبَلَدِ الصَّغِيرِ مُعَذَّبٌ
فَبَدَلْتِ مَالِكَ وَإِدْعَا مُتَهَلِّلًا
تَسْعَى عَلَى الْأَقْدَامِ وَحَدَّكَ مَاشِيًا

دَرَسَ عَلَى الْإِيَّامِ تُلْقِيهِ لِمَنْ
لَيْسَ الْغِنَى بِالْمَالِ يَحْزُنُهُ الْفَتَى
قُدَّتْ قُلُوبُهُمْ مَنِ الصَّوَّانِ
إِنَّ الْغِنَى بِالْخُلُقِ وَالْإِيْمَانِ

* * *

وَشَرِيكَةٌ لَكَ فِي الْحَيَاةِ عَرَفْتَهَا
لَوْ يَنْظُمُ الشُّعْرَاءُ بَعْضَ صِفَاتِهَا
فَعَرَفْتِ فِيهَا نَفْحَةَ الرَّيْحَانِ
كَانَتْ قَوَافِي رَحْمَةٍ وَحَنَانِ

* * *

أَحْبَبْتَ هَذَا الشَّرْقُ يَوْمَ عَرَفْتَ مَا
فَرَفَعْتَ صَوْتِكَ فِي بِلَادِكَ شَاكِيًا
لَوْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ لَمْ يَعْصِفُ بِهِمْ
وَلَمَّا تَفَجَّرَتِ السَّمَاءُ وَأَرْضُهَا
بِمَعَارِكِ جَبَّارَةٍ مَا خَطَّهَا
وَجَحِيمِ نَارٍ مَا تَصَوَّرَ مِثْلَهَا
وَاهَا فَلَسْطِطِينَ الشَّهِيدَةَ قَدْ رَأَتْ
لَوْلَا شَبَابُ الْعُرْبِ حَوْلِكَ حَوْمٌ
مِنْ مِصْرَ جَاءُوا وَالْحِجَازِ وَجَلَّقَ
مَلَأَ الْفَضَاءَ زَيْرُهُمْ ثُمَّ اسْتَوُوا
اللَّهُ فِيمَا قَدَّمُوا فِي أُمْسِهِمْ
وَكَانَ أَرْضًا خَضِبَتْ بِدِمَائِهِمْ
يَا جَيْشَ لُبْنَانَ الْفَتِيَّ تَحِيَّةً
مَا أَنْتَ بِالْعَدِيدِ الْكَبِيرِ وَإِنَّمَا

* * *

مَوْلَايَ عَفْوًا مَا أَتَيْتُ مُودِّعًا
لَكِنَّ فِي قَبِيئَاتِي وَتَرًا لَهُ
وَالثَّلْجُ فِي رَأْسِي وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ
وَلَقَدْ تَعَشَّقْتَ الْبِلَادَ كَأَهْلِهَا
لَأُثِيرَ فِيكَ لَوَاعِجَ الْأَحْزَانِ
صَوْتُ الشَّجِيِّ وَأَنَّه التَّكْلَانِ
فِي الصَّدْرِ زَوْبَعَةٌ مِنَ النِّيْرَانِ
لَا بَدْعَ أَنْ أَشْجَاكَ مَا أَشْجَانِي
مَا لِلْمَعْنَى بِالْفِرَاقِ يَدَانِ
مَا رَضِينَا حُكْمَهُ

وداع الرئيس دودج

لَكِنَّ فِي الْأَثَرِ الَّذِي أَبْقَيْتَهُ أَنْسَا يُخَفِّفُ لَوْعَةَ الْهَجْرَانِ
فَإِذَا سَكَتَ فَأَنْتَ فِينَا حَاطِبٌ وَإِذَا بَعُدْتَ فَأَنْتَ مِنَّا دَانَ
تَبْدُو ابْتِسَامَتُكَ الَّتِي عَوَّدْتَنَا حَلَّلَ الْبِحَارِ وَتَلْتَقِي الرُّوحَانَ

ثم قلّد رئيس الجمهورية الرئيس دودج الوسام، فأضاف الناظم هذه الأبيات:

وَمَشَى الرَّئِيسُ إِلَى الرَّئِيسِ مُصَافِحًا وَكَلَاهُمَا فِي الْفَضْلِ سَبَّاقَانِ
أَعْطَاكَ أَرْفَعَ مَا بِهِ يَعْتَزُّ دُو مَالٍ وَدُو عِلْمٍ وَدُو سُلْطَانِ
تَذَكَارُ تَكْرِيمٍ وَحَسْبُ فَأَنْتَ لَا تَهْتَزُّ مِثْلَ سِوَاكَ لِلْإِعْلَانِ
إِنْ كَانَ يَلْمَعُ فَوْقَ صَدْرِكَ نُورُهُ فَوَرَاءَ صَدْرِكَ مَنْبَعُ اللَّمَعَانِ

استقبال الملك فيصل الثاني في شتوره

سَلِيلَ الْمَجْدِ وَالْخُلُقِ الْأَبِيِّ
وَتَاجِ النُّورِ تَعْقِدُهُ الْمَعَالِي
وَنِعْمَةَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُرَجَى
يُرْحَبُ فِيكَ لُبْنَانُ وَيَمْشِي
وَيَنْشُقُ مِنْكَ أَمَالًا كِبَارًا
وَيَذْكُرُ خَالِكَ الْبَطَلَ الْمُفَدَّى
عَرُوسُ الشُّعْرِ تَسْعَى يَا ابْنَ غَازِي
وَمَا ضَرَّ الْعَرُوسَ بَيَاضُ شَعْرِي
إِذَا مَلَأَتْ سَمَاءَ الشَّرْقِ نُورًا
فَقَدْ تَرَكْتُ لَهَا فِي كُلِّ قَلْبٍ
وَحَامِلَ عِطْرِ أَنْفَاسِ النَّبِيِّ
عَلَى بَغْدَادَ فِي حَرَمِ الْوَصِيِّ
تُرَدَّدُ فِي الْبُكُورِ وَفِي الْعَشِيِّ
إِلَيْكَ بِقَلْبٍ مُشْتَاقٍ وَفِي
تُطَالِعُهُ عَلَى الْعُودِ الطَّرِيِّ
وَمَفْخَرَةِ الشَّبَابِ الْهَاشِمِيِّ
إِلَيْكَ بِخَالِصِ الْحَمْدِ الذَّكِيِّ
سَوَادُ الْقَلْبِ يَخْفِقُ فِي الرَّوِيِّ
مَآثِرُ بَيْتِ جَدِّكُمْ الْعَلِيِّ
هُوَّى مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ عَيْسَوِيِّ

بيت الدين

دعا رئيس الجمهورية بعض الأدباء والصحافيين إلى حفلة شاي في قصر بيت الدين، فأنشد الناظم هذه الأبيات، وفيها إشارة إلى حالته النفسية في تلك الأيام.

الزُّهُدُ وَالْأَشْوَاقُ مِلءُ إِزَارِي
أُفْقِي، وَلَا مَلَّ الْغِنَاءُ هَزَارِي
وَإِذَا غَضِبْتُ، فَحِيلَةُ الْأَقْدَارِ
وَأَبْنُهَا لِلنَّفْسِ خَلْفَ سِتَارِ
لُبْنَانُ شَعْرُكَ، وَالْوَفَاءُ شِعَارِي
أُسْطُورَةُ الْأَبْطَالِ وَالْأَحْرَارِ
حَمَلْتُ جَلَالَ الْأَرْزِ قَبْلَ الْغَارِ

نَارِي وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارِي
مَا ضِفَّتْ دَرْعًا بِالْحَيَاةِ، وَإِنْ دَجَا
فَإِذَا رَضِيتُ عَنِ الزَّمَانِ فَحِيلَتِي
أَسْتَلُّ مِنْ غَسَقِ الْحَوَادِثِ حِكْمَتِي
وَأَقُولُ لِلْقَلْبِ الْخَفُوقِ بِجَانِبِي
أَنْشُدْ لَهُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ وَصُغْ بِهِ
وَأَعِدْ عَلَى الدُّنْيَا مَفَاخِرَ بُقْعَةٍ

* * *

وَأَعَزَّ مَا حُمِّلْتِ مِنْ تَذْكَارِ
وَجَمَالُهُ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
فِي الدَّارِ تُحْيِي ذِكْرِيَّاتِ الدَّارِ
وَأَبْحَثَ لِلشُّعْرَاءِ قُدْسَ مَزَارِ
فَانظُرْ لِهَذَا الْجَحْفَلِ الْجَرَّارِ
مَعْنَى مِنَ الْأَزْهَارِ وَالْأَطْيَارِ
الْفَيْتُهُ أَمْضَى مِنَ الْبِتَارِ
رَوَّضْتَهَا لِلسَّبْقِ فِي الْمِضْمَارِ

اللَّهِ، مَا أَبْهَى جَبِينِكَ يَا رَبِّي
فِي صَرْحِ بَيْتِ الدِّينِ مَجْدُ خَالِدِ
أَرْئِيسِنَا الْمَحْبُوبِ هَذِهِ وَقْفَةٌ
جَدَّدْتَ سَوْقَ عُكَازٍ فِي عَرَصَاتِهَا
كَانُوا عَلَى عَهْدِ الْأَمِيرِ ثَلَاثَةً
مِنْ كُلِّ ذِي قَلَمٍ تَضَمَّنَ حَدُّهُ
وَإِذَا أَهَيْبَ بِهِ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ
وَمِنَ الصَّحَافِيِّينَ حَوْلَكَ عُضْبَةٌ

البَاحِثُونَ عَنِ الْأَطْيَابِ لِلنُّهَى الطَّابِعُونَ لَهَا مَعَ الْأَخْبَارِ

* * *

مَوْلَايَ هَذِي بِنْتُ فِكْرٍ سَانِحٍ سَاهَرْتُهَا لَيْلِي وَبَعْضَ نَهَارِي
أَوْدَعْتُهَا أُمْنِيَّةً لَوْلَاكَ مَا غَلَبَ الْيَقِينَ بِهَا عَلَى الْإِنْكَارِ
أَيُّكُونُ لِلْأُدْبَاءِ فِي لُبْنَانِهِمْ وَهُوَ الْمَشْعُ بِسَاطِعِ الْأَنْوَارِ
نَادٍ، فَيَرْفَعُ شَأْنَهُمْ وَيَضُمُّهُمْ وَيَقِيهِمْ فِي الْعَيْشِ كُلِّ عَنَارِ؟
لَا يُكْرِمُ التَّارِيخُ شَعْبًا لَمْ يَنْلُ أَدْبَاؤُهُ حَظًّا مِّنَ الْإِكْبَارِ
وَمُسَطَّرُ التَّارِيخِ حَصَّ أَدِيبَهُ بِالذِّكْرِ قَبْلَ كَمِيهِ الْمَغُورِ
أُمْنِيَّةٌ لَا شَكَّ فِي تَحْقِيقِهَا مَا دُمْتَ تَرَعَى صَائِبَ الْأَفْكَارِ

عمر الداعوق

قيلت في حفلة الأربعاء في سينما ريفولي.

قَالُوا أَلَا تَرْتَبِي عُمَرَ
رَجُلَ الرَّئَاسَةِ وَالسِّيَا
حَامِي الْمَقَاصِدِ بَاعِثُ الْ
فَأَجَبْتُ: إِنَّ رِثَاءَهُ
يَا يَوْمَ مَا تَمِهِ الْمَهِي
وَالْأَلَةُ الْحَدْبَاءُ تَحُ
وَالْجَمْعُ خَلْفَ النَّعْشِ مَكُ
يَبْكِي شَمَائِلَ كَالنَّسِي
وَذَخِيرَةً كَانَتْ لِأَيْ
وَمُعِينٌ كُلُّ فَتَى شَكَا
رُكْنٌ تَهْدَمُ لِلْإِخَا
بَلْ دَوْلَةٌ ذَهَبَتْ بِمَا

وَهُوَ ابْنُ لُبْنَانَ الْأَبْرُ
سَةِ وَالْكِيَاسَةِ وَالْخَفَرُ
خَيْرَاتٍ مِنْ قَلْبِ الْحَجَرِ
بِقَمِ الزَّمَانِ قَدْ اسْتَقَرَّ
بِ وَهَوْلِ ذِيكَ السَّفَرِ
مِلْ فَوْقَهَا بَحْرًا وَبِرْ
لُومٌ تُغَالِبُهُ الْعِبْرُ
مِ مُحَمَّلًا أَرْجَ الزَّهْرُ
يَامِ الشَّدَائِدِ تَدَخَّرُ
وَمُقِيلٌ كُلُّ أَخٍ عَثَّرُ
ءِ وَلِلْوَفَاءِ وَلِلْحَذَرِ
فِيهَا مِنَ الشَّيْمِ الْغُرُرُ

* * *

هَلْ تَذْكُرُونَ جِهَادَهُ الْ
أَيَّامَ كَانَ النَّاسُ فِي
فَأَتَى بِخُبْرٍ لِلْجِيَا
وَأَقَامَ حُكْمًا صَالِحًا

مَاضِي وَعَهْدًا قَدْ غَبَرَ
حَرْبٍ وَكُنَّا فِي خَطَرِ
عِ وَرَدَّ عَادِيَةَ الْغَيْرِ
مَا عَبَاهُ إِلَّا الْقِصْرُ

ثُمَّ انْتَنَى يُذَكِّي العَرَآ
يَسْتَهْدِفُ الإِصْلَاحَ فِي
عِلْمٌ وَتَضَحِيَّةٌ وَإِقْدٌ
لَا الضَّغْطُ يَثْنِيهِ وَلَا
فَكَأَنَّ جُلَّ حَيَاتِهِ
هِيَ صَفْحَةٌ تَبْقَى عَلَى الِ
عَبْرٌ مِّنَ المَاضِي إِلَى الِ

* * *

يَا هَاجِرًا أَحْبَابَهُ
مَرَّتْ عَلَيْكَ الأَرْبَعُو
لَكِنَّ رَسْمَكَ لَمْ يَزَلْ
وَأَنَا الَّذِي إِنْ يَفْتَحِرْ
كَمْ كُنْتُ أَرْجُو لَوْ نَظَّمْ
نَاجَيْتُ فِيكَ قَرِيحَتِي
مَا حِيلَهُ القَلْبُ الكَسِيدُ
قَلَمِي الَّذِي حَطَّمْتُهُ
وَرَأَيْتُ أَقْدَارَ الرَّجَا
لَوْلَا هَوَى لُبَّانٍ، يُطْ
لَبَلَّغْتُ فِي الشُّكْوَى المَدَى
مَا قِيَمَةُ الوَطَنِ المِيدَلِ
مَاذَا هُنَاكَ، فَلَا أَرَى
وَالنَّاسَ فِي سَوْقِ النِّقَا
بُغْضٌ وَأَطْمَاعٌ وَتَفْ
غِيضُ الوَفَاءِ فَلَا غِرَا
وَقَسَتْ قُلُوبُ النَّاسِ حَتَّى
كَمْ مِنْ غَنِيِّ مَالُهُ
فَكَأَنَّهُ بَيْنَ القُصُورِ

مَا أَنْتَ آخِرَ مَنْ هَجَرَ
نَ وَلَا جَوَابَ وَلَا حَبَرَ
مِلءَ البَصَائِرِ وَالبَصَرِ
فَبِوَدِّكَ الصَّافِي أَفْتَحِرْ
تُ لَكَ الرِّثَاءُ مِنَ الدَّرَرِ
فَشَكَّتْ وَأَعْيَانِي السَّهَرِ
رِ وَقَبْلَهُ القَلَمُ انْكَسَرَ
مِنَ بَعْدِ مَا نَقَتْ الأَمْرُ
لِ تَضْيَعُ فِي عَهْدِ أَعْرُ
رَبِّي وَإِنْ شَذَّ الوَثْرُ
حَتَّى يُقَالَ فَتَى كَفَرُ
لِ وَفِيهِ تَنْتَحِرُ الفِكْرُ
إِلَّا ضَمَائِرَ مِنْ مَدْرُ
قِ عَلَى وَفَاقِ فِي الضَّرْرُ
رِقَّةٌ وَأَشْيَاءُ أُخْرُ
سُ فِي الرِّيَاضِ وَلَا تَمْرُ
تَى الجَنْدَلُ القَاسِي انْفَطَرُ
كُلِّ الغَيْمِ مَحْبُوسِ المَطْرُ
رِ مُوسِدٌ طَيِّ الحُفْرُ

* * *

عَفَوًا بَنِي أُمِّي فَفِي كَأْسِي الشَّرَابِ حَلَا وَمَرُّ
أَنَا فِي الْحَيَاةِ أَخُو طَرِيْبٍ قِ عَابِرٍ فَيَمَنُ عَبْرُ
لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ صُحْبَةِ الْ أَيَّامٍ إِلَّا مَا نَدَرُ
لَا شَيْءٍ يَرْبِطُنِي بِهَا سِيَّانٍ صَفْوُ أَوْ كَدَرُ
حُرٌّ مِنَ الرَّغَبَاتِ وَالرُّ رَهَبَاتٍ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرُّ
لَكِنِّي مَا زِلْتُ أَطُ رَبُّ لِلْحَمِيدِ مِنَ السَّيْرِ
وَأَرَى الْحَقِيقَةَ أَنْ تُفَا لَ وَلَوْ بِهَا النَّفْسُ اسْتَعَرُ

* * *

وَإِذَا بَكَيْتُ عَلَى عُمَرُ أَيْرُدُّهُ لَكُمُ الْقَدَرُ
إِنَّ الْحَسَارَةَ لَا تُعَوُّ وَضُ وَالْحَكِيمُ مِنْ اعْتَبَرُ
فَمَشَى عَلَى آثَارِهِ لِيَغِيْبَ مَحْمُودَ الْأَثَرُ

إلى كاتبة^١

يَا هِنْدُ مَا هَذِي الطَّلَا
أَفَمَا كَفَى سِحْرُ اللَّحَا
وَنَقَلْتِ يَأْقُوتَ الكُئُوتِ
فَسَكِرْتِ مَا بَيْنَ السُّطُوتِ
وَرَجَعْتِ وَالْأَشْوَاقُ بِي
يَا هِنْدُ حَسْبُكَ أَنْ لِي
حَمَلْتُهُ ثِقَلَ المَشِيهِ
رَغَمَ الزَّمَانِ جَعَلْتُهُ
قَهَّ فِي المَحْيَا وَاللِّسَانِ
ظِ فَقُلْتِ خُدَّ سِحْرَ البَيَانِ
سِ مِنَ الشُّفَاهِ إِلَى البَنَانِ
رِ بِمَا سَكَبْتِ مِنَ المَعَانِي
كَالنَّارِ تَأْكُلُ مِنْ جَنَانِي
قَلْبًا غَنِيًّا بِالأَمَانِي
بِ فَمَا سَلَوْتُ وَمَا سَلَانِي
وَقَفَا عَلَيْكَ مَدَى الزَّمَانِ

١٩٥٠

^١ هي هند سلامة صاحبة كتاب النسائيات في التوراة. وقد اجتمع إليها الناظم في النادي الدولي إلى مائة سمر، فارتجل هذه الأبيات ساعتئذ.

قالت

حُبًّا تَنْزَهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ
فِي كَأْسِنَا إِلَّا صَفَاءَ الْكَاسِ
أَدَبُ الْحَيَاةِ وَرِقَّةُ الْإِحْسَاسِ
خَمْرَ الْحَدِيثِ يَطِيبُ فِي الْأَنْفَاسِ
مَغْمُورَةً بِاللُّطْفِ وَالْإِيْنَاسِ
فَوْزًا عَلَى قَلْبِ الزَّمَانِ الْقَاسِي
فِي الْحُبِّ تَعْرِفُنِي بِهِ جُلَاسِي
وَتَمُرُّ مِثْلَ سَحَابَةٍ فِي رَاسِي
جُرْجِي كَمَا غَسَلَ الْجِرَاحَ الْأَسِي
وَالْحُبُّ يَرْبِطُنِي إِلَى أَمْرَاسِ
لَكِنَّهَا شَرٌّ مِنَ الْإِفْلَاسِ
فِيهِ الْوَفَاءُ مُسْرِبِلًا بِالْيَاسِ
وَأَطْلُ مُبْتَسِمًا أَمَامَ النَّاسِ
وَتَدُقُّ فِي نَعْيِ الْمُنَى أَجْرَاسِي

قَالَتْ: أَوْدُ بَأْنَ يَكُونُ هَوَاكَ لِي
يَسْمُو بِنَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَلَا نَرَى
وَنَعِيشُ بِالرُّوحَيْنِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَتَكُونُ لَدَتْنَا الَّتِي لَا تَنْتَهِي
فَتَعُودُ رُوجِي بَعْدَ طُولِ عَذَابِهَا
وَيَنَالُ قَلْبِي بَعْدَ طُولِ عِرَاكِه
فَأَجَبْتُهَا: أَوْلَيْسَ هَذَا مَذْهَبِي
تَتَحَطَّمُ الشَّهَوَاتُ عِنْدَ إِرَادَتِي
وَيَخُونُنِي أَمْلِي فَتَغْسِلُ عِزَّتِي
لَكِنَّ حَظِّي أَنْ أَعِيشَ مُعَذَّبًا
مِنْ كِبْرِيَاءِ النَّفْسِ عِنْدِي تَرْوَةٌ
وَ رَحْمَتَاهُ لِلْوَفِيِّ إِذَا عَدَا
فِي وَحْدَتِي تَبْلِي الدُّمُوعُ مَحَاجِرِي
يَتَنَادُمُونَ عَلَى هَدِيلِ قَصَائِدِي

عيد الرئاسة

قِيلَتْ فِي بَيْتِ الدِّينِ فِي ٢١ أَيْلُولِ سَنَةِ ١٩٥٠.

يَبْلَى الرِّمَانُ وَلَا تَزَالُ جَدِيدًا
كَمْ بَيَّضَتْ وَجْهًا وَحَلَّتْ جِيدًا
وَتَفَجَّرَتْ مُهَجٌّ فَكُنَّ نَشِيدًا
كَمْ سَلَنَ أُنْدَاءً، وَصَلَنَ حَدِيدًا
وَتَعَطَّرَتْ أَجْوَاؤُهُ تَجْوِيدًا
فِيهِ لَكَ التَّمَجِيدَ وَالتَّنَائِيدًا
تُوجِي بِهَا لِي فِي الْحَبِيبِ قَصِيدًا
مَا زِلْتُ عَنْ مَدْحِ الرَّجَالِ بَعِيدًا
لُبْنَانُ يَرْعَى لِلرَّئِيسِ عُهودًا
«سَبْعًا» وَأَرْضِي سَيِّدًا وَمَسُودًا
إِنْ شَاءَ رَبُّكَ لِلْفَخَارِ مَزِيدًا
حَتَّى نَرَى لِضِيَائِهَا تَجْدِيدًا
عِيدَ الرِّئَاسَةِ لَا عَدِمْتُكَ عِيدًا

عِيدَ الرِّئَاسَةِ لَا عَدِمْتُكَ عِيدًا
أَحْيَا بِكَ التَّارِيخُ سَاعَاتٍ مَضَتْ
عَصَفَ الْجِهَادِ بِهَا فَكَانَ صَوَاعِقًا
وَحَنَا عَلَى لُبْنَانَ أَفِيدَةً لَهُ
حَتَّى أَضَاءَ الْأَفُقَ بِاسْتِقْلَالِهِ
عِيدَ الرِّئَاسَةِ أَيُّ قَلْبٍ لَمْ تَجِدْ
لَكَ كُلَّ عَامٍ زُورَةً مَحْبُوبَةً
وَأَنَا الَّذِي فِي كُلِّ مَا خَطَّتْ يَدِي
حَقٌّ لِهَذَا الْعَهْدِ أَنْ يَبْقَى بِهِ
سَاسَ الْبِلَادِ بِحِكْمَةٍ وَلِبَاقَةٍ
«وَالْبَاقِيَاتُ الْخَمْسُ» سَوْفَ نَرَى بِهَا
فَتَطَّلُ فِي أَفُقِ الرِّمَانِ مُضِيئَةً
وَيَعُودُ شِعْرِي كُلَّ عَامٍ مُنْشَدًا

ليلة أنس

وأحيا السيد بولس فياض ليلة أنس وسمر في داره بعالية، جمعت بين رجال الحكومة والوجاهة والأدب، وطُلب من الناظم أن يستعدَّ لإلقاء كلمة فيها، فألقى في منتصف السهرة هذه الأبيات:

يَا جَلْسَةَ فِي دَارِ بُو لِسَ مَا مَلَّتْ بِهَا جَلِيسِي
فَنَعِمْتُ بِالنَّظَرَاتِ وَالْ بَسَمَاتِ وَالْقَدِّ الْمَيُوسِ
وَفَتَحْتُ نَحْوَ الْأَفْقِ بَا بَ السَّجْنِ لِلْقَلْبِ الْحَبِيسِ
وَلَبِستُ مِنْ طَرَبِ الشَّبَا بِ وَنَشْوَةِ الذِّكْرَى لَبُوسِي
يَوْمَ الْحَمِيسِ، جَمَعْتُ فِي كَ الْعُمَرِ يَا يَوْمَ الْحَمِيسِ

* * *

لُبْنَانُ أَنْتَ عَلَى الشُّفَا هَ وَفِي الْعُيُونِ وَفِي النُّفُوسِ
تَتَرَنَّمُ الدُّنْيَا بِمَا أُودِعْتَ مِنْ كُنْزِ نَفِيسِ
فِي جَوْكِ الصَّافِي وَطِي بِ شَذَاكَ وَاللَّيْلِ الْأَنْبِيسِ
وَمَنَاظِرَ تَخْتَالُ فِي هَا كَالْقَلَابِدِ لِلْعُرُوسِ
خَلْفَ الْبَحَارِ رَجَالِكَ ال أَحْرَارُ شَامِحَةَ الرُّعُوسِ
وَهُنَا الْوَفَا بَعْدَ الْجَفَا وَتَبَسُّمِ الدَّهْرِ الْعَبُوسِ
وَهُنَا الْأَمَانُ، وَإِنْ تَكُ ال أَهْوَاءُ حَامِيَةَ الْوَطِيسِ
وَطَنِي فِدَاكَ دَمِي، وَلَوْ أَسْطِيعُ قُلْتُ فِدَاكَ كَيْسِي
أَلْهَمْتَنِي بِالْأَمْسِ أَزْ كَى مَا يُرَاقُ عَلَى الطُّرُوسِ

رفيف الأحقوان

وَالْيَوْمَ حَسْبِي مِنْكَ لَيْدٌ لَتَنَا الْمُضِيئَةَ بِالشُّمُوسِ
أَعَدَدْتُ مِنْ شِعْرِي لَهَا خَمْرًا تُدَارُ بِلَا كُتُوسِ
أَدْعُو لِلْبُنَانِ الْحَبِيـ بِ بِهَا وَأَدْعُو لِلرَّئِيسِ

في مهرجان الكتاب سنة ١٩٥٠

١٩ «نوفمبر» في الروكسي

مَنْ بَعْدَ مَا نَزَلَ الْمَشِيبُ بِسَاجِي
هِيَ مِنْ غُبَارٍ وَقَائِعِي وَكِفَاجِي
أَوْقَدْتُ تَحْتَ شُعَاعِهَا مِصْبَاجِي
جَدَدْتُ فِيهِ هِمَّتِي وَطِمَاجِي
غَيْرُ السَّنِينِ فَأَسْتَلِدُ جِرَاجِي
فِي ذِمَّةِ الْعَلِيَاءِ حَفَقُ جِنَاحِي
تَبْقَى عَلَى رُغْمِ الزَّمَانِ الْمَاجِي
فَشَدَا عَلَى نَقَاتِهِ صَدَاجِي
فِي مَوْكِبِ الْمَاضِي سَوَى أَشْبَاحِي
سَكَرَاتُ أَحْدَاقٍ وَلَا أَقْدَاحِي
وَجِنَاتٍ وَرِدٍ أَوْ تُغُورِ أَقَاجِي
عَوَدْتُ مِنْ سَطْوِ عَلَى الْأَرْوَاحِ
وَأَرُدُّهُ لِلشَّمْسِ كُلِّ صَبَاحِ
هَلْ فِي مِدَادِكَ غَيْرُ مَا فِي الرَّاحِ؟
السَّرُّ تَحْتَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ

لَا تَحْسَبِي أَنِّي رَمَيْتُ سِلَاجِي
تِلْكَ الْخُيُوطُ الْبَيْضُ تَكْسُو هَامَتِي
أَنْكَرْتُهَا زَمَنَ الشَّبَابِ فَمَذَّ بَدْتُ
وَأَبَحْتُ لِلْأَحْلَامِ مَيْدَانًا بِهَا
تُبْدِي لِي الْمِرَاةَ مَا تَرَكَتُهُ بِي
وَأَحْسُ أَنْ وَرَاءَهَا قَلْبًا لَهُ
كَمْ سَطَّرَتْ لِلْحُبِّ فِيهِ آيَةٌ
وَلَكَمْ هَمَزَتْ بِهِ جَوَادَ قَرِيحَتِي
وَالْيَوْمَ إِذْ شَطَّ الْمَرَارُ فَلَا أَرَى
وَخَبْتُ عَلَى الْأَعْصَابِ ثَوْرَتَهَا فَلَا
وَتَمَلَّتِ الْعَيْنَانِ وَالشَّفَقَتَانِ مِنْ
لَمْ يَبْقُ لِلْفِكْرِ الْمَشْرَدِ غَيْرُ مَا
أَلْقِيهِ فِي حُضْنِ النُّجُومِ مَعَ الدُّجَى
وَأَقُولُ لِلْقَلَمِ الْمُهْلَهْلِ فِي يَدِي
لَيْسَ التَّجَعُّدُ فِي الْجَبِينِ بِضَائِرِي

وَصَرِيرُكَ الْهَادِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
وَاللَّذَّةُ الْكُبْرَى لِنَفْسٍ حُرَّةٍ
نَجْوَى الْبَلَابِلِ فِي نَرَى الْأَدْوَا حِ
هِيَ مَا تَنْمَّقُهُ عَلَى الْأَلْوَا حِ
مِنْ سَكْرَةِ الْإِبْدَاعِ لَسْتُ بِصَا حِ

* * *

بَلْ كَيْفَ أَضْحُو وَالْكَتَائِبُ جَنَّتِي
تُوحِي رَوَائِعُهَا الْبَيَانَ لِخَاطِرِي
أَنْشَدْتُهَا بِالْأَمْسِ شِعْرًا خَالِدًا
وَالْيَوْمَ عُدْتُ بِعَيْدِهَا، أَيْعُوقِنِي
وَأَنَا الَّذِي جَدَّدْتُ فِيهَا صَبُوتِي
قُلْ لِلَّذِينَ تَنْكَرُوا لِلْوَائِيهَا
مَا الْمَالُ، مَا الْأَمَالُ، مَا الْكَأْسُ الَّتِي
وَبِكُلِّ صَدْرٍ لَوْعَةً مَشْبُوبَةً
وَالْحَرْبُ لَمْ تَتْرُكْ بَقِيَّةَ رَحْمَةٍ
إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَا عَزَاءَ لِمُؤْمِنٍ
وَهِيَ الَّتِي تُعْطِي الْكَتَائِبُ لَوْنَهَا

أَشْدُو بِهَا فِي غُدُوتِي وَرَوَا حِي
فَأَعُودُ مِنْهَا بِالشَّدَا الْفَوَا حِ
أَطْلَقْتُ فِيهِ لِلنُّجُومِ سَرَا حِي
مَا رَا حِ مِنْ عُمْرِي وَطِيبِ مِرَا حِي
وَجَعَلْتُ مِنْ أَفْرَا حِهَا أَفْرَا حِي؟
فَطَوَاهُ جِدُّ مِنْهُمْ بِمُرَا حِ
نَحْسُو بِهَا، وَالْمَاءُ غَيْرُ قَرَا حِ
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ صَدَى لِنُوَا حِ
لِلْعَامِلِ الْمَسْكِينِ وَالْفَلَا حِ؟
نَشَدَ الصَّلَا حِ وَعَاشَ لِلِإِصْلَا حِ
مِنْ جُرْأَةٍ وَتَجَرَّدِ وَسَمَا حِ

* * *

يَا أَيُّهَا النَّشْرُ الْجَدِيدُ تَبَارَكْتَ
جَنَّتِ الزَّمَانُ وَفِي السَّمَاءِ سَحَابٌ
فَفَتَحْتَ صَدْرَكَ لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ وَلَمْ تَزَلْ
وَأَتَحْتَ جَمَعَ الشَّمْلِ وَهُوَ مُشْتَتٌ
هَذَا الشَّبَابُ، وَمَا أَحْيَلَى عَهْدَهُ
حَوَّطْتَ بِالْعَمَلِ الْمَجِيدِ سَفِينَةَ الـ
شَمَحَتْ تَشْقُ اللَّيْلِ، لَيْسَتْ تَنْنِي
وَمَضَتْ بِمِجْدَافَيْنِ فَوْقَ عُبابِهَا
فَإِذَا الْإُبُوْتَةُ كَالرُّجُولَةِ، قُوَّةٌ
وَتَدُورُ فِي الْجِسْمِ الْأَشْلُ عَزَائِمًا

لَكَ هِمَّةٌ شَحِدَتْ لِيَوْمِ كِفَا حِ
سُودٌ وَفِي الْأَفَاقِ عَصْفُ رِيَا حِ
وَكَبَحْتَ بِالْإِيْمَانِ كُلَّ جِمَا حِ
حَتَّى فَرَشْتَ الْوَرْدَ لِلنُّزَا حِ
عَبَرَ الْبَحَارِ وَكَانَ غَيْرَ مُتَا حِ
هَلْ كُنْتُ فِيهِ سِوَى الْفَتَى الْمِسْمَا حِ
عَهْدِ الْجَدِيدِ وَجُرْأَةِ الْمَلَا حِ
عَنْ غَايِهَا إِلَّا مَعَ الْإِصْبَا حِ
مِنْ ذَاتِ أُسُورَةٍ وَذِي أَرْمَا حِ
تَطَأُ الصَّعَابَ بِوَقْدَةِ الْمِلْحَا حِ
وَمَرَا حِمَا كَمَبَاسِمِ التَّفَا حِ

وَسَلَّحَهَا بِالرُّوحِ خَيْرُ سَلَّاحٍ
كَمَنْتَ كُمْونَ النَّارِ فِي القَدَّاحِ
وَطَنِي لِیَوْمِ كَرِيهَةٍ وَتَلَّاحِي
مَا زَالَ يُعْجِزُ مَبْضَعِ الجِرَّاحِ
كَادَتْ تَمِيلُ بِنُورِهِ اللَّمَّاحِ
أَوْ زَفَرَةُ الشَّاكِي وَلَوْمُ اللَّاحِي
وَالْمَاءِ لِلأَعْمَى وَلِلْمُلْتَّاحِ
لِلرُّوحِ يَهْدِيهَا لِكُلِّ صَلَاحِ
فَإِذَا الدُّجَى سَلَوُ عَلَى المِصْبَاحِ
عُذْنَ الصَّحَّاحِ وَكُنَّ غَيْرَ صِحَّاحِ
أَبْرَحَ لَهُ حَتَّى يَحِينُ بَرَاحِي
لَا كَانَ لِي قَلَمِي وَلَا لِي رَاحِي^١

مَرْحَى، فَتَاةَ الحَيِّ تَنْزِلُ لِلوَعَى
أَدَبٌ وَتَضْحِيَّةٌ، وَعَضْبَةٌ ثَائِرِ
هِيَ قُوَّةُ الحَقِّ الصَّرَّاحِ يُعِدُّهَا
لَكِنْ هُنَالِكَ فِي الأَضَالِعِ دُمْلُ
الطَّائِفِيَّةِ ظَلَمَةُ الشَّرْقِ الَّتِي
هَيْهَاتَ تَفْرِيهَا حِكَايَةُ مُصْلِحِ
أَقْسَمْتُ بِالْحَرْفِ الَّذِي حَمَلَ الضِّيَا
أَنْ لَيْسَ كَالْحَبِّ الصَّحِيحِ مُرَوِّضِ
نَحَرَ الدُّجَى بِالنُّورِ مِنْ مِصْبَاحِهِ
وَإِذَا نُفُوسُ النَّاسِ مُشْرِقَةُ الكُوَى
وَأَنَا الَّذِي صَحِبَ الِيرَاعِ يَدِي وَلَمْ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْحَبِّ فِيهِ دَعْوَتِي

* * *

خَائِي الغَرِيبِ وَقِبْلَةَ السِّيَّاحِ
لِلْحُبِّ بَيْنَ مَشَارِفِ وَيَطَّاحِ
وَشُجُونِ بَدْرِكَ وَالنَّهَارِ الضَّاحِي
فِي الغَابِ أَوْ فِي النَّبْعِ أَوْ فِي الوَاحِ^٢
فَالقَلْبُ عِنْدَكَ فِي أَمَانِ جَنَاحِ^٣
مِنْ سُوْرَةِ نَسَجَتْ وَمِنْ إِصْحَاحِ
أَبْنَاءَهَا فَهَمْ كَجُمْعِ الرَّاحِ^٤
يَتَصَنَّعُونَ بِأَدْمَعِ التَّمْسَاحِ

لُبَّانُ يَا أُنْسَ القَرِيبِ وَوَحْشَةَ الذَّنْ
كَمْ فِي كِتَابِكَ مِنْ مَعَانِ أَنْزَلْتَ
نَوْحَ النَّسِيمِ وَبَوَّحَ أَزْهَارَ الرُّبَى
وَاللَّيْلُ وَالْأَمْوَاجُ وَالْهَمْسُ الَّذِي
إِنْ تَعَصِفِ الدُّنْيَا بِأَحْقَادِ الوَرَى
هَذِي جُنُودُكَ أَقْبَلْتَ وَبُنُودُهَا
بَارِكْ عَلَيْهَا، كَالأَلُوْهَةِ عَانَقْتَ
عَزَّتْ مَشَابِكُهَا عَلَى كَيْدِ الأَلَى

^١ جمع راحة أي الكف.

^٢ جمع واحة.

^٣ الجناح: الكنف.

^٤ كجُمْعِ الرَّاحِ أي كالكفِّ المقبوضة.

وَأَنْشَقُ أَرِيحَ الْعِيدِ فِي أُغْنِيَّةٍ
مِنْ خَلَجَةِ الْقَلْبِ الطَّهْوَرِ جَبَلَتْهَا
يَا أُرْزَتِي الْخَضْرَاءَ تِيهِي وَأُخْفِقِي
لِي مِنْكَ حُلْمِي فِي الْحَيَاةِ وَيَقْطِطِي
رِيَّانَةَ الْأَنْدَادِ وَالْأَرْوَاحِ
وَعَمَسْتُهَا فِي طِيْبِكَ النَّفَّاحِ
بِدَمٍ عَلَى الْجَنْبَيْنِ، فِيكَ مُبَاحِ
وَلَكِ الصَّلَاةُ عَشِيَّتِي وَصَبَاحِي

أشعار الخداع والحب

الخداع والحب رواية تمثيلية لشعر الألماني، نقلتها إلى العربية أيام الشباب مع صديقي المأسوف عليه نجيب نسيم طراد سنة ١٩٠٠، وقد مُثِّت في دار قونصلاتو روسيا ثلاث ليالٍ متواصلة، ووقف ريعها للجمعية الخيرية.

موضوعها: إن فرناند فتى من النبلاء كان يتردد على مُعلِّم موسيقى؛ فعلق بحب ابنته لويز، وكان والد فرناند أمين سر الدولة مشهورًا بالطمع والإجرام، فلم يَرُقْ لعينيه هذا الحب وحاول بشتى الوسائل إقناع فرناند بالعدول عنه فلم يفلح، فعمد إلى الحيلة والدس، وأرغم الفتاة المسكينة على كتابة رسالة غرام إلى حبيب مزعوم، بعد أن انتزع منها اليمين المغلظة لكتمان السر أو تُعاقب بسجن أبيها وتعذيبه. ونجحت حيلة الأب فوقعت الرسالة الملققة بين يدي فرناند وأثارت فيه الشكوك، واعترفت لويز بها لأنها كانت مقيّدةً باليمين، فنزل جوابها كالصاعقة على فرناند، فتناول كأس ماء وغافلها وصبَّ فيه السمَّ، وشرب وسقاها.

من مشاهد الفصل الأول، بعد عتاب والد لويز ونصحه لها بترك حب الأمير تقول

لويز:

لويز:

تَرَكْتُ الصَّلَاةَ وَعِغْتُ التُّقَى	وَأَصْبَحْتُ بَيْنَ الْهَوَى وَالْقَدَرِ
تُنَازِعُ نَفْسِي صُرُوفُ الْغَرَامِ	وَتَنْزَعُ صَفْوِي صُنُوفُ الْكَدْرِ
وَفِي الصَّدْرِ مِنِّي عَوَاطِفُ وَجِدٍ	إِذَا سَكَّنْتَ قَلْبَ غَيْرِي انْفَطَرَ
كَفَرْتُ لِأَنِّي هَوَيْتُ وَلَكِنْ	أَيُّومُنْ مَنْ بِالْهَوَى قَدْ كَفَرَ؟

إِلَهِي سَأَلْتُكَ عَفْوًا وَجِلْمًا
فَأَنْتَ الْمُصَوِّرُ تِلْكَ الصُّورُ
إِذَا مَا شُغِلْتُ بِرَسْمِكَ عَنْكَ
وَذَلِكَ ذَنْبِي أَلَا يُغْتَفَرُ

(ثم تقول):

لَمْ أَنْسَ أَوَّلَ مَرَّةٍ شَاهَدْتُهُ
وَشَعَرْتُ أَنَّ الْقَلْبَ زَادَ خُفُوقَهُ
وَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي ضَمِيرِي صَارِحًا
فَشَعَرْتُ حِينَئِذٍ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ
وَتَنَازَعَتْ نَفْسِي عَوَاطِفُ لَمْ أَكُنْ
وَعَوَازِلِي كَثُرُوا عَلَيَّ وَلَوْ دَرَوُا
فِيهَا وَقَدْ صَبَخَ الْحَيَاءُ جَبِينِي
لِتَأْتُرِي فَسَنَدْتُهُ بِيَمِينِي
«هَا هُوَ» فَمَا كَذَّبْتُ فِيهِ ظُنُونِي
بِالْحُبِّ أَشْرَقَ نُورُهُ يَهْدِينِي
أَدْرِي حَقِيقَةَ سِرِّهَا الْمَكْنُونِ
ضَعْفِي وَقُوَّةَ حُسْنِهِ عَذْرُونِي

* * *

وَدَعْتُ يَا أُمَّاهُ آمَالِي بِهِ
لَكِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ
إِذْ ذَاكَ لَا نَسَبٌ يُفِيدُ وَلَا غِنَى
إِذْ ذَاكَ لَا تُجِدِي الْمَلَابِسُ وَالْحَلَى
إِذْ ذَاكَ لَا تُعْلِي الْمَرَاتِبُ أَهْلَهَا
وَمَتَى عَلَوْتُ أَعُودُ غَيْرَ حَقِيرَةٍ
عَبَّرَ الْحَيَاةَ وَمَا الْوَدَاعُ يَقِينِي
ذَاكَ الَّذِي سَيُمِيتُنِي يُحِينِي
لَكِنَّ فَقْرِي وَحْدَهُ يُغْنِينِي
لَكِنَّ ثَوْبَ طَهَارَتِي يُجْدِينِي
أَمَّا أَنَا فَوَدَاعَتِي تُعْلِينِي
فِي عَيْنٍ مِّنْ أَهْوَى وَذَا يَكْفِينِي

(وهنا مشهد اجتماع فرناند بها بعد ما قاسته من لوم أبيها الذي لا يعتقد بإخلاص فرناند؛ نظرًا لما بينهما من تفاوت النسب.)

فرناند:

أَدْنَى السَّلَامِ عَلَيْكَ يَا عُصْنَ النَّقَا
حَمَلْتَهُ أَجْنَحَةَ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى
مِنْ مُدْنَفٍ بِهَوَاكِ بَاتَ مُعَلِّقًا
فَعَسَاهُ أَنْ يَلْقَى جَنَانِكَ مُورِقًا

لويز:

وَعَلَيْكَ

فرناند:

... لَكِنْ مَا لِيُوجِهَكَ أَصْفَرُ وَعَلَامَ جَفَنِكَ بِالْأَمْوَعِ اغْرُورَقَا؟

لويز:

لَا شَيْءَ

فرناند:

... بَلْ فِي الْأَمْرِ سِرٌّ مُغْلَقٌ لَا تَجْعَلِي لِلْحُبِّ سِرًّا مُغْلَقًا
فَمَتَى صَفَتْ مِرَاةَ قَلْبِكَ لِي فَقَدْ صَفَتْ الْحَيَاةَ وَنَجْمَ سَعْدِي أَشْرَقًا

لويز:

هَذَا كَلَامٌ لَا يُفِيدُ صَبِيَّةً مَسْكِينَةً إِلَّا جَوَى وَتَحَرُّقًا
مَا أَقْبَحَ النَّسَبَ الْمُفَرَّقَ بَيْنَنَا مَا أَحْسَنَ الْحُبَّ الَّذِي مَا فَرَقَا!

فرناند:

عَجَبًا فَمَا مَعْنَى كَلَامِكَ ذَا وَمَنْ أَوْلَسْتَ أَنْتِ نَصِيبَ مُهْجَتِي الَّتِي أَنْتِ الَّتِي أَسْرَتِ فُؤَادِي بِالْهَوَى
أَوْحَى إِلَيْكَ الْيَوْمَ هَذَا الْمَنْطِقَا قَنَعَتْ مِنَ الدُّنْيَا بِحُبِّكَ مَوْتَنَا
إِنْ أَطْلَقْتَهُ فَلَيْسَ بِحَيَا مُطْلَقًا

لويز:

فَرْنَانْدُ، لَا تُسِدْ عَلَى عَيْنِي مَنْ عَبَثًا تَحَوَّلَ نَاطِرِي عَنْ لَجَّةِ حُجْبِ الْهَوَى سِتْرًا أَرَاهُ مُمَرَّقًا
لَا بُدَّ فِي أَعْمَاقِهَا أَنْ أُغْرَقَا

ضِعْتِي وَمَجْدُكَ مَانِعَانِ لَدَى أَبٍ
فِرَانْدُ هُمْ يَسْعَوْنَ فِي تَفْرِيقِنَا
بِمُصِيبَتِي هَيْهَاتَ أَنْ يَتَرَفَّقَا
فَاحْرَمَ حَيَاتِي قَبْلَ حِرْمَانِي اللَّقَا

فرناند:

تَفْرِيقِنَا؟ وَمَنْ الَّذِي يَقْوَى عَلَى
إِنْ كُنْتُ أَعْرَقْتُ مِنْكَ فِي نَسَبٍ لَدَى
وَاللَّهِ فِي عَيْنَيْكَ حَطُّ نَصِيبِنَا
قَلْبَيْنِ ضَمَّهُمَا الْهَوَى لِيَفْرُقَا؟
قَوْمِي، فَلَسْتُ لَدَى إِلَهِي أَعْرَقَا
وَأَرَاهُ مِنْ تَارِيخٍ مَجْدِي أَصْدَقَا

لويز:

وَأَبُوكَ؟

فرناند:

... مَاذَا يَسْتَطِيعُ؟

لويز:

... .. أَخَافُهُ
إِذْ لَا أَرَاهُ عَلَى شَبَابِكَ مُشْفَقَا

فرناند:

أَنَا لَا أَخَافُ سَوَى فُتُورِكَ فِي الْهَوَى
لَا شَيْءٍ يَمْنَعُ رَسْمِكَ الْمَعْبُودَ عَنْ
كَلًّا، وَلَوْ جَعَلُوا الْجِبَالَ مَوَانِعًا
وَالدَّهْرُ إِنْ يَقْصِدُ مُعَانِدَتِي فَلَا
وَإِذَا تَمَثَّلَ لِي الْقَضَاءُ مُعَارِضًا
وَمُنَايَ أَنْ لُوِيَزَتِي تَحْيَا مَعِي
لِتَكُونَ تَرْبَةً أَرْضُهَا زَهْرًا وَجَوْ
فَسَوَى فُتُورِكَ فِي الْهَوَى لَا يُنْقَى
عَيْنِي، وَلَوْ حَمَلُوا الطَّلَاسِمَ وَالرُّقَى
لَجَعَلَتْهَا لَكَ يَا لُوِيَزُ مُرْتَقَى
أَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً وَتَعَشَّقَا
عَارِضْتُهُ ... وَسَأَلْتُ أَنْ يَتَرَفَّقَا
لِتَذُوقَ مِنْ كَأْسِ الْحَيَاةِ الْأَرْوَقَا
وَسَمَائِهَا عِطْرًا، وَنُورًا مُشْرِقَا

لَأُظِلَّ أَسْقِيهَا السَّعَادَةَ مِنْ يَدِي
فَبِعَيْرِ كَأْسِ الْحُبِّ لَيْسَتْ تُسْتَقَى
لِتَعُودَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ كَمَا أَنْتَ
بَلْ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ أَبْهَى رُونَقًا
فَيَرَى بِأَنَّ الْحُبَّ يَقْدِرُ وَحْدَهُ
يُعْطِي خَلِيقَتَهُ الْكَمَالَ الْمُطْلَقًا

لوزين:

إِنَّ الْمُحِبَّ سَعِيدٌ أَحْلَامُهُ
لِكِنْ تَحَبُّبًا خَلَفَ يَقْظَتِهِ الشَّقَا
فَرِنَانْدُ، سَامَحَكَ الْإِلَهَ فَطَالَمَا
صَوَّرْتَ لِي عَيْشَ الْغَرَامِ مَرْوَقًا
هِيَ شُعْلَةٌ أَضْرَمْتَ أَفْكَارِي بِهَا
فَسَرَى إِلَيَّ قَلْبِي اللَّهِيْبُ فَأَحْرَقَا
هَيْهَاتَ تَطْفَأُ نَارُهَا إِلَّا إِذَا انْ
طَفَأَ الضِّيَاءُ بِنَاظِرِي، وَلَكَ الْبَقَا

ثم يأتي أبوه معاتبًا ومذكّرًا بفضلته عليه ورغبته في ترقيته، وما فعل وارتكب من أجله.

الأب:

أَفْرِنَانْدُ قُلْ لِي لِمَنْ قَدْ رَكِبْتُ الْ
مَخَاطِرَ بُغْيَةَ أَمْرِ خَطِيرِ
فَوَجَّهْتُ نَحْوَ الْإِمَارَةِ طَرْفِي
وَصَوَّبْتُ سَهْمِي لِقَلْبِ الْأَمِيرِ
وَأَضْرَمْتُ نَارَ الْعَدَاوَةِ بَيْنِي
وَبَيْنَ السَّمَاءِ، وَبَيْنَ الضَّمِيرِ
وَقُلْ لِي لِمَنْ قَدْ قَبِلْتَ الرَّئِيسَ
عَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِي الرَّئِيسِ الْكَبِيرِ
وَمَنْ قَادَنِي لِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
وَطَوَّحَ نَفْسِي بِهَذَا الْغُرُورِ

فرناند:

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ أَنْ تَكُونَ
فَعَلْتَ لِأَجْلِي هَذِي الْأُمُورِ
وَأَخْلُقُ بِالْمَرْءِ أَنْ لَيْسَ يُخْلُ
قَ مِنْ أَنْ يُسَبَّبَ هَذِي الشُّرُورِ

الأب:

رُوَيْدَكَ فِرْنَانِدُ لَا تَغْضَبَنَّ
جَعَلْتُ لِأَجْلِكَ لَيْلِي نَهَارًا
وَذَاقَ ضَمِيرِي لَسَعَ الْعَقَارِ
نَعَمْ أَنَا أَقْبَلُ صَاعِقَةَ الْإِنِّ
وَرِثَ أَنْتَ مَجْدِي وَخَلَّ ذُنُوبِي
أَهَذَا جَزَاءُ أَبِيكَ الْغَيُورِ
وَصَفْوِي اعْتِكَارًا وَعَفْتُ السُّرُورِ
بِ مِنْكَ وَأَنْتَ عَدِيمُ الشُّعُورِ
سَتَقَامَ وَلَعْنَةَ أَهْلِ الْقُبُورِ
أُعَذِّبُ فِيهَا بِنَارِ السَّعِيرِ

فرناند:

أَنَا لَسْتُ أَرْضَى بِإِرْثِ ذُنُوبِ
أَبِي فِيهِ تَبَقَى لِيَوْمِي الْأَخِيرِ

الأب:

وَلَكِنْ أَتَنْسَى بِأَنَّكَ لَوْلَا
مَكَابِدُ سَعْيِي لَعِشْتَ فَاقِيرِ

فرناند:

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَالِ فُقْرُ
وَأَفْضَلُ لِي الرَّحْفُ فَوْقَ التُّرَابِ
فَفِي شَرَفِ الْفَقْرِ مَالٌ كَثِيرُ
مِنَ السَّيْرِ زَحْفًا لِأَوْجِ السَّرِيرِ

(وفي الفصل الثالث مشهد بين فرناند ولويز، بعد أن يكون الأب العاتي قد اجتمع إليها على حدة وتوَعَّدَهَا إِذَا هِيَ لَمْ تَتْرَكَ حُبَ فِرْنَانِدِ، فَيَعْرَضُ هُوَ عَلَيْهَا الْفِرَارَ مَعَهُ.)

لويز:

قَدْ كَانَ أَمْرُنَا فِي الْحُبِّ مَا كَانَا
قَطَعْتُ كُلَّ رَجَاءٍ فِي هَوَاكَ، وَقَدْ
وَالآنَ عَهْدُ انْفِصَالِي عَنْكَ قَدْ أَنَا
أَصْبَحْتُ أَرْجُو مِنْ الْإِيَّامِ سِلْوَانَا

فرناند:

أَنِّي اتَّخَذْتُ الْهَوَى دِينًا وَإِيمَانًا
مَذَابِحِ الْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ قُرْبَانًا؟
تُرْعَزُ الْيَوْمَ مِنْ حَبِيكِ بُنْيَانًا
يَهْمُنِي وَالِدِي إِنْ بَاتَ غَضْبَانًا
فَسَوْفَ أَجْعَلُ مِنْهُ الْقَلْبَ شَعْلَانًا
يَلْقَى الْفَضِيحَةَ فِيهَا كُلُّ مَنْ خَانَا
فَسَوْفَ يَرْجِعُ مِنْ نِيِ الْحَرْبِ خَذَلَانًا
فَقَدْ بَغَى بِحَقُوقِ الْحُبِّ كُفْرَانًا
لِذَاكَ كُلُّ عَزِيزٍ دُونَهَا هَانَا
إِنْ تَمَّ لِي وَعَيْنِ الْأَوْطَانِ أَقْصَانَا
يُجِدِي الْبَقَاءَ لَنَا فِي أَرْضِ أَعْدَانَا
مَا يَعْكَسُ الْيَوْمَ نُورًا مِنْكَ فَتَانَا
تُضِيءُ ظِلْمَةَ قَلْبِي أَيْنَمَا كَانَا
أَيَّانَ سَرَّتْ أَرَى أَهْلًا وَأَوْطَانَا
عِزُّ الْقُصُورِ فَعَنَهُ اللَّهُ أَعْنَانَا
فِيهِ وَنَسَأَلُهُ عَفْوًا وَرِضْوَانَا
رُءُوسَنَا وَسُكُونُ الْكُونِ يَغْشَانَا
بِتَوْبَةٍ وَنُجُومِ اللَّيْلِ تَرَعَانَا
وَلَا نَخَافُ مِنَ الْحَسَادِ عُدْوَانَا
أَعُودُ مِنْ حُلْمِ حُبِّي فِيكَ يَقْطَانَا

أَتَيَّاسُ لُويزُ مِنْ حُبِّي وَقَدْ عَلِمْتُ
وَأُنِّي مُسْتَعِدُّ أَنْ أَكُونَ عَلَى
لِتَجْمَعَ الْأَرْضُ قُوَاتِ الْجَحِيمِ فَلَا
وَإِنْ تَكُنْ رَضِيَتْ عَنِّي لُويزُ فَمَا
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ قَلْبٍ فِيكَ مُشْتَعِلُ
وَأُظْهِرُ الْيَوْمَ أَسْرَارًا مُحَبَّبًا
سَأَلَمْتُهُ فَأَبَى إِلَّا مُحَارَبَتِي
وَالْحُبُّ عَذْرِي بِكُفْرَانِي بِحَقِّ أَبِي
شَرَائِعِ الْحُبِّ فِي عَيْنِي مُقَدَّسَةٌ
لُويزُ! قَدْ عَنَ لِي فِكْرُ، وَيَا طَرَبِي
وَهَلْ لَنَا بَعْدَ مَا نَسَعَى إِلَيْهِ، وَهَلْ
كَأَنَّ غَيْرَ مِيَاهِ «الرَّيْنِ» لَيْسَ لَنَا
أَشْعَةُ الْحُبِّ مِنْ عَيْنَيْكَ مُرْسَلَةٌ
وَمَا بِلَادِي سِوَى أَرْضِ حَلَلْتِ بِهَا
هُنَاكَ يَا مُنِيَّتِي إِنْ كَانَ يَنْقُصُنَا
إِنْ لَمْ نَجِدْ هَيْكَلًا لِلَّهِ، نَعْبُدُهُ
يُرْجِي سَتَائِرَهُ اللَّيْلِ الرَّهِيْبُ عَلَى
وَيَطْلُعُ الْبَدْرُ فَوْقَ الْأَفْقِ يَا مُرْنَا
هُنَاكَ تَحْلُو مَنَاجَاةُ الْغَرَامِ لَنَا
وَنَظْرَةٌ مِنْكَ تُنْسِينِي الْحَيَاةَ، فَلَا

(ولكن لويز ترفض السفر معه، ثم تعمل الدسائس عملها، وهنا يستكتبها أبو فرناند — مهددًا إياها بالحبس وقتل والديها — كتاب غرام إلى شخص ثالث معروف في القصر، ويقع الكتاب بين يدي فرناند، فيصدق ما فيه ويستولي عليه اليأس فيقول):

فرناند:

مَلَكِيَّةٌ تُخْفِي الحَقِيْقَةَ أَرْقَمَا
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُهُ الكَلَامُ تَكَلَّمَا
لَمْ تَقْوِ مَعَهُ أَنْ تُبْرَأَ مِنْهُمَا
يَدُهَا الَّتِي مُدَّتْ إِلَيَّ لِتُلْتَمَا
بِحُرُوفِهِ، لَكِنَّهَا سَفَكْتَ دَمَا
مَنْ أَنْ تُوَأْفِقَنِي عَلَى تَرْكِ الحِمَى
مَا كُنْتُ أَحْسَبُهَا خِدَاعًا قَبْلَمَا ...

لَا، لَا أَصَدِّقُ أَنْ تَحْتَ ظَوَاهِرِ
لَكِنَّمَا ذَا الخَطُّ خَطُّ بَنَانِهَا
خَطُّ، فَلَوْ هَبَطَتْ مَلَائِكَةُ العُلَا
ذَا خَطُّهَا مُدَّتْ إِلَيَّ تَسْطِيرِهِ
يَا وَيَحَهَا، سَفَكْتَ مِدَادَ دَوَاتِهَا
الآنَ قَدْ أَدْرَكْتُ كَيْفَ تَمَنَّعْتَ
قَبِلْتُ بِإِبْعَادِي، وَتِلْكَ ضَحِيَّةٌ

* * *

طِفْنَا، وَأَصْبَحَ قَلْبُهَا بِي مُغْرَمًا؟
عَابَاتِهِ، وَرَمَتْ لِأَبْعَدِ مُرْتَمَى
وَإِدِي الشَّقَا لَمْ تَخْشَ أَنْ تَتَقَدَّمَا
لِتَطِيْعَ مَنْ تَهْوَى وَتَعْصِي اللُّؤْمَا
إِلَّا خِدَاعًا ضَعُتْ فِيهِ تَوْهُمَا
لِلْمَكْرِ أَنْ تُخْفِي الحَقَائِقَ مِثْلَمَا ...
بِدَهَاكِ مِنْ أَنْ تُخْرِقِي بَابَ السَّمَا

مَنْ ذَا يُصَدِّقُ ... بَعْدَمَا اتَّحَدْتُ عَوَا
كَانَتْ رَفِيقِي فِي الهَوَى، قَطَعْتَ مَعِي
وَتَسَلَّقْتَ قِمَمَ العِرَامِ، وَمُذْ رَأَتْ
فَتَحَمَلْتِ أَلَمَ الصَّبَابَةِ وَالهَوَى
وَتَأَلَّمْتَ وَبَكَتِ ... وَلَمْ يَكُ كُلُّ ذَا
إِنْ كَانَ أَيْتُهَا الأَبَالِسُ قُوَّةً
فَعَلَامَ حَتَّى الآنَ لَمْ تَتَمَكَّنِي

* * *

وَأَرَيْنَهَا وَجَهَ الخَلَاصِ لِيَسْلَمَا
تُبْدِي التَّأَثُّرَ وَهِيَ تُضْمِرُ عَكْسَ مَا ...
غَلَبَتْ أَبِي إِذْ جَاءَهَا مُتَهَكِّمًا
أَغْمِي عَلَيْهَا دُونَ أَنْ تَتَأَلَّمَا
أَبْقَيْتِهِ لِلصَّدْقِ كَيْ يَتَكَلَّمَا
إِنْ كَانَ ثَوْبُكَ لِلخِيَانَةِ سُلَّمَا

لَمَّا كَشَفْتُ لَهَا مَخَاطِرَ حُبِّنَا
مَا كَانَ أَسْرَعَ مَا تَبَدَّلَ لَوْنُهَا
وَبِأَيِّ مَظْهَرِ عِزَّةٍ وَشَهَامَةٍ
وَبِأَيِّ مُعْتَرِكٍ شَدِيدٍ هَوْلُهُ
تَاللَّهِ يَا لَعْنَةَ الخِدَاعِ فَمَا الَّذِي
يَا أَيُّهَا الإِخْلَاصُ مَاذَا تَرْتَدِي

* * *

قَدْ كَانَ مِثْلَ فَمِي فُوَادِي مُغْرَمَا
لَكِنْ عَفَافِي كَانَ مِنْهَا أَعْظَمَا

لِلَّهِ أَوَّلُ قُبْلَةٍ قَبَّلْتُهَا
وَعَوَاصِفُ الأَهْوَاءِ فِي عَظِيمَةٍ

أَفَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ ضُلُوعِهَا إِلَّا الْبُرُودَةُ وَالْجَفَاءُ كَمَا هُمَا؟
 كَمْ كُنْتُ أَشْعُرُ عِنْدَ تَطْوِيقِي لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ بِرَاحَتِي تَجَسَّمَا
 وَفُؤَادَهَا إِذْ ذَاكَ لَمْ يَكْ شَاعِرًا بِسَوَى جَرِيمَتِهَا ... وَلَمْ أَكْ مُجْرِمًا

(ثم يعزم على قتلها والانتحار من بعدها، فيقول — وهو حتى الساعة لم يجتمع إليها ليتحقق صحة الرسالة):

قَرَبْتُ سَاعَةَ الْهَلَاكِ فَأَهْلًا
 إِنَّمَا يَا لُوِيْزُ قُرْبِكَ أَحَلَّى
 فَلْتَمُوتِي مَعِي فَمَوْتِكَ وَاجِبُ
 لَا وَحَقَّ السَّمَاءِ لَا بُدَّ مِنْهَا
 فَهِيَ مُلْكِي وَكَسْتُ أَصْبِرُ عَنْهَا
 لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ أَمُوتَ وَتَبْقَى
 بَعْدَمَا عَشْتُ فِي الصَّبَابَةِ مَعَهَا
 وَأَرْتَنِي الشَّقَا وَلَمْ تَكْ تَشْقَى
 كَانَ لِي فِي الشَّبَابِ حُلْمٌ تَجَلَّى
 بِمَجَالِي الْغَرَامِ، وَالْيَوْمَ وَلَى
 وَمَعَ الْحُلْمِ كُلِّ عُمْرِي ذَاهِبُ
 فَاسْتَعِدِّي، فَمَا رَسُولُ الْهَلَاكِ
 غَيْرَ صَبِّ بِالْأَمْسِ كَانَ فِدَاكِ
 وَأَحْجَبِي وَجْهَكَ الْمُخَادِعَ عَنِّي
 أَنَا مَا عُدْتُ قَادِرًا أَنْ أَرَكَ

* * *

يَا إِلَهَ الْوُجُودِ دَعَهَا وَدَعْنِي
 أَنْوَلِي تَعْزِيبَهَا بِيَدَيَا
 قَدْ تَخَلَّيْتُ عَنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ
 لَكَ يَا رَبِّهَا فَعَنْهَا تَخَلَّ

وَبِهَا الْيَوْمَ لَا تُطَالِبُ شَقِيًّا
غَيْرَهَا فِي الْوُجُودِ لَمْ يَكُ طَالِبٌ

(وأخيراً هذا المشهد من الفصل الخامس عندما جاء فرناندو لويز، لا يعرف كيف يبادثها الحديث. يهم فيرى من عذوبتها ما يلجم لسانه، وتقبل هي عليه فترى في وجهه ما لا تعهد فترجع خائفةً حائرةً. تعرض عليه الغناء فيرفض، واللعب فيأبى، والقراءة فلا يجيب. تقول ويصمت، وتبسم ويعبس، وتجد حياءً وتهزل، ولا تدرك من سبب لهذا الغضب، وهو يتلمل وتتعذب ويعض على شفتيه، إلى أن يطفح الكيل فيصيح بها):

كُفِّي خِدَاعَكَ يَا شَقِيَّةُ وَارْجِعِي
وَاسْتَرْجِعِي تِلْكَ اللَّحَاطَ، فَلَمْ أَدْعُ
وَتَقَدِّمِي يَا حَيَّةَ لَمْ تَنْخَدِعْ
قَوْمِي، أَهْجُمِي، انْتَفِضِي أَمَامِي، وَأظْهَرِي
وَتَجَرِّدِي مِنْ صُورَةٍ مَلَكَيَّةٍ
وَلِيَحْتَجِبَ ذَاكَ الْمَلَاكُ فَلَمْ يَعُدْ

* * *

أَنَا لَا أَدِينُكَ يَا إِلَهِي، إِنَّمَا
لِمَ هَذِهِ الْكَأْسُ الْجَمِيلَةُ، إِنْ يَكُنْ
صَوَّرْتَ أَجْمَلَ صُورَةٍ، وَجَعَلْتَهَا

لِمَ تَنْقُضُ الدُّنْيَا شَرَائِعَهَا مَعِي
لَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرَ سُمَّ مُفْجِعِ
سِتْرًا لِأَقْبَحِ مَا خَلَقْتَ وَأَشْنَعِ

* * *

وَعَلَامَ ذَا الصَّوْتِ الشَّجِيِّ كَأَنَّمَا
هَلْ يُحْسِنُ الْوَتْرُ الْمُقَطَّعُ يَا تُرَى

نَعْمَاتُهُ سِحْرٌ يَمُرُّ بِمَسْمَعِي
لَحْنًا كَهَذَا اللَّحْنِ غَيْرَ مُقَطَّعِ

(وينظر إليها بعين سكرى بالحب.)

لَا عَيْبَ فِيهَا، لَا تَنَافَرَ ... كُلُّهَا حُسْنٌ يَدُلُّ عَلَى اعْتِنَاءِ الْمُبْدِعِ

إِلَّا الْفُؤَادَ ... كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يُطِقْ
 الْوَيْزُ بِاللَّهِ اذْكُرِي زَمَانَ الْهَوَى
 أَيَّامَ كَاشَفْنَا الصَّبَا أَسْرَارَهُ
 أَيَّامَ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ سَعَادَتِي
 الْوَيْزُ هَلْ أَذْنَبْتُ نَحْوَكَ يَا تُرَى
 أَنَا مَا قَطَعْتُ صَلَاتِ حُبِّكَ مَرَّةً
 إِبْقَاءَ صَنَعْتِهِ بَغَيْرِ تَصْنَعِ
 أَيَّامَ قَلْبِي عَنْكَ غَيْرَ مُمْنَعِ
 وَأَنَا وَأَنْتِ مِنَ الصَّبَابَةِ لَا نَعِي
 فِي قُبْلَةٍ تُطْفِي وَتُلْهَبُ أَضْلَعِي
 حَتَّى صَنَعْتَ مَعِيَ الَّذِي لَمْ أَصْنَعِ
 فِيمَا أَسَأْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَقْطَعِي؟

لويز:

إِبْكِ إِبْكِ يَا فِرْنَانْدُ
 فَبِكَاؤِكَ أَعْدَلُ مِنْ غَضَبِكَ

فرناند:

أَخْطَأْتُ، مَا هَذِي الدُّمُوعُ مِنَ الْأَسَى
 هَذَا وَدَاعِي الْهَائِلُ الْأَبْدِيُّ لِلدَّ
 أَنَا لَسْتُ أَبْكِي يَا لُويْزُ عَلَيَّ، بَلْ
 قَمَرٌ بِأَفْقِ الْحُبِّ مَا حَيَّيْتُهُ
 أَبْكِي عَلَى أَمَلِ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ
 إِنَّ الْحِدَادَ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَاجِبٌ
 حَتَّى تُبَرِّدَ لَوْعَةَ الْمُتَوَجِّعِ
 حُبِّ الَّذِي بَجَنَاهُ لَمْ أَنْتَمَّعِ
 أَبْكِي عَلَيَّ فَلَا تَغْرَكِ أَدْمُعِي
 حَتَّى هَوَى، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَطْلَعِ
 قَدْ ضَاعَ فِيكَ وَكَانَ غَيْرَ مُضَيِّعِ
 فَأَعَزُّ مَنْ فِيهَا إِلَيْهَا قَدْ نَعِي

وأحسست لويز بفعل السم وعرفت بدنو الأجل، فلم يبق من سبب لإخفاء الحقيقة؛ لأن الموت يُجِلُّ كل قَسَم، ولكن سبق السيف العذل.

من شعر الصبا

ما نُظِمَ بين العاشرة والعشرين

من قصيدة في مدح معلمه المرحوم نعمة يافث وهي من أوائل نظمه.

حَيْرُ الْكَلَامِ الَّذِي تَرَجُّوهُ مَا صَدَقَا وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ بِالصِّدْقِ قَدْ نَطَقَا
وَمَنْ يَقْلُ غَيْرَ مَا تَطْوِي ضَمَائِرُهُ فَذَاكَ غِرٌّ تَخَطَّى الْجَهْلَ وَالْحُمُقَا
يَخُوضُ فِي الْمَدْحِ لَا إِظْهَارَ مَأْتِرَةٍ بَلْ قَصْدَ كَسْبٍ فَيُفْنِي الْجَبْرَ وَالْوَرَقَا
يَقُولُ وَجْهَكَ بَدْرٌ إِنْ أُتِيحَ لَهُ مَالٌ وَإِلَّا فَوَجْهُهُ يُشْبِهُ الْغَسَقَا

* * *

قَفَّ فِي رَبِيِّ الشُّعْرِ وَأَنْشُدْ جِكْمَةً سَطَعَتْ أَنْوَارُهَا فِي سَمَاءِ الْعِلْمِ مُؤْتَلِقَا
يَحْلُو الْمَدِيحُ لِذِي عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ يُرِيكَ مِنْ فَضْلِهِ مَا يُبْهِرُ الْحَدَقَا
كَالْعَالِمِ الْعَامِلِ الشَّهْمِ الَّذِي اشْتَهَرَتْ أَخْلَاقُهُ وَشَدَاهَا فِي الْوَرَى عَبَقَا

ومن قوله في حادثة:

يَا سَاعِيًّا بِالْغَدْرِ بَيْدٍ نَ الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانَ مَهْلًا
سَتْرِي مَغْبَةً مَا سَعَيْدٍ تَ وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا ...

البُسَّةُ والمرأة

مترجمة عن فلوريان

أَيُّهَا الْعَالِمُ يَا مَنْ يُنْفِقُ الْ
قَفَّ قَلِيلًا وَاسْتَمَعَ عَن بُسَّةٍ
رَأَتْ الْمِرْآةَ يَوْمًا فَأَتَتْ
حَسِبَتْ أَنَّ الْبَدِي لَاحَ لَهَا
وَعَلَيْهِ وَتَبَّتْ، فَاصْطَدَمَتْ
فَانْتَدَتْ تَطْلُبُهُ مِنْ خَلْفِهَا
كَيْفَ تَأْتِيهِ فَلَا يُفْلِتُ مِنْ
فَامْتَطَتْ مِرْآةَهَا ثُمَّ اسْتَوَتْ
وَانْحَنَتْ شَيْئًا فَشَيْئًا لِتَرَى
ثُمَّ ... لَكِنْ عَدَرَ الثَّقُلُ بِهَا
فَهَوَتْ لِلْأَرْضِ ثُمَّ انْسَحَبَتْ
كُلُّ مَا نَسَعَى إِلَيَّ تَفْسِيرِهِ
لَيْسَ فِي الْعَيْشِ ضَرُورِيًّا لَنَا

عُمَرَ فِي تَفْسِيرِ مَا لَيْسَ يُفَسَّرُ
قِصَّةً تُدْهِشُ مَنْ فِيهَا تَبَصَّرَ
نَحْوَهَا تَنْظُرُ مَنْ فِيهَا تَصَوَّرَ
غَيْرَهَا فَاسْتَنْكَرَتْ مَا لَيْسَ يُنْكَرُ
صَدْمَةً كَادَ بِهَا اللَّوْحُ يُكْسِرُ
لَمْ تَجِدْ شَيْئًا، فَأَبَتْ تَتَفَكَّرُ
يَدِيهَا، أَوْ يَخْتَفِي حِينًا وَيَطْهَرُ
فَوْقَهَا كَمَنْ عَلَا صَهْوَةً أَشْقَرُ
فَرَأَتْ فِي الْبَدءِ أَدْنًا، ثُمَّ أَكْثَرَ
فَرَمَاهَا، وَلَهَا الْحِظُّ تَنْكَرُ
وَبِفِيهَا حِكْمَةٌ لِلدَّهْرِ تُذَكِّرُ
وَهُوَ عَنَا غَامِضٌ غَيْرُ مُفَسَّرِ
فَلِنَدْعُهُ فَالضَّرُورِيَّاتُ أَجْدَرُ

من مرثية لأحمد الصلح

وطُلب منه وهو في المدرسة رثاء أحمد باشا الصلح^٢ فقال من قصيدة «وقد حاول فيها الخروج على التقاليد في الرثاء من ذم الدهر وغير ذلك»:

أَيُّدِي لُبَابِ الْمَجْدِ مِنْ أَيِّ سَيِّدٍ عَفَا رَبُّعُهُ لَمَّا سَرَى نَعْيُ أَحْمَدِ
وَهَلْ يَعْلَمُ الْقَطْرُ الْمُصَابُ بِفَقْدِهِ بِأَيِّ رِدَاءِ أَهْلُهُ الْيَوْمَ تَرْتَدِي
بَنِي الْعَصْرِ هَدْيٍ وَحِشَّةَ الْمَوْتِ فَاَنْظُرُوا إِذَا كَانَ فِيهَا غَيْرُ طَرْفٍ مُسَهَّدِ
وَذِي شَجَرَاتِ الْمَجْدِ، هَلْ مِنْ مُرْفَرٍ عَلَى شَجَرَاتِ الْمَجْدِ أَوْ مِنْ مُغَرِّدِ
فَقَدْنَا إِمَامًا كَانَ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُ يَسِيرٌ مَعَ الرُّكْبَانِ مِنْ كُلِّ مُنْشِدِ
سَلُّوا بَعْدَهُ مَنْ كَانَ يَعْشُو لِضَوْئِهِ إِذَا عَادَ فِي لَيْلِ الشَّدَائِدِ يَهْتَدِي

(البقية مفقودة.)

١٨٨٨

وقال بعد مرض قصير أقعده عن الدرس أيامًا:

إِنَّ الْعُقُولَ وَإِنْ سَمَا إِدْرَاكُهَا إِنَّ أَهْمَلَ اسْتِعْمَالُهَا لَا تَنْفَعُ
كَالسَيْفِ يَقْطَعُ مَا أَجَدَّتْ صِقَالُهُ فَإِذَا نَبَذَتْ صِقَالَهُ لَا يَقْطَعُ

التقوى

شعر منشور

قيلت في إحدى الحفلات الخطابية الأسبوعية لصف المنتهين.

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْحَسَنَاءُ الرَّاهِيَّةُ، الْمُتَهَادِيَّةُ فِي مَطَارِفِ الْجَلَالِ، الْمُتَوَجَّةُ بِإِكْلِيلِ
الْكَمَالِ

^٢ هو جد رياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية اليوم، والذي كلّفه بالقصيدة هو المحامي الشاعر إلياس جرجس طراد أحد وكلاء المدرسة.

الظَاهِرَةُ لَا مِنَ الْقُصُورِ، الْبَارِزَةُ لَا مِنَ الْخُدُورِ
 الْمُقْبِلَةُ نَحُونًا لَا كَالْمَهَا، الطَّالِعَةُ عَلَيْنَا لَا كَالسُّهَى
 مَا أَجْمَلَ مُحْيَاكَ ... وَأَطْيَبَ رِيَّاكَ ... وَأَلْطَفَ حُمَيَّاكَ!
 تَدْبُ فِي الْأَرْوَاحِ دَيْبِ الْأَرْوَاحِ، فَخُشُوعٌ فِي الْإِبْصَارِ، وَخُضُوعٌ فِي الْأَفْكَارِ، وَتَأَسُّ عَلَى
 الْأَسَى، وَعَزَاءٌ عَلَى الْعَذَابِ، وَشِفَاءٌ لِلْعَلِيلِ السَّقِيمِ، وَسَمِيرٌ مَنْ يَبِيْتُ فِي لَيْلَةِ سَلِيمٍ.^٣
 حَيَّاكَ اللَّهُ مَا أَقْوَى سُلْطَانِكَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَأَسْعَدَهُ لِضَحَايَا الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ، وَأَبْعَدَهُ عَنِ
 الْعُيُوبِ، وَأَقْرَبَهُ مِنْ تَبَوُّةِ ذَوِيهِ النَّعِيمِ.

حَطِيبَ الْفَضِيلَةِ وَعَرُوسَ النِّعْمَةِ
 رُوحَ الْمَعْرِفَةِ وَرَأْسَ الْحِكْمَةِ
 كَمَالَ شَرَفِ الْخَلْقِ وَعَايَةَ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ

حَيَّاكَ اللَّهُ مَا أَحْلَاكَ فِي النُّفُوسِ، وَحَيَّا اللَّهُ رُوحَكَ الْقُدُوسِ، وَحَيَّا اللَّهُ وَجْهَكَ الْكَرِيمِ
 أَيُّ سَادَتِي، لَا حَاجَةَ لِلْبَيَانِ وَقَدْ حَصَّصَ الْحَقُّ لِلْعَيَانِ، فَلْتَطَّأِطِ الرُّعُوسُ ثَمَانِي
 ثَمَانٍ، تَلَكُّمٌ هِيَ التَّقْوَى وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ
 فَاْبْنُوا عَلَى الْحَقِّ أَمَالَكُمْ ... وَأَقْضُوا بِالْحَقِّ أَعْمَالَكُمْ ... وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ.

١٨٩٠

من رسالة إلى صديقه المرحوم يوسف زيدان شقيق صاحب الهلال:

يَا رَسُولِي إِلَى حَمِيٍّ مِصْرَ بَلَّغْ
 بِكِتَابٍ ضَمَّنْتُهُ نَارَ شَوْقِي
 سَأَلَ فِيهِ عَلَى سَطُورِ الْهَوَى مَا
 لَسْتُ أَنْسَى يَوْمًا تَطَامَنْتِ الْأَعْدُ
 عَنْ فُؤَادِي تَحِيَّةَ الْمُشْتَاقِ
 فَتَعَجَّبَ لِلنَّارِ فِي الْأَوْرَاقِ
 سَأَلَ فِيهِ مِنْ مَدْمَعِي الْمُهْرَاقِ
 سَأَلَ فِيهِ لِلْبَيْنِ بَعْدَ الْعِنَاقِ

^٣ السليم: اللديغ يمنع الألم عنه النوم.

يَا رَفِيقِي النَّائِي الْمُوَدَّعَ مَهْلًا
غَبَّتَ عَنَّا وَأَنْتَ فِينَا مُقِيمٌ
سَبَقْنَا الْأَقْدَارُ فَاحْتَرَّتْ بَعْدًا
وَعَدَا «الْبَرْقُ» بَيْنَنَا تَرْجَمَانًا
فَإِذَا مَا لَبِثْتُ وَالْوُدُّ بَاقٍ
لَا تُطِيقُ النَّوَى قُلُوبُ الرِّفَاقِ
غَائِبُ الشَّخْصِ حَاضِرُ الْأَخْلَاقِ
مَعَ أَنَّ الْقُلُوبَ جُرْدُ سِبَاقِ
عَلَّ أَنْ نَجْتَلِي بُرُوقَ التَّلَاقِ
كُلُّنَا هَهُنَا عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ

١٨٨٨

ومن قوله:

بِأَبِي ذَاتَ جَفَا عَاتَبْتُهَا
قُلْتُ: تَعْذِيبِي مُرٌّ وَحَرًّا
فَأَجَابَتْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الْمَلَالِ
مُ، فَقَالَتْ: إِنَّمَا عِنْدِي حَلَالٌ

كان الناظم قبل أن يفكر بدرس الطب يميل إلى الصحافة، فبعث وهو دون السادسة عشرة من العمر إلى المرحوم بشارة تقلا صاحب الأهرام رواية شعرية عنوانها «طابخ السم آكله»، مع بعض قصائد ومقالات حبرها لذلك العهد، وصدر المجموعة بهذين البيتين:

مَوْلَايَ هَذِي نَبْذَةٌ أَوْدَعْتُهَا
وَلِذَا بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ تَفَاوُلًا
مِنْ أَنْسَاتِ الْفِكْرِ بَعْضَ خَوَاطِرِ
حَتَّى إِذَا قُبِلْتُ بَعَثْتُ بِسَائِرِي

ثم بقصيدة في مدح جريدة الأهرام قال فيها:

لَا تَذْهَبَنَّ إِلَى الْقُنُوطِ تَرْهَدًا
أَوْلَسْتُ نَذْكُرُ آيَةَ لَكَ أَنْزَلْتَ
هَذِي حَيَاتِكَ فَأَعْتَنِمْ لِدَاتِهَا
إِنْ تَكْتَنِفَكَ مِنَ الْوُجُودِ خَلَائِقُ
وَلَكِنَّ تَتَنَازَعَكَ الْبَقَاءُ فَأَنْتَ أَقْدُ
مَا دَامَ يُسْعِدُكَ الزَّمَانُ لِسَعْدَا
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَمْ تُخَلِّقْ سُدَى
قَبْلَ الْقَوَاتِ بِمَا تَرَاهُ أَرْشَدَا
فَلَقَدْ جُعِلْتَ عَلَى الْخَلَائِقِ سَيِّدَا
دَرَهَا مُنَازَعَةً وَأَطْوَلَهَا يَدَا

ومنها:

العِلْمُ عَادَ لِمَهْدِهِ فَتَيَمَّنُوا إِذْ كَانَ عَوْدُ الْعِلْمِ عَوْدًا أَحْمَدًا
وَعَزِيمَةً الْقَدَمَاءِ فِينَا جُدَّتْ وَدَمُ الْفِنِيقِيِّينَ فِينَا جُدْدًا
أَفَمَا تَعِي أَدَانُكُمْ صَوْتَ الْعُصُو رِ الْآتِيَاتِ بِنَا يُرَدُّدَهَا الصَّدَى
هُبُوا فَوْجُهُ الشَّرْقِ رُدًّا بِهَاؤُهُ وَتَسَابِقُوا فَسَيِّلِكُمْ قَدْ عُبْدًا
وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ نَوَابِغِ قَوْمِنَا فَضْلًا بِهِ جِيدُ الْمَعَارِفِ قُلْدًا
بِجَرِيدَةٍ قَدْ صَحَّحَتْ بِنَمَارِهَا مَا كَانَ مِنْ مَقَلِّ الْبِصَائِرِ أَرْمَدًا
يَا مُوجِدَ الْأَهْرَامِ مِنْ قَدَمِ أَفْقٍ وَانظُرْ لِهَذَا الْعَصْرِ مَاذَا أَوْجَدًا
هَاتِيكَ ضُمَّنْتَ الْجُسُومَ وَهَذِهِ لُبَّ الْعُقُولِ وَفَكَّرَ أَرْبَابَ الْهُدَى

ثم بقصيدة في تهنئة صاحب الأهرام بزفافه، طلبت منه وهو على مقاعد الدرس مع تاريخ شعري هذا هو:^٤

بِشَارَةٍ قَدْ جَنَحْتَ لِخَيْرِ ذَاتٍ حَوَتْ مَعَ فَضْلِهَا كُلَّ الطَّهَارَةِ
«بِبَنَسِي» قَدْ ظَفَرْتَ وَلَيْسَ بَدْعٌ فَأَنْتَ مَثِيلُهَا سِمَةٌ بِشَارَةٍ
فَقُلْ مَا رَاقَ ذَا التَّارِيخِ وَجْهَهَا لَقَدْ نَلْتِ الْمُرَادَ لِكَ الْبَشَارَةِ

١٨٨٩

[وَجْهَهَا = ١٥، لَقَدْ = ١٣٤، نَلْتِ = ٤٨٠، الْمُرَادَ = ٢٧٦، لِكَ = ٥٠، الْبَشَارَةِ = ٩٣٤]

وقد تلطف يومئذ صاحب الأهرام فأجاب الشاعر الفتى على كتابه، وقد ظن أنه يريد طبعه، ولكن الشاعر شرح له قصده وأمله بالانخراط في سلك محرري الأهرام، فجاء الجواب اعتذارًا وأسفًا؛ لأنه كان قد ارتبط مع ثلاثة محررين جُدد، هم: خليل مطران

^٤ كلفه بها أيضًا المحامي إلياس طراد.

وخليل زيدان ونجيب الجاويش، ولم يبق محل لرابح، وهكذا كانت الخيبة الأولى في حياة الشاعر.

الدارعة فكتوريا

من نحو ستين سنة جاء الأسطول البريطاني البحر المتوسط، ومرَّ بميناء بيروت وطرابلس، وهناك أثناء تمرينات بحرية، أُصِيبَت فكتوريا بضربة قاضية من إحدى مدرعات الأسطول، فغرقت وغرق معها من الشبان نحو مائتين وخمسين، وكلهم من خيار الأسر وصفوة الإنكليز، كانوا يتعلمون فيها ويتدربون، فاهتزَّ العالم للفاجعة، ونظم الشاعر الشاب هذه القصيدة، وقد أثبتناها برمتها لفائدتها التاريخية.

أنَّه الغرب في الشرق

في رثاء الدارعة فكتوريا ورجالها، مقدَّمة إلى جلالة ملكة الإنكليز وإمبراطورة الهند.

سَكْرَى تُصَعَّدُ بِالْأَسَى زَفْرَاتِهَا
مِنْ عَادِيَاتِ الدَّهْرِ فِي غَارَاتِهَا؟
فِي حَادِثِ أَوْدَى بَخِيرِ كُمَاتِهَا
فِي الْبَحْرِ، سَاعِيَةً إِلَى حَاجَاتِهَا
لَا تَلْحَقُ الْأَبْصَارُ مُرْتَفَعَاتِهَا
تَجْرِي نَظِيرَ الْأُسْدِ فِي فُلُواتِهَا
فَرَسَتْ بِهَا حِينًا عَلَى ضَفَاتِهَا
أَنَّ الْقَضَاءَ يَحُومُ فِي فَسَحَاتِهَا
وَرَةً بِهِ جَرِيًّا عَلَى عَادَاتِهَا
لِتَضُمَّهَا الْأَمْوَاهُ فِي لُجَاتِهَا
جَرَّتِ الْمِيَاهُ تَغُورُ فِي غُرْفَاتِهَا
وَيَغُورُوا خَلَاصَ النَّفْسِ مِنْ آفَاتِهَا
لَهُمُ الْفِرَارَ مُؤَمَّلًا بِنَجَاتِهَا

الْإِنْكِلِيزُ الْيَوْمَ فِي حَسْرَاتِهَا
أَعْلِمْتَ أَيَّةَ نَكْبَةٍ رُزِنَتْ بِهَا
قِفْ بِي فَدَيْتُكَ لَحْظَةً مُتَأَمَّلًا
بَعَثْتُ بِأَسْطُولٍ لَهَا لِسِيَّاحَةٍ
فَأَتَى، وَبَيْنَ صُفُوفِهِ فِكْتُورِيَا
بِمُدْرَعَاتِ كَالْجِبَالِ مَنَاعَةً
وَصَلَتْ إِلَى بَيْرُوتَ فِي تَطُوافِهَا
وَأَتَتْ طَرَابُلُسَ الشَّامِ وَمَا دَرَتْ
وَقَفْتُ بِعَرْضِ الْبَحْرِ كَيْ تَجْرِي مَنَا
وَهُنَاكَ قَدْ سَاقَ الْقَضَا فِكْتُورِيَا
صُدِمَتْ بِكُمْبُرِدُونَ فَانشَقَّتْ وَقَدْ
فَتَخَوَّفَ الْأَقْوَامُ عُقْبَى أَمْرِهَا
أَمَّا رَيْيسُهُمُ الْأَمِيرُ فَلَمْ يُبِحْ

دَخَلَتْ إِلَيْهَا عَطَلَتْ آلَتَهَا
خَوْضَ الْمِيَاهِ لِيُدْرِكُوا جَارَاتِهَا
طَلَبَتْهُمْ الْأَمْوَاهُ مِنْ شُرْفَاتِهَا
لَمْ يَرْضَ عَيْشَتَهُ عَلَى عِلَاتِهَا
بِخُطَاهُ جَرَعَهَا أَعَزَّ ذَوَاتِهَا
فِي الْأَرْضِ لَيْسَ يَخَافُ تَهْدِيدَاتِهَا
مِنْ لُجَّةِ الْإِبْحَارِ فِي ظُلْمَاتِهَا
ظَنًّا بِهَا غَاصَتْ بِتَمْرِينَاتِهَا
مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْخَطْبِ فِي سَكَرَاتِهَا

لَكِنْ مِيَاهُ الْبَحْرِ خَانَتْهُ فَمَذُ
إِذْ ذَلِكَ بَادَرَ بَعْضُ مَنْ فِيهَا إِلَى
وَسَوَاهُمْ مَمَّنْ بَقُوا فِي جَوْفِهَا
أَمَّا الْأَمِيرَالُ النَّبِيلُ فَإِنَّهُ
فَاخْتَارَ أَنْ يَتَجَرَّعَ الْكَأْسَ الَّتِي
وَأَقَامَ يَنْتَظِرُ الْمَنِيَّةَ مُطَرِّقًا
حَتَّى هَوَتْ فِيهِ السَّفِينَةُ وَاخْتَفَتْ
وَالْقَوْمُ فَوْقَ الْبَرِّ يَنْتَظِرُونَهَا
وَالنَّاسُ فِي بَاقِي الْبَوَارِجِ خَلَّتْهَا

* * *

عَجَبًا فَأَيْنَ مُحَدَّثِي بَنَاتِهَا
كَانَتْ تَخَافُ الْأَرْضَ مِنْ صَدَمَاتِهَا
سَمَحَتْ صُرُوفُ زَمَانِهَا بِشَتَاتِهَا
لِمُصَابِهَا شَمَلَ الْأَسَى قَوَاتِهَا
فِي الْبَحْرِ تَرْفَعُ بَعْدَهَا رَايَاتِهَا
مَا وَجَّهَتْ لِإِبْلَادِنَا خُطُوتِهَا

تَبَّتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ بَضْعَ دَقَائِقُ
مِنْ صَدْمَةٍ قَدْ عَطَلَتْ وَهِيَ الَّتِي
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ كَيْفَ قَدْ
هِيَ فِي أَرْوَابِ قُوَّةِ الْبَحْرِ الَّتِي
فَلْتَخْفِضِ الرَّايَاتِ كُلَّ سَفِينَةٍ
وَلْتَحْفَظِ الذِّكْرَى لَهَا أَخْوَاتِهَا

* * *

وَانظُرْ هُنَاكَ إِلَى بَعِيدِ جِهَاتِهَا
نَحْوَ الشَّمَالِ وَقِفْ بُعِيدَ قَوَاتِهَا
غَرَقَتْ إِلَى السَّبْعِينَ مِنْ قَامَاتِهَا
وَأَتَتْ فَكَانَ الشَّرْقُ مَغْرِبَ ذَاتِهَا
ضُ الْأُوقْيَانُوسَاتِ فِي غَزَوَاتِهَا
عَجَبَاهُ أَيَنْ جَمِيعُ مَحْمُولَاتِهَا
إِنْ أَمْطَرَتْ فَوْقَ الْعِدَى بِكُرَاتِهَا
هِيَ أَنْفَذَتْ فِي الْبَحْرِ حَرَاقَاتِهَا
وَتَبَّتْ تَهْزُ الْأَرْضُ فِي وَثَبَاتِهَا
قَصَفَتْ غُصُونًا فِي رَبِيعِ حَيَاتِهَا

يَا زَائِرًا مِينَا طَرَابُلُسَ التَّفِثُ
وَأَقْطَعْ مِنَ الْأَمِّيَالِ فِيهَا حَمْسَةً
فَهُنَاكَ تَحْتَ مِيَاهِهَا فِكْثُورِيَا
تَرَكْتُ بِلَادَ الْغَرْبِ مَشْرِقَ وَجْهِهَا
غَرَقَتْ بِبَحْرِ الرُّومِ مَنْ كَانَتْ تَخُو
ذَهَبَتْ وَمَا أَبْقَتْ لَهَا أَثْرًا فَوَا
أَيْنَ الْمَدَافِعِ مُرْعَدَاتِ فِي الْقِصَا
بَلْ أَيَنْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَلَاتِ إِنْ
بَلْ أَيَنْ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَسَادِ إِنْ
بَلْ أَيَنْ مَنْ فِيهَا مِنَ الْأَشْبَالِ قَدْ

تَرَكْتُ بِلَادَ شَبَابِهَا مَا وَدَّعْتُ إِخْوَانَهَا فِيهَا وَلَا أَخَوَاتِهَا

* * *

الْيَوْمَ أَمَسْتُ إِنْكَلِتْرًا وَقَدْ الشَّمَلَ الْأَسَى أَطْرَافَ مَعْمُورَاتِهَا
الْيَوْمَ فَوْقَ شَطُوطِهَا تَلْقَى مِنَ السَّدِّ سُكَّانَ مَنْ عَدَّتْهُمْ بِمَنَاتِهَا
وَلَدٌ يَشُوقُ إِلَى أَبِيهِ وَالْوَالِدُ يَبْكِي ابْنَهُ الْمَدْفُونِ فِي طَبَقَاتِهَا
وَهُنَاكَ عَادَاتُ تَنُوحِ صَبَابَةٍ مَرَجَتْ مِيَاءَ الْبَحْرِ مِنْ عَبْرَاتِهَا
أَمْ تَدُوبُ عَلَى ابْنِهَا وَلِيَأْسِهَا مَلَّتْ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْ لَدَاتِهَا
وَحَبِيبَةٌ مَوْعُودَةٌ بِلِقَاءِ مَنْ تَهْوَى وَلَكِنْ لَمْ تَنْزِلْ غَايَاتِهَا

* * *

يَا قَطْرُ لُنْدُنَ أَنْتَ مُنْتَظَرٌ إِذَنْ فِكْثُورِيَا لِتَعُودَ مِنْ سَفَرَاتِهَا
خَبَّرَ بَنِيكَ وَسَاكِنِيكَ بِأَنَّهُ قَدْ غَيَّرْتَ فِكْثُورِيَا عَادَاتِهَا
نَسِيتَ بِنِيهَا فِي الْحَمَى وَمَعَاهِدَ الْآرَامِ وَالْغَزْلَانَ عِنْدَ بَنَاتِهَا
يَا قَوْمُ هَلْ رَأَتْ الْمَمَالِكُ أَوْ رَوَى التَّارِيخُ خَطْبًا مِثْلَ ذَا لِرَوَاتِهَا
جَزَعْتَ بِلَادَ الْإِنْكَلِيزِ لِفَقْدِهَا جَزَعًا يُخَلِّدُ فِي الْوَرَى لَهْفَاتِهَا
خَسِرْتَ بِهَا رُكْنَا لَهَا فِي بَحْرِهَا فِي جُنْدِهَا فِي شَعْبِهَا وَسِرَاتِهَا
فِي رَأْسِ مَنْ وَلِيَ الْبِحَارَةَ عِنْدَهَا وَأَمِيرُهَا الْمُمْتَارُ فِي سَاحَاتِهَا
مَاذَا يُصِيبُ تَرَى قَرِينَتَهُ الَّتِي قَدْ أَوْحَشَتْهَا الدَّارُ مِنْ مَشْكَاتِهَا
بَلْ كَيْفَ حَالُ مَلِيكَةٍ لَمْ يَنْدِرْجَ ذَا الْخَطْبُ يَوْمًا بَيْنَ مَحْدُورَاتِهَا
يَا صَبْرُ، فَاغْزُرْ أَنْ تُرَافِقَ قَلْبَهَا فَسِوَاكَ مَوْقِفُهُ عَلَى عَتَبَاتِهَا
عَرَفْتُ مَلُوكَ الْعَصْرِ عِظَمَ مُصَابِهَا وَلِذَاكَ عَزَّتْهَا عَلَى نَكَبَاتِهَا
وَجَلَالَةَ السُّلْطَانِ فِي ذَا الْخَطْبِ قَدْ جَادَتْ بِمَا اعْتَادَتْهُ مِنْ حَسَنَاتِهَا
لَمَّا أَتَاهَا نَعْيٌ مِنْ صُرْعُوا بِهِ وَهَبَتْ لَهَا أَرْضًا لِضَمِّ رُفَاتِهَا
وَلِتِلْكَ مَأْتِرَةٌ تُؤَيِّدُ أَنَّهَا وَقَفْتَ لِخَيْرِ قَرِيبِهَا نِيَاتِهَا

* * *

هَذِي حِكَايَةٌ حَالِهَا حَرَّرَتْهَا بَيَدِ الْأَسَى دُفَعَتْ بِتَأْثِيرَاتِهَا
شَرْقِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ نَزَعَتْ إِلَى غَرْبِ الْبِلَادِ تَبْتُهُ خَطَرَاتِهَا

لَمْ تَقْتَنِعْ فِيمَا أَتَتْ لَوْ لَمْ يَكُنْ
 هِيَ أَنَّهُ الْعَرَبُ الَّتِي فِي الشَّرْقِ قَدْ
 عَزَى إِلَاهُ الْإِنْكِلِيزَ وَلَا سَلَتْ
 وَلَهَا عَنِ الْمَفْقُودِ بِالْمَوْجُودِ مَنْ
 قَدْ بَخَرَ الرَّفَرَاتِ حِبْرُ دَوَاتِهَا
 رَنْتَ فَحَدَّثْتَ عَنْ صَدَى رَنَاتِهَا
 صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ بَعْضُ صِفَاتِهَا
 أَبْطَالِهَا عَوْضٌ وَمِنْ سَادَاتِهَا

١٨٩١

وقال بعد خروجه من المدرسة — من قصيدة يرثي بها إلياس صالح صاحب قصيدة الحرية الأدبية التي أنشدتها في الكلية «الجامعة الأمريكية اليوم»، وكان لها وقع عظيم، ثم سافر إلى مصر للاشتراك في تحرير المقطم، فلم يمهله القضاء لإظهار مواهبه الأدبية والشعرية:

أَرْوَعَكَ الطَّيْرُ الْمَعْرُدُ فِي الْفَجْرِ
 فَقُمْتَ كَثِيبَ النَّفْسِ مُنْقَبِضَ الصِّدْرِ؟

* * *

أَسِيرُ عَلَى الْعُشْبِ الْمُرْتَبِّ بِالنَّدَى
 وَأَوِي إِلَى ظِلِّ الْمَدَافِنِ عِنْدَمَا
 أَخَاطِبُ بِالتَّذْكَارِ قَوْمًا تَقَدَّمُوا
 وَأَذْهَبُ بِالنَّجْوَى إِلَيْهِمْ مُحَدِّثًا
 إِذَا مَا بَدَا لِلْعَيْنِ مَنَوَى ابْنِ صَالِحٍ
 وَأَطْلَقْتُ دَمْعِي حَوْلَهُ سَاقِيًا بِهِ
 فَلَا أُقْلِقُ النُّوَامَ فِي ذَلِكَ الْقَفْرِ
 تُطِلُّ عَلَيَّ الشَّمْسُ مُوقِظَةً فِكْرِي
 وَمَا أَبْقَيْتِ الْأَيَّامَ مِنْهُمْ سِوَى الذِّكْرِ
 بِشَكْوَايَ أَهْلَ الْقَبْرِ يَا جِيرَةَ الْقَبْرِ
 وَقَفْتُ لَدَيْهِ خَاشِعَ الطَّرْفِ وَالْفِكْرِ
 رَبِيعًا نَضِيرًا مِنْ خَلَائِقِهِ الْغَرِّ

* * *

وَبَعْدَكَ يَا إِلْيَاسَ لَمْ نَلْقُ صَالِحًا
 تَمَتَّلَتْ فِي ذَهْنِي فَأَنْطَقْتَنِي بِمَا
 فَبَلَّغَ سَلَامِي مَعَشْرًا قَدْ بَكَيْتُهُمْ
 وَنَمَّ فِي ظِلَالِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ الَّتِي
 هُنَاكَ ضِيَاءُ الْفَجْرِ أَصْفَى أَشْعَةً
 لِنَظْمِ عُقُودِ السَّحْرِ سَطْرًا إِلَى سَطْرِ
 يَرَاهُ الْوَفَا فَرَضًا عَلَى الصَّاحِبِ الْحُرِّ
 وَمَا زَالَ دَمْعِي كُلَّمَا ذُكِرُوا يَجْرِي
 تَفُوزُ بِهَا الْمَوْتَى إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ
 هُنَاكَ نَسِيمُ اللَّيْلِ الْلَطْفُ إِذْ يَسْرِي

١٨٩٣

رثاء سليم جدي

كان سليم جدي شاعراً مطبوعاً، أخذه الموت من بين ذويه وهو في إبان شبابه ومطلع شهرته، وقد رثى الدارعة فكتوريا أيضاً بقصيدة عامرة، وله قصائد عديدة غيرها، فنظم صاحب الديوان في رثائه قصيدة نذكر منها ما علق بالذاكرة.

لَا تَجْفَلِي يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مِنْ دَنْفٍ قَدْ بَاتَ مِنْ غَدَرَاتِ الدَّهْرِ جَفْلَانَا
وَلَا يَرَوْعُكَ إِنْ نَاحَ الْعَشِيِّ فَتَى نُوَاْحُهُ عَلَّمَ الْأَطْيَارَ الْخَانَا
يَبْكِي لِإِلْفِ سَقَاهُ الْوُدَّ ثُمَّ قَضَى كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الْوُدَّ مَا كَانَا

* * *

وَمَا سَلِيمٌ لِيُنْسَى حُزْنُهُ أَبَدًا فَطَالَ مَا أَنْسَهُ الْأَحْزَانَ، أَنْسَانَا
وَإِنْ بَكَيْتَهُ بِالشَّعْرِ الرَّقِيقِ فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ بِرَقِيقِ الشَّعْرِ أَبْكَانَا
سَأَزْرَعُ الْبَانَ أَغْصَانًا بِتَرْبَتِهِ لِأَنَّهُ كَانَ غُصْنَا يُشْبِهُ الْبَانَا
وَذَا رِثَائِي إِذَا أَوْجَزْتُهُ فَكَفَى إِنْ كَانَ مِنْ مَدْمَعِ الْأَمَاقِ رِيَانَا
وَمَا أَنَا يَا بَنِي أُمِّي بِمُنْتَظِرٍ غَيْرَ الشَّقَاءِ فَهَذِي حَالُ دُنْيَانَا
قَدْ أَعْجَزْتَنِي اللَّيَالِي فَارْحَمُوا عَجْزِي وَاللَّهُ يَرْحَمُ مَوْتَاكُمْ وَمَوْتَانَا

وقتل قسطا باولي غدرًا في ليلة خُسف قمرها، فكتب تحت رسمه:

قَتَلُوهُ فِي لَيْلِ تَوَارَى بَدْرُهُ حُزْنَا عَلَى قَمَرِ التَّرَى الْمُتَوَارِي
فَكَأَنَّهُ عَلِمَ الْفَطِيْعَةَ قَبْلَ أَنْ تَجْرِي فَحَجَبَ وَجْهَهُ بِسَارِ

١٨٩٥

وكان المرحوم نخلة بسترس قد ركب الباخرة «سهام» ليلحق بوالي بيروت في عرض البحر ويودعه، فحدث انفجار في الباخرة غرق فيها من غرق، وأعيد المرحوم جثة مشوهة بالنار. والظاهر أنه كان بالقرب من مرجل الباخرة ساعة انفجاره، فلم تمكنه النار من السباحة وهو يجيدها، فمات حرقًا وغرقًا، فكتب تحت رسمه:

هَذَا الَّذِي كَانَ مِثْلَ النَّارِ هَمَّتُهُ وَخُلِقَهُ الْمَاءُ فِي لُطْفٍ وَإِعْطَاءِ

رفيف الأحقوان

أَصَابُهُ مِنْ «سَهَامٍ» الدَّهْرِ غَائِلَةٌ فَرَاحَ فِيهَا شَهِيدَ النَّارِ وَالْمَاءِ

تفضّل بعض الأدباء بتقاريط شعرية لهذا الديوان، ولا نعلم كيف ضاعت بين الأوراق، فنعتذر إليهم آسفين شاكرين.